

سیدنا شیخ الہدوی

شاہین مکارویس



تاریخ ایران

شاهین مکاریوس



جميع الحقوق محفوظة للناتشر

طبعة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١٦٤



٢٠٠٣ / ١١٦٢٨	رقم الايداع
977 - 344 - 067 - 2	I.S.B.N الترقيم الدولي

الفهرس

الصفحة	العنوان	٢
١	جغرافية ايران القديمة	١
٢	هواها	٢
٤	مدائنها القديمة	٣
٦	الدولة البيشداوية	٤
١٢	الدولة الكيانية	٥
٢٩	الدولة الهستاسية	٦
٥٨	الدولة اليونانية	٧
٦٣	ملوك الطوائف	٨
٦٥	الدولة الساسانية	٩
٩٣	الفتح الاسلامي	١٠
١٠٤	حكم العرب علي بلاد ايران	١١
١١١	الدولة الغزنوية	١٢
١٢١	الدولة السلجوقية	١٣
١٣٠	الدولة المغولية	١٤
١٤٠	الامير تيمور وخلفاؤه	١٥
١٤٧	الدولة الصفوية	١٦
١٦٢	الغارة الافغانية	١٧
١٩٧	ناصر شاه	١٨
٢٠٩	الدولة الزندية	١٩
٢١٨	مجل تاريخي	٢٠
٢٢٧	الدولة الفاجارية	٢١
٢٣٥	فتح علي شاه	٢٢
٢٤٠	محمد شاه	٢٣
٢٤٢	ناصر الدين شاه	٢٤
٢٥٦	جلالة مظفر الدين شاه	٢٥
٢٥٨	جلالة الشاه المعظم وجلوسه السعيد	٢٦
٢٦١	لطائف ملوكية	٢٧

جغرافية ايران القديمة

ايران بلاد قديمة في تمدنها وتاريخها يغلب عليها اليوم بين كتّاب الافرنج اسم فارس مع ان اسمها ايران من اقدم الازمان واما فارس او فرس فاسم ولاية من ولاياتها الاولى وسيجيء الكلام عليها . ويسمىها العرب بلاد العجم من جمشيد مؤسس الدولة العجمية ويعرف عند الافرنج باسم اشمينس وكانت هذه السلطنة في ايام عزها السابق واسعة الاطراف يحدها من الشمال بحر الخزر وجبال قاف ومن الشرق نهر جيحون (اوكسوس) وحدود الهند ومن الجنوب خليج العجم وخليج عمان ومن الغرب نهر الفرات . غير ان حدودها تغيرت مرارا وتكرارا بتغير الدول عليها فاتسعت وضقت على ما يجيء عند ذكر الملوك واعمالهم حتى صارت الى حالتها الحاضرة . ولما كان وصفها الجغرافي الحالي نما يحتاج الى الشرح الطويل فسنفرد له بابا خاصا بعد الفراغ من الكلام عن التاريخ القديم

وصفها الجيولوجي

وهذا ايضا يفيد فائدة كبرى في التاريخ اذ بين للقارىء علاقة الارض بسكانها وتأثير الظواهر والاضاع الطبيعية في اهل البلاد . وخلاصة ما يقال في صفات ايران الجيولوجية ان المعلوم عنها قليل بالنسبة الى غيرها من

البلدان لان سفر العلماء متعذر فيها . ومما يقال فيها بالاجمال ان هذه البلاد
بمجموع هضاب وبطاح او هي ربوة واحدة كثيرة الشعب والسهول . والظاهر
ان هضبة اذربايجان بركانية الاصل وتأثير النار وآثار البراكين ظاهرة في
اماكن عديدة من ولاية البرز . والزلازل قليلة في بلاد ايران ما خلا بعض
جهاتها مثل اراضي كيلان ومازندران حيث يكثر الارتجاج والاهتزاز
وكذلك ما حول جبل طورس حدث فيه سنة ١٧٢١ ارتجاج هائل وخسف
عظيم لم يسمع بمثله في التاريخ الحديث . وفي اسك من ولاية مازندران الى
جنوبي جبل دماوند ينابيع ماء حار معدني . واكثر جبالها مركبة من حجارة
كلسية وفي بعضها حجارة سمراء سماوية اللون يدخلها شيء من الكبريت
والكوارتز . واما تربة الصحراء الملحمة فمعظمها طفل صلب تعلوه طبقة من الملح
يبلغ سمكها في بعض المواضع قيراط او يزيد وفي بلاد ايران جزء عظيم من
هذه الصحاري وتكثر الصحاري الملحمة بينها ولبعضها منظر يهيب النظر وفيها
بجيرات تشبه التي اكتشفها الباحثون في صحاري افريقيا او هي اكبر منها
حجماً منها بحيرة اليرة تزيد مساحتها عن ١٤٠ فرسخاً مربعاً ويصب فيها نهر
هندمند الشير وطوله ١٥٠ فرسخاً . وفي بلاد ايران ما يزيد على ثلثين
بحيرة راكدة منها كثير في جبال اذربايجان العالية . والظاهر ان معظمها كان
يغمره الماء وليس فيها اليوم نهر كبير يصلح للملاحة . واما ارضها فيدخلها انواع
شتى من المعادن مثل الحديد والرصاص والنحاس والكبريت والانتيمون وفيها
الرخام المشهور والقهم الحجري . ويكثر فيها الفيروز وبعض الحجارة
الكرمية وخليج العجم شهرة في ما يخرج منه من اللؤلؤ النضيد وفي الخزان
الايرانية اكبر لآلئ الارض واثمنها

هواؤها

وهواء هذه البلاد كثير التقلب لا يثبت على حال فيكثر الحر الشديد في بعض انحاءها ويشد البارد القارس في البعض الآخر منها حتى اشتهر بين الاقدمين عن ابن احد ملوكها الاولين انه قال ان في بلاد ابيه من يذيه الحر وفيها من يجمده البرد . ولذلك تكثر في هذه البلاد احراض العيون والاستسقاء والم المفاصل . وسقوط المطر قليل في معظم الانحاء ومع هذا فالخشب فيها كثير في الهضاب والبطاح الكثيرة المشهورة عن هذه البلاد فنخص منها بالذكر بلاد اذربايجان وهي مادي القديمة واحسن مدائنها في فصل الصيف اصفهان واحسنها هواء بوجه الاجمال همدان وشيراز ومن احسنها في فصل الخريف طهران عاصمة الملك ولاكبرها ولع^ن بالنقل وتغيير المقام بتغير الفصول فيقطنون الجبال والمدائن الشمالية في الصيف ويرحلون الى الجنوب والاودية الحارة مدة البرد والشتاء وكانت هذه عاداتهم في اوائل عهدهم ايضاً . وسيأتي الكلام على زراعة هذه البلاد ومتاجرها وغير ذلك في حينه غير انه يقال بوجه الاجمال ان في بلاد ايران ثلاثة اقاليم اولها سواحل بحر الخزر يشد الحر فيها ويطول لانخفاضها كثيراً عن سطح البحر . وثانيها الربوة الوسطى وهي التي يصل فيها المجر والبرد الى نهايتها في الشدة تهب فيها الرياح الحارة مدة الصيف ويعلمون جبالها الثلج مدة الشتاء فيشد البلاء على الساكنين . وثالثها انحاء خليج فارس وتكثر فيها الرياح الحارة السامة . وقد قال اسطرابونيس المؤرخ اليوناني ان اهل سوس لا يمكنهم الخروج من بيوتهم وقت الظهيرة او يموتون في الطريق من الحر وريح السموم

مدائنها القديمة

واما أشهر مدائنها القديمة فكانت پرسپوليس واسمها الفارسي اصطخر لم يبق منها اليوم غير آثار قليلة تدل على عظمتها السابقة وهي على مسافة ٤٠ ميلاً الى الشمال الشرقي من مدينة شيراز ويسمون آثارها اليوم "چلمنار" اي الاربعين عموداً "وتخت جمشيد" وهو الذي بناها وسيأتي ذكره. وفيها من آثار القصور والكتابات والنقوش ما يدل على تقدم الذين بنوها ومن جاء بعدهم ومن غريب ما يروى عن آثارها ان في كتاباتها - وهي المعروفة بالكتابة المسارية - الهيئة المعروفة في مصر باسم ابي الهول ولم يقف الباحثون الى الآن على سبب هذا التشابه مع بعد الدين الايراني القديم عن دين المصريين القدماء. واجمع أكثر المؤرخين على ان الذي دمر مدينة اصطخر او پرسپوليس هذه هو الاسكندر المقدوني حرقها بعد رجوعه من غزواته الشرقية في الهند ونواحها وهي رواية مؤرخي اليونان ومن وافقهم ولكن فريفاً من العلماء يقول انها ظلت عامرة الى ايام الفتح الاسلامي فدمرها العرب في القرن السابع للميلاد. والرأي الاول ارجح وكانت هذه المدينة عاصمة الملوك الايرانيين القدماء واشتهرت مدينة سوسه اوشوشان في الولاية المعروفة اليوم باسم خوزستان وكانت عاصمة الملك مدة من الزمان ولم يبق من آثارها اليوم الا اقل من القليل لان أكثر البناء فيها كان من الآجر لا من الرخام مثل اصطخر وكان لها في ايام الدول الاولى شأن عظيم كما سيجيء.

واشتهرت في ايام ايران الاولى بلاد مادي وهي بلاد صخرية جبلية الى شمال ايران الاصلية وغربها تعرف اليوم باسم اذربايجان والعراق

العجمي وامتدت سطوة الماديين امتداداً كبيراً قبل أيام كورش حتى انهم حكموا بلاد ايران وسموها باسمهم واختلطوا بالاييرانيين اختلاطاً تاماً حتى صاروا معهم امة واحدة ولكن النفوذ ظلّ لهم مدةً طويلة وصارت السلطنة الايرانية تلقب باسم بلاد مادي وفارس على ما جاء في التوراة وكتب التاريخ القديم . ومن اشهر مدائن ميديا او بلاد مادي مدينة كادرس وهي المعروفة باسم تبريز اليوم ولكنها كانت دون العاصمة في المنعة والشهرة . نعي بها مدينة اكباتانا الشهيرة واسمها اليوم همدان وهي التي قاربت اصطخر وشوشان في الابهة والزخارف وفاقتهما في المنعة والقوة الحربية . واشتهرت مدينة اريا في شرقي مادي وكان لها في التاريخ شأن واسمها اليوم هرات وهي التي اشتق منها اسم آري او ايران واطلق بعدها على القبائل التي تشعبت من الايرانيين الاول نعي بها القبائل الآرية

والى شمالي اذربايجان او بلاد مادي هذه كانت ولاية هرkania (مازندران) وبارثيا (طبرستان) وكان ملوك ايران يقيمون احياناً في مدينة زندركترا عاصمة هرkania . واشتهرت صحراء قروان الى الشمال الشرقي من طبرستان هذه وهي التي عرف اهلها بحب التنقل والاعتداء على قوافل التجار واكثر الملوك القدماء من مهاجرتهم فلم يتمكنوا من قطع دابرهم ومن ولايات هذه المملكة القديمة بكتريانا اشتهرت عاصمتها بكتريا واسمها اليوم بلخ وهي الى شرقي البلاد يفصلها نهر جيحون عن ولاية سورخديانا وكانت هذه أيضاً من الولايات الايرانية وعاصمتها مراكاندا وهي سمرقند الحالية المشهورة بتجارها القديمة . وكل هذه الولايات الشرقية اليوم تابعة لروسيا وانكثرتا او تحت سيادتها وهي المعروفة عند الجغرافيين باسم

اسيا الوسطى وبلاد التتر وافغانستان وبلوچستان وغير ذلك واشتهر اهل ولاية غدروسيا (مكران) وولاية كرمانيا (كرمان) بعدم انقيادهم للحكومات الاولى وتوحشهم وبعدهم عن المدنية. هذه هي اشهر المدائن والولايات الايرانية القديمة ذكرنا خلاصة ما يعرف عنها حتى يحيط القارئ علماً بها وبمواقفها اذا جاء ذكرها في مايلي من الفصول. والآن نتقدم الى تاريخ هذه المملكة وكيفية نشأتها وما نقل عليها كما ترى في الفصول الآتية

✽ الدولة الپشدادية ✽

ان العلم بتاريخ ايران في اول امرها عسر لا يمكن الوصول اليه واكثر ما قيل عن هذه الدولة قبل ان يحكمها الملك كورش الشهير بعد بعضه او اكثره من قبيل الاوهام والخرافات ولكن مثل هذه الاقاصيص قد لا يخلو من الصحة وهي تنفيذ في الدلالة على حال الذين وضعوها وافكارهم ودرجة تمدنهم وغير ذلك مما هو المم الأكبر للمؤرخين اليوم . واول الكتب التي نقل الناس عنها اخبار ايران الاولى كتاب فارسي قديم يسمونه زنداڤستا وهو عبارة عن مجموع عقائد الايرانيين الاولين ولكنه لم يسلم من التحوير والتحريف ولم يعثر الناس عليه باكمله وجل ما سنذكره عن الدولة الپشدادية مأخوذ عن هذا الكتاب وعن كتاب آخر كتب بعد الاسلام اسمه دابستان وعن الشاه نامه الشهيرة وهي قصائد بديعة للفردوسي حوت كل ما رقى وراق عن تاريخ ايران واحوال دولها واهلها كتبها هذا

الشهير في اواسط القرن التاسع للميلاد * واما الحوادث التي نذكرها من ايام كورش وما بعده فمعظمها منقول عن مؤرخي اليونان مثل هيرودوتس واكسياس وزنوفون وعن مؤرخي الافرنج مثل بوب وشليل وبرنوف وغيرهم والذي يحسن تلخيصه من اساطير الاولين هو ان اول من حكم بلاد ايران ملك اسمه كيومرث او جيومرث وفي كتاب الدياتان السابق ذكره انه حكم بعد دولة توت الملك من قبله قرونًا عديدة . ويقولون ان كيومرث هذا كان حكيماً بين قومه واسع الادراك يزيد علمًا عن معظم اهل ايامه فبدأ بتعليم الناس وارشادهم فما نجح مع غير اهله وابناء طائفته وظل معظم الناس من الخاضعين له هجمًا يحاربونه آونة بعد اخرى وقتلوا ابنه سيامك في احدى المعارك فجرد عليهم جيشًا جرارًا وانتقم منهم وعاد الى اصلاح قومه حتى مات او تنازل عن الملك بعد ان حكم البلاد ثلاثين عامًا وخلفه حفيده هوشك ابن سيامك المذكور وكان احكم اهل زمانه واكثرهم علمًا وورعًا فعمل الناس عبادة الاله الخالق دون غيره وبني المدن وانشأ الترع والسواقي وهي تعرف باسمه في بلاد ايران الى هذا اليوم وقال الفردوسي انه هو الذي عرف الناس بالنار وقائدها وكان اكتشافه لما اتفقا باحتكاك قطعتين من الصوان ولما رآها لاول وهلة سبها "نور خدا" اي "نور الله"

وحكم هوشك اربعين عامًا فلما مات خلفه ابنه طهمورث او تاهامرس وهو الذي بنى مدينة اصفهان على ما يقول البعض . ويروي ان عبادة الاصنام بدأت في ايام هذا الملك اذ صار الناس يصنعون تماثيل اقاربهم ويحفظونها عندهم تذكارة للمتوفين ثم صار اولادهم يوقرون هذه التماثيل

ويكرمونها حتى اتصلوا الى عبادتها . على ان عبادة الاصنام لم تطل مدتها
 في بلاد ايران اذ قام حكيم منهم اسمه زردشت او زورواستر وعلم
 بوحدانية الاله ووجوب العبادة الروحية لا يدخلها اصنام وسنعود الى ذكر
 هذا الحكيم وتعاليمه . ومات طهران بعد ان حكم البلاد ثلاثين عاماً
 خلفه ابن اخيه جمشيد الشهير وفي كتابات الاقدمين شي كثير عن هذا
 الملك ولم يزل الايرانيون يذكرونه اليوم ويسمون آثار پرسپوليس بتخت
 جمشيد زعماء منهم بانه بناها وقد تقدم الكلام عن هذه المدينة . ويقولون انه
 اصلح اموراً جمّة في بلاده وعلم قومه كثيراً من الصنائع المفيدة . وقسم
 الناس الى اربع درجات الاولى طبقة الكهنة والعلماء واهل الدين والعبادة
 وكانت كل المعارف والعلوم محصورة فيهم . والثانية طبقة الكتاب وكانوا
 يحررون الكتب الاميرية ويقيدون كتابات الحكام ويحفظونها . والثالثة
 طبقة الحارثيين ولم يكن لهم شغل غير الهجوم والدفاع . والرابعة طبقة العمال
 والزارعين . قيل وادخل جمشيد الى بلاده شيئاً من علم الفلك وعلم الناس
 حساب الايام والشهور والسنين ووضع طريقة السنة الشمسية فجعل اول العام
 يوم دخول الشمس في برج الحمل وسماه يوم النوروز او النيروز ولم يزل
 الايرانيون يعتبرون هذا اليوم ويحتفلون بقدمه . ولكنه ضل في آخر ايامه
 وطغى فسمى نفسه الها واصر الناس بالسجود لتمثاله فنذر رعاياه وشقوا عصا
 طاعته وهاجمه امير من امراء الشام او العرب يسميه مؤرخو العرب الضمّاك
 فهرب جمشيد من وجهه وظل يفر من اعوانه من بلاد الى بلاد حتى قبضوا
 عليه وقتلوه بعد العذاب الكثير

ويروون عن الضمّاك هذا قصصاً هائلة منها انه كان عاتياً كثير الفتك

والظلم وكان له على كتفه صلان لا يعيشان الا باكل دماغ البشر فكان يقتل
لها الناس ويطعمها ادمعتهم حتى ضج الناس من هول ظلمه وقاموا عليه
بتحريض حداد اسمه "قعره" هاج الدم في عروقه لما أخذوا ولديه ليطعموا دماغها
للتعبانين وكان الحداد يطارد جيوش الملك الظالم والجاهيرين ورائه تخفق فوق
رؤوسهم راية هي رداء الحداد فانتصروا على الظالم وقتلوه وملكوا مكانه اميرا
من بيت كيو مرث اسمه فريدون. ومن غريب ما يروى ان الايرانيين ظلوا
يستعملون رداء الحداد راية لهم وعلامة لدولتهم الى ايام الفتح الاسلامي
وكان لفريدون هذا ثلاثة ابناء قسم مملكته بينهم فاعطى اكبرهم واسمه
سلم او شرم كل البلدان الواقعة اليوم في حكم الدولة العلية والثاني واسمه
طور او طوس كل البلدان الشرقية وهي اراضي اسيا الوسطى واعطى
الثالث واسمه ايرج بلاد ايران الاصلية فبعد ان تولى كل منهم بلاده
اتفق الاثنان الاولان على حسد الثالث واضمرا له الشر فارسلوا الى ابنيهما
يطلبان اليه ان يرسل اليهما اخاهما الاصغر ليقضي معها برهة ولما وصل الى
حيث يقطنان قاما عليه وقتلاه ولم يشفقا على صباه ولا رحما بعد ما اتاه من
التذلل والترجي والوعد بترك الملك لهما. فلما بلغ فريدون ذلك كثرت همومه
واقسم الا يستريح حتى ينتقم من ابنيه الظالمين وكان لا يرج ولد صغير ربا
جده حتى ترعرع وصار فارسا وكان اسمه منوچهر فاحس الاثنان بسوء
العقبى وبعثا بالهدايا الى والدهما فردها وداهما بالجيوش تحت قيادة منوچهر
والتقى هذا الفتى بعبيه فقتلها في ساحة القتال واستتب الملك له مدة حياة جده
ومات فريدون بعد ان رأى السلام والامن عادا الى بلاده واوصى حفيده
ان يسوس الناس بالعدل وقال له "ما معناه" افرض ان كل يوم من ايامك

ورقة في تاريخ حياتك واحذر الأ يكتب فيها شي لا يليق بك
 وكان منوچهر هذا ملكاً حاقلاً سار برأي كبير وزرائه سام الحكيم ولهذا
 الوزير مقام كبير في تاريخ الاقدمين لانه جد بطل من ابطال الزمان يسميه
 الاميرانيون رستم ويروون عنه العظائم والكبائر وأكثر ما قيل عنه ان ملوك
 التتر والعرب وغيرهم أكثروا من مهاجمة البلاد في ايامه فكان يردهم ويفل
 جيوشهم ويخلص ملك بلاده من ايديهم وقد أكثر الفردوسي من ذكر هذا
 البطل والاعجاب به والاطناب بمدحه

ولما احس منوچهر بقرب الوفاة اوصى ابنه وولي عهده نوزر بالعدل
 في الرعية واتباع نصيحة وزيره الحكيم سام ولكن هذا المليك غض النظر
 عن وصية والده واتبع الاهواء فثار عليه الاهالي وارادوا خلعه فارسل وراء
 الحكيم سام ورجاه العون فاعانه وحمل الاهالي على السكون والخضوع ولكنه
 ما علم ان تخلص من هذه البلية حتى وقع في اعظم منها اذ هاجمه ملك
 طوران (بلاد التتر) بثلاثين الف محارب تحت قيادة ابنه الشهير افراسياب
 وسيكثر ذكر هذا الامير في تاريخ هذه الدولة. وحدث ان سام الحكيم مات
 في اثناء الحرب فتقوى جيش التتر وايقنوا بالنصر ومع ان نوزر اظهر بسالة
 في الحرب تليق باجداده الا انه لم يقوَ على افراسياب فوقع في يد اعدائه
 مرة وقتلوه بعد ان حكم ايران سبع سنوات

وحكم افراسياب البلاد ١٢ سنة بعد هذا النصر الى ان نهض زال ابن
 الحكيم سام لمقابلته فجمع جيشاً بمساعدة احد الامراء من اقاربه وقاوم الفاتح
 وخابراه اغراريس بالافراج عن الاسرى الايرانيين فيمنصبه ملكاً على
 ايران بدل اولاد نوزر فرضي الامير التتري بذلك واتم المطلوب ولكن

اخاه افراسياب احس بجيانه قبل ان يتمكن من الفرار فذبحه في حضور القواد والامراء ذبحاً . فلما اتصل خبر ذلك بالحكيم زال عين اميراً اسمه زو على ايران فحكها هذا الملك مدة أخضع في خلالها ولاية فارس وضماها الى مملكته وخلفه ابنه كرشاسب ولم تطل مدة حكمه حتى ظهر عدم كفاءته للملك فخلعه زال وولى مكانه كيتباد وبذلك انقرضت الدولة الايرانية الاولى ونشأت الدولة الكيانية التي سنجي على ذكرها

هذه خلاصة ما جاء في تاريخ الفردوسي وغيره من مؤرخي الشرق عن الدولة الپيشدادية ولم يذكرها مؤرخو اليونان في شيء وان يكن بعضهم ألمع الى ذكر بعض ملوكها . ويقول المؤرخون الشرقيون ان هذه الدولة حكمت ايران نحو ٢٤٥٠ سنة ولم يذكروا من ملوكها غير اثني عشر وهذه مدة حكم الملوك الذين ذكرناهم على رواية الفردوسي

٣٠ سنة	كيومرث
٤٠ سنة	هوشنگ
٣٠ سنة	طهمورث
٧٠٠ سنة	جشيد
٨٠٠ سنة وهي مدة استيلاء الاشوريين على ايران	الضحاك
١٠٠٠ سنة	فريدون
١٢٠ سنة	منوچهر
٥٥٧ سنين	نوزر
١٢ سنة	افراسياب

زو وكرشاسب عاشا مدة حكم افراسياب وحكما جزءاً صغيراً من البلاد

واما تاريخ قيام هذه الدولة وتاريخ انقراضها فمن الامور التي لا يمكن العلم بها ولكن العارفين يرجحون ان كيقباد اول ملوك الدولة الكيانية قام سنة ٧١٠ قبل المسيح واسمه عند مؤرخي اليونان ديوسس كما سيجي واشهر ملوك الدولة البيشدادية على رواية الذين ذكروها هو جمشيد الذي يقولون انه حكم سبعمائة سنة وهو مما لا يصدق على اي حال والمرجح ان مدة حكمه تشير الى الادوار التي مرت على ايران اذ تقدمت من الممجيّة الى الحضارة وظهر من آثار تمدنها ما دل على عظمتها في هذه المدة . ومن المؤكدان في رواية الضحاک شيئاً من الصحة وهو حكاية هجوم الاشوريين على بلاد ايران وامتلاكها ويقرب من الدهن ان البلاد ظلت تحت حكمهم الى ايام الملك ساردنابالوس الاشوري الذي اشتهر بالاهال والتراخي والضعف حين قام امير من اهل ايران اسمه ارباسس ذكره هيرودوتس وغيره من مؤرخي اليونان وقالوا انه هاجم اشور في عاصمتها نينوى وامتلكها واهل البلدة لاهون في اللذات نخلص بلاده من ظلمهم وهذا ينطبق على ما قاله المؤرخون الشرقيون عن فريدون ولا يبعد ان يكون هو بعينه . وما يزيد الحكاية تأكيداً مسألة الحداد "قعوه" الذي مر ذكره وقيامه على اعداء بلاده ومساعدته لفريدون او ارباسس على استرجاع الملك منهم وكان جراب الحداد هذا علامة الملك والوطنية عند الايرانيين يرفعونه راية في الملمات والشدائد وظلوا يعظمونه الى السنة الرابعة عشرة للهجرة حين هاجمهم العرب تحت قيادة ابن الوقاص وملكوا بلادهم وارسلوا رايتم الى الخليفة عمر وجاء ذكر منوچهر في بعض التواريخ اليونانية ايضاً وهي تسميه مندوسس ولكنها لم ترو عنه ما يستحق الذكر . واما نوزر فاسمه عندهم سوسارمس

وزوارتكاس وكرشاسب اريانس وكانت هذه عادة اليونان يغيرون اسماء
الاماكن والاشخاص الغريبة ويحملون لها اسماء يونانية وقد اوجدت هذه العادة
عناء كبيراً للذين اهتموا بدرس تاريخ ايران وموافقة ما كتبه على ما كتبه
المؤرخون الشرقيون من الايرانيين والعرب وغيرهم

الدولة الكيانية

قلنا ان الدولة الايرانية الاولى انتهت بعزل آخر ملوكها لعدم جدارته
وانتخاب امير آخر بدله اسمه كيقباد جد الدولة الثانية المعروفة باسم الكيانية
ومن هنا يمتدئ تاريخ ايران الحقيقي واتفاق الرواية بين الذين دونوا هذه
الحوادث في الغرب ايام الفتح اليوناني وبين مؤرخي البلاد الوطنيين . فقد
اتفق هيروdotس والفردوسي على ان كيقباد هذا رقي الى الملك بالانتخاب
حتى يخلص البلاد بحكمته ودرابته من مشاكلها ومصائبها وكان ذلك عام ٧١٠
قبل الميلاد . وجاء في تاريخ هيروdotس ان ديوسس او كيقباد هذا بنى مدينة
اكباتانا عاصمة مادي واسمها اليوم همدان وانه اصلح في البلاد اموراً كثيرة
حتى اذا هاجم بلاده الباليون وسار لردم قتل في الحرب وخلفه ابنه فراورت
وهو ثاني ملوك العائلة الكيانية وليس له ذكر في تواريخ الشرقيين

واما الفردوسي فما يقوله عن كيقباد هذا انه حالما استلم الملك سلم
الادارة لوزيره زال الحكيم واقام ابنه البطل الشهير رستم قائداً على الجيش
ليرد عن البلاد هجمات التتر واميرهم افراسياب . قيل والتقى الاميران يوماً
في ساحة القتال وبعد العراك الطويل مد رستم يده واقتلع افراسياب من

سرجه ولكنه افلت من يده وتكاثر الاعوان جوله فخلصوه من يد رستم وفرّوا مع مليكهم من وجه هذا البطل الصنديد ثم عقد بين المتحاربين صلح وعاد كل الى حاله . وعاش كيقباد بعد هذا الصلح مدة قصيرة وكانت مدة حكمه على رواية الفردوسي ١٢٠ سنة . وكان عاقلاً عادلاً كثير الحلم والبر محباً لبلاده مكباً على اصلاحها خلفه في الملك فراورت كما مرّ وملك بعده ابنه كياكسارس او كيكاووس وهو من أشهر ملوك هذه الدولة

واستهل كياكسارس حكمه في وسط الصعوبات الجمّة فانه ما لبث ان تولى الملك حتى اضطرّ الى محاربة الاشوريين وبينما كان يحاصر عاصمتهم نينوى هجم التتر على بلاده وملكوها بعض انحاءها الشرقية وظلوا فيها نحو ٢٨ عاماً يظلمون الايرانيين ويستعبدونهم حتى دبر لهم كياكسارس دسيسة وهيج الاهالي عليهم فقلبهم وذبحوا اكثرهم . ونجا من التتر بعض الناس فالتجأوا الى ملك ليديا (في الاناضول) وطلبوا مساعدته فساعدهم باسهار الحرب على ملك ايران ودامت هذه الحرب خمسة اعوام حدث في اثناهما ان الشمس كسفت كسوفاً تاماً فذعر الفريقان وفرّ المتحاربون من ساحة القتال خوفاً ورعباً . ثم عقد الصلح بين الدولتين وعاد كياكسارس الى محاربة الاشوريين وشدّد الحصار على نينوى مع ملك بابل الى ان فتحها عنوة ودمر اها تدميراً عام ٦٠١ قبل المسيح . ثم تقدم ملك ايران مع حليفه ملك بابل الى سورية وقتل فرعون نبحو ملك مصر الذي ملك تلك البلاد بالسيف وغازاً عليه في موقعة كركيش ونقدم كياكسارس منها الى الانحاء الغربية من اسيا فاخضع اكثرها ونال عزاً ومجداً لم يسبقه اليها احد قبله من ملوك ايران وعاش طويلاً ثم مات وخلفه في الملك ابنه استياجس

هذه رواية هيرودوتس واما الفردوسي فيذكر عن كيكاسارس هذا (او كيكاووس) انه سمع في اوائل حكمه ببلاد هرkania (مازندران) وبلغه خبر هوانها الطيب ومائها العذب فاراد اخضاعها وكان يقطنها يومئذ قوم برابرة لا يقوى الفير على محاربتهم وتدوينهم فالح عليه الامراء بالعدول عن رأيه فلم يرض وقام بجيشه لمحاربتها واناب عنه زال الحكيم في الملك فلم يرض زال بالثباية ولكنه تعهد بمساعدة الذي يعينه الملك لهذه الوظيفة فاقام كيكاووس اميراً اسمه ميلاد مكانه وسار للحرب

ولما بلغ اهل ما زندران خبر قدومه استعانوا بجاري لم اسمه الشيطان الابيض فقدم برجاله والتقى الجيشان فكسر الايرانيون شر كسرة وأسر كيكاووس وكان سبب انكسارهم اصابة كل رجالهم بالعمى في وسط احدى المواقع (ولعل هذا يوافق ما تقدم عن كسوف الشمس) وفر بعض الايرانيين من الاعداء فأخبروا اهل بلادهم بهذا المصاب العظيم وهب البطل رستم في الحال لانقاذ ملكه فلما وصل الى بلاد الاعداء حاربهم وانتصر عليهم وخلص كيكاووس من الاسر بالبسالة وقوة السحر والطلاسم . ثم أخضع هؤلاء الاعداء وعاد بملك ايران منصوراً الى بلاده فاقام كيكاووس بعد هذه الحرب مدة في اصفهان لا يأتي عملاً حتى خطر له ان يتزوج ابنة ملك همفران (اشور) فخطبها من ابيها وظهر له النجاح اذ دعاه هذا الملك الى مدينته ورحب به حين وصوله ولكنه التى القبض عليه وابقاه عنده اسيراً بعد حين . فلما اتشرب خبر هذا الاسر وقعت البلاد في المشاكل وصارت الى حال يشبه الفوضى فانتهاز افراسياب اميرالتتر فرصة هذا الضعف وعاد الى مهاجمة ايران فعاد رستم الى النظر في خلاص بلاده وسار في الحال لانقاذ الملك فأنتقذه

بعد ان اتصر على اعدائه واضطروهم الى محالفتهم ومعاونته على طرد افراسياب وجيشه من بلاد ايران فلما اجتمع المتحالفون على هذا الامير التتري رأى ان الرجوع أولى فحارب ولم ينجح وعاد بالحينة الى بلاده  وقد جاء في حكاية هذه الحروب ذكر حادثة مؤثرة عن البطل رستم اذ قتل ابنه في احدى المعارك وهو لا يعرفه فسبب له الحزن والكدر الى آخر ايامه . وبيان ذلك ان رستم اغتصب فتاة تترية في اول عمره ثم ضاعت منه ولم يعد يعلم محلها مع انه أكثر من البحث والسؤال عنها وولدت هذه الفتاة ولداً فائق الجمال زائد البسالة سمته سهراب وارثي هذا الفتى حتى صار من قواد التتر المشاهير وكان يعلم ان رستم ابوه ورستم لا يعلم ذلك . فبعد ان طالت احدى المعارك تقدم سهراب بين صفوف المتحاربين وطلب البراز من فرسان اعدائه فتقدم اليه كثيرون وقتك بهم ورأى رستم ان هذا الفتى لا يقهر الا اذا تقدم له بنفسه ولكنه ما اراد ان يبارز صبياً فغير زيه واسمه ونقدم لمبارزته . وتقاتل البطلان ثلث مرات كان الفوز في الاولى قريباً من سهراب ولكنه رضي بالانفصال والراحة بناء على طلب خصمه مع انه لو الح في اتمام البراز لا يمكن له الفوز . وفي المباراة الثانية اتصر سهراب على رستم انتصاراً تاماً ولكنه عفا عنه وردّه الى مقامه وسمح له بمبارزته ثانياً وكانت المرة الثالثة هي القاضية على هذا الفتى الباسل اذ تمكن منه رستم وقتله . فلما احسن الفتى سهراب بقرب الوفاة نظر الى قاتله وحذره من عاقبة فعله وقال له احذر ان يعلم البطل رستم يوماً انك قتلت ابنه . فوقع هذا الكلام على قلب رستم وقوع الصواعق وبيت من سماه حتى اذا افاق من ذهوله سأل خصمه عن معنى قوله فأراه سهراب علامة

دلت على صدقه وحكى له حكاية امه وهو يقاسي نزاع الموت فتأثر رستم
تأثراً خارق العادة ومد يده الى سيفه ليقتل به نفسه فتمعه ابنه قبيلى وفاته
ورجاه ان يعقد صلحاً مع التتر ويسمح لهم بالعود الى اوطانهم لما عرف ان
الذي قتله هو ابوه رستم وتم الصلح بين المتحاربين
وحدث في عهد كيكاووس هذا امر نتج عنه عود التتر والاييرانيين الى
القتال والنضال . وكثر بسببه قتل الابطال وارباك الاحوال . ذلك انه
كان لهذا الملك زوجة تترية يتصل نسبها بافراسياب ورزق منها ولد سماه
سياوش ووكل البطل رستم بأمر تهذيبه وتربيته فنبغ سياوش في العلم والبسالة
وامتاز بالجمال والذكاء على اهل عصره حتى ان احدى زوجات ابيه وهي
صدبه ابنة ملك اشور شغفت بحبه وراودته عن نفسها فأبت نفسه الابنة
الانقياد لاغرامها فشكته الى ابيه واتهمته بما لم يقع منه ولما تحقق الملك كذبتها
اراد الفتك بها فتمعه الفتى سياوش من ذلك ولكن هذه الحادثة ما فتأت تدبر
الحيل لسياوش وتكيد له المكاييد حتى اوقعت انفرة بينه وبين ابيه وحببت
اليه هجر المنازل والربوع وكان على وشك البعد عنها حتى عادت الحرب الى
حالها بين التتر والاييرانيين بسبب طمع افراسياب وحفده فتولى رستم
وسياوش قيادة الجيش الايراني ولم تطل مدة القتال حتى حمل افراسياب
حماً اقلقه واضطره الى طلب الصلح فرضي به رستم وسياوش واشترطا على
عدوهما شروطاً صعبة منها ارسال مائة رجل من اعيان بلاده ليقبوا في
ايران رهناً يمنعهم من تجديد الحرب او يقتلون فرضي افراسياب وارسل
الجماعة . ولما بلغ كيكاووس الخبر غضب وتكدر وولى قائداً اسمه طور على
جيشه وامره باستمرار الحرب وقتل اعيان التتر الذين في قبضة ابه ورستم .

فلما رأى سياوش هذا الغدر المشين من ابيه وكانت نفسه ملانة غيظاً منه ومن امرأته الاشورية بسبب دسائسها ترك ايران وذهب الى عدوه افراسياب فلاقاه الامير التري بالترحاب الزائد واکرم وفادته وساعده على الاقتران بأجل الفتيات في بلاده وهي ابنة وزيره الاكبر بيران ويصا المشهور في الانحاء الايرانية بالحكمة شهرة لقمان في البلاد العربية . ثم اقترن سياوش بالاميرة فرنجيس ابنة افراسياب نفسه وعاش مع اقاربه هولاء زماناً طويلاً عزيزاً كريماً وتولى ادارة الولايات المجاورة للصين من بلاد التتر زماناً حتى وشى به الولاة وزينوا لافراسياب انه كان يعمل على الاستقلال فبعث ورائه يريد ايماده عن تلك الولايات ولكن الوشاة عادوا الى مكائدهم واضطروا افراسياب الى قتل صهره الباسل بلا ذنب ولا سبب . واراد افراسياب ان يقتل ابنته فرنجيس ايضاً لئلا تعمل على الانتقام منه والاخذ بثار زوجها سياوش . وكانت يومئذ حاملاً فاكنتى بقتل ابنها يوم ولادته وامر وزيره بيران ويصا الذي مر ذكره بانفاذ امره فاشار بالطاعة ولكن الحنان منعه من قتل الطفل البريء فسلمه الى احد الرعاة وامره بتربيته وكتان خبره . ومرت الاعوام الطوال على هذا الامر حتى شاع بين الناس ان ابن سياوش حي يرزق وان اسمه كيخسرو (كورش وسياتي ذكره) فاقر بيران ويصا لاميره افراسياب بالواقع واخبره ان الولد معتوه لا يجشى من شره ولا يرجي منه خير وكان قد اوصى الفتى كيخسرو ان يتظاهر بالبله امام جده واعلمه بالامر فلما مثل كيخسرو امام افراسياب اظهر من الجنون والبله ما حمل جده على السكوت عنه واطلاق سبيله . واما بلاد ايران فهاجت هياجاً عظيماً لقتل سياوش الباسل يوم سمعت

به وجيش ملكها كيكاووس جيشاً جراراً للاخذ بشار ابنه فلم يرض رستم
 بقيادة هذا الجيش الأعلى شرط ان تقتل الملكة صديقه الاشورية التي
 كانت سبباً في بعد سياوش وما جرى له فاتم الملك الامر على كره منه
 ونقدم رستم بجنوده ومعه ابنة الباسل فرامرز وحارب الاعداء وانتصر عليهم
 في عدة مواقع واضطرم الى الفرار بعد حرب عوان طال عليها المطال
 وكثرفيها عدد الذين قتلوا من الابطال . وكان افراسياب يوم فراره
 قد عول على قتل كيخسرو فتمعه الوزير الحكيم مرة ثانية من ذلك واقنعه
 بان ابعاد الفتى عن بلاده يكفي لثوال المطلوب فأبعد كيخسرو ابن سياوش
 الى بلاد الصين ولم يعد يعرف مقره . ولما انتصر الايرانيون وملكوا بلاد
 اعدائهم قصد الملك كيكاووس ان يعرف محل كيخسرو ويأتي به الى داره
 ليتعزى بوجوده عن موت ابنه سياوش فارسل السعاة والرواد والقصاصين
 الى كل بلاد للبحث عنه وظلوا مدة يجوبون الاقطار ويتشمون الاخيار حتى
 وجدوه وجاؤا به الى جده الملك كيكاووس نفرح به فرحاً زائداً وتنازل
 عن الملك له في محفل حافل من اعيان بلاده فقام بعضهم واعترض على
 هذا العمل قائلاً ان ابن الملك برمرز احق بالملك بعد ابيه من ابن اخيه
 هذا وانماز اليه بعضهم فطال الجدل بين الفريقين حتى عزم الملك على
 ارسال ابنه وحفيده الى بلاد المردة او البرابرة الذين مر ذكرهم وقال ان
 الذي ينتصر عليهم يكسب الملك فوافق الامراء على هذا الاقتراح وتوجه
 الاميران للسعي وراء نوال الغاية المقصودة فخاب برمرز سعيًا ونجح كيخسرو
 فتوجه ملكًا على بلاده حال رجوعه

هذه حكاية كيكاووس من ايركيا كسارص على ما رواه الرواة الايرانيون

وهم يقولون ان الذي خلفه على الملك خفيده كيكسرو المعروف باسم كورش الفارسي ولكن من المقرر ان الذي خلف كياكسارس هذا هو استياجس رابع ملوك الدولة الكيانية واسمه في التوراة احشويروش (او اخش زيوروش ومعناه البطل القدير وهو لقب كان يعطي لأكثر ملوك ايران في هذه الدولة) وما يذكر عنه انه زوج ابنته لامير من امراء فارس (الولايات الشرقية من ايران) فرزقت منه ولد سمته كورش او خسرو ومعنى اسمه الشمس وهو الذي تقدم لنا ذكره وكيفية ولادته حسب رواية الفردوسي وهي لا تختلف كثيراً عن الرواية اليونانية غير ان الإيرانيين يقولون ان كورش كان ابن سياوش بن كياكسارس واليونان يذكرون انه كان ابن استياجس . وفي التواريخ اليونانية ان الوزير رباه خفية فلما شأ وظهر امره ذهب الى بلاده (بلاد فارس) فوجد الناس يثنون من حكم جده وظلم الماديين — اي اهل اذربايجان موطن ملوك ايران الاول الى قيام كورش هذا — فجيش منهم جيشاً وهجم به على الملك وخلمه ووضعته في السجن ولكنه لم يشأ ان يحكم البلاد فنادى بجاله كياكسارس الثاني ملكاً . ولم يذكر المؤرخون الإيرانيون في ما كتبوه شيئاً عن استياجس ولا كياكسارس الثاني هذا وحالما استتب الملك لكياكسارس الثاني ارسل جيش بلاده تحت قيادة كورش لمحاربة بابلونيا واخضاعها في سنة ٥٦٠ قبل المسيح . وكانت بابل مدينة عظيمة لها قوة هائلة فحاصرها كورش حصاراً طويلاً وكان ملكها بلشاصر قد ترك مهام الملك للانغماس في الرذائل وانتهاب المذبات وهيج سخط الدراوش^(١)

(١) الدراوش (اوداريوس على ما ورد في التوراة) لقب ملوك ايران الاول

مثل لقب فرعون عند المصريين وقيصر عند الرومانيين

ولكنه ازدري بقوته وسخر بمحاولته اخضاع بابل فلما جاءها كورش وحاصرها
 هذا به واوالم الولايم لاعوانه وهو يظن ان فتح مدينته مستحيل وعمي بصره
 عن تدابير كورش اذ حوّل مجرى النهر الذي كان يشق المدينة العظيمة
 وامر جنوده بالعبور اليها تحت جنح الظلام حالما ينقطع الماء ويمكن لهم السير
 في مجراه الى داخل المدينة ونجح في ذلك نجاحاً تاماً فدخل العاصمة العظيمة
 واهلها يسكرون ويطربون وملكها في وسط اعيانه يترجح مما شربه من الخمر في
 كرهوس من الذهب الخالص اختلسها ابوه من هيكل الله في القدس الشريف
 يوم بطش باليهود وسبهم فأهاج سخط الله القدير وظهرت له في تلك الساعة
 يد انسان كتبت على حائط قصره بأزاء الذبراس كتابة غريبة وكان يرى
 اليد تكتب والرعب ملء فؤاده حتى خفق قلبه واصطكت ركبته فصاح
 في من حوله ان احضروا لي كل ساحر ومنجم ليقرأ هذه الكتابة فأتوا بهم وما
 قدروا على قراءتها ولا عرفوا الملك بتفسيرها وظل العاتي في حيرة حتى
 دخلت عليه الملكة واعلمته بوجود حكيم من بني اسرائيل (هو النبي دانيال
 عليه السلام) يقدر على تفسير هذه الغوامض فأحضره الملك وعلم منه ان
 الكتابة نقرأ كما يأتي "منا منا ثقيل وفرسين" ومعناها ان الله أحصى ملكك
 وانها ووزنت بالموازين فوجدت ناقصاً ولهذا قسمت بملكك فاعطيت لمادي
 وفارس . وفي تلك الليلة استولى سررش على بابل وقتل ملكها بعد ان دافع
 عن نفسه دفاع الابطال لما افاق من غفلته وسقط تحت اقدام الايرانيين
 فسقطت مملكته بسقوطه في سنة ٥٣٨ قبل المسيح

وبعد ان ظلت اكبائانا عاصمة ايران مدة طويلة انتقل كياكسارس هذا
 الى بابل التي ملكها جيشه وجعلها عاصمة ملكه . وكان من امر هذا الملك

انه علم بدانيال النبي وحكمته تقربته منه وانعم عليه بكل هبة وجعله وزير دولته الاول ففسده الامراء الايرانيون وسعوا في نكايته وزينوا للملك اصدار امر عال يقضي بالآترفع صلاة الآاليه مدة ثلثين يوماً وكانوا يعلمون ان دانيال لا يصلي الآ الى الله عز وجل تعالى عما يعملون . فاصدر الملك امره بذلك ولما نبي اليه خبر دانيال وعصيانه امر ان يلقي في جب الاسود عقاباً له على مخالفته امر الملك وكان يظن ان هذه الضواري تلتهمه حال وصوله . الآ ان الاله القدير حرس نبيه وسدّ افواه الاسود فما قربت منه ولا مسته بضرّ وندم الدراوش او الملك الايراني عما فرط منه فهرع الى جب الاسود يرثي دانيال ولما وقف فوقه سمع صوت النبي وعلم انه حي بقوة الله القدير فاخرجه في الحال وشدّد الوطأة على حساده الواشين ورفع مقامه وأكثر من اكرامه وظل هذا النبي العظيم وزيراً لكيكاسارس الثاني الى آخر ايامه

وكان كيكاسارس او داريوس هذا ملكاً عظيماً خضعت لهيته الملوك واطاعت رسله الممالك وهو الذي بدأ بضرّب النقود الايرانية من الذهب وصارت هذه النقود واسطة التعامل والمناجزة في أكثر الانحاء المعروفة في ايامه واسم القطعة منها "دارك" وكانت تقرب من الليرا عندنا في قيمتها . ويرجحون انه غنم ذهب هذه النقود من بابل يوم اخضعها حفيده كورش وكانت خزائن هذه المدينة مملآى بما جمعه ملوكها من البلدان التي اخضعوها وينوع اخص من هيكل سليمان في القدس . وما يروى عن هذا الملك انه كان يميل الى اليهود ويحسن معاملتهم ويأمر برفع الظلم عنهم وتقدم بعضهم في ايامه وفي مقدمتهم النبي دانيال كما تقدم . وحذا أكثر ملوك الفرس حذو

داريوس او كياكسارس هذا في الاحسان الى الامة الاسرائيلية ورفع المظالم
 عنها خلافاً لغيرهم من ملوك الامم التي اخضعت هذه الطائفة واذاقتها البلاء
 الاكبر. ولعلّ السبب في ذلك قرب ديانة الايرانيين القدماء من ديانة اليهود
 كما سيبيء في الكلام على آداب ايران القديمة ولغاتها وعوائدها وعقائدها
 ومات كياكسارس سنة ٥٣٤ ق. م. خلفه في الملك كورش الفارسي
 الشهير واسمه في التواريخ الايرانية كيخسرو كما تقدم. روى المؤرخون من
 اليونان عن كيفية ولادته ونشأته ما يقرب من رواية الفردوسي وزملائه اذ
 زعموا ان استياجس الملك الذي تقدم الكلام عنه كان له ابنة اسمها مندان
 زوجها بالامير كبيس من امراء فارس او الفرس وهي الولايات الشرقية
 من ايران وتعرف اليوم باسم بلخ وحدث انه رأى في منامه يوماً ما ازعجة
 واقلقه فأرسل في الحال وراء السحرة والمنجمين وقصّ عليهم حمله قائلاً انه
 رأى في حديثه شجرة زرعهما بيده تمتد وتنمو حتى ظلت اغصانها اكثر انحاء
 مملكته وما يجاورها فعبّر السحراء الحلم بأنه سوف يولد من ابنة الملك غلام ينمو
 ويعظم نفوذه حتى يعتصب الملك من جده. فلما سمع الملك استياجس هذا التأويل
 بعث وراء ابنته وكانت حاملاً فلما وضعت الغلام سلمه الى وزيره هارباغوس
 واوصاه بقتله فأخذه الوزير وما ظاوعه القلب على اقتراف هذا الاثم الفظيع
 واعطاه الى أحد الرعاة واوصاه أن يرحي به في الصحراء ويأتيه بالادلة على
 موته. فاخذه الراعي وكان له امرأة شديدة الخنوع لم توافقه على قتل الطفل
 وانفق انها ولدت في تلك الليلة طفلاً ميتاً ففرحت بمخلص كورش واعطت
 زوجها الطفل الميت ليلقيه في الصحراء بدل الامير الصغير واعتنت هي بربيته
 حتى شبّ وظهرت عليه لوائح النجابة ودلائل الامارة وانجبه اولاد قريبته

رئيساً عليهم يدبر حركة الالاب بينهم ويقاص الذي يخالف او امره وكانوا يطيعونه راغبين . وخالفه في احد الايام ابن امير من امراء ايران فأصر كورش على جلد الصبي وشدّد عقابه فانسلّ الصبي بعد هذا وقد كثرت اوجاعه وشكا الامر الى ابيه فقام الامير بابنه الى عاصمة الملك وعرض الامر على الملك استياجس فأمر باحضار الجاني في الحال فحضر اليه ولما سئل عن سبب فعله أقرّ بالحكاية وبينّ الاسباب بلهجة دلت على علو نفسه وشرف اصله . وبهت استياجس من فصاحته وجمال منظره ومن مشابهته الغربية في الملامح لابنته مندان وحدّثه قلبه ان الفتى حفيده فأرسل وراء وزيره هارباغوس ودقّق في البحث منه فآقرّ الوزير بالحكاية وطلب الصفع . ولم يشأ استياجس ان يقتل حفيده ولكنه عاقب الوزير على مخالفته الامر بقتل ابنه وردّ كورش الى امه فاعتم كورش ان وصل الى بلاد ابيه حتى طفق يعي العساكر ويكثر من الاستعداد لمحاربة جده الظالم وكان اهل فارس كلهم اعوانه في الامر . ولما احس استياجس بالخطر جمع جيشه وارسله لمحاربة كورش تحت قيادة وزيره هارباغوس الذي كان يريد الانتقام من ملكه العاتي ويراسل كورش سرّاً ويدله الى ما يؤكّد له النصر فلما التقى الجيشان سلم القائد الايراني لكورش ودخل الشاب عاصمة جده منصوراً فاسره وابقاه في بلاطه اسيراً الى آخر ايامه ولم يشأ ان يحكم البلاد في ايامه فاقام مكانه خاله كياكسارس الثاني اوداريوس وهو الذي تقدم الكلام عنه ولما صار كورش ملك ايران اتقلت السيادة من مادي او اذربايجان الى بلاد الفرس وكان كورش هذا اعظم ملوك ايران الاول واوّل من وطد دعائم الملك فيها واشهر من دوّخ البلدان القاصية من ملوكها وهو الذي اخضع

معظم البلدان الواقعة الى غربي بلاده مثل مملكة اشور وبابل وليديا وممالك
الاناضول قبل ان صار ملكاً. واستهل حكمه باصدار امر يقضي باعادة اليهود
من السبي الى بلادهم بعد ان طال على اسرهم المطال فحقق بذلك ما أنبأ به
النبي اشعيا قبل ايامه بمائة عام وظل بعد ذلك سبعة اعوام يجاهد في اصلاح
داخلية بلاده وتنظيم امورها وانتقاء الاكفاء من امرائه للولاية في انحاءها
وهو لا يجارب ولا يقا تل غير طائفة المجوس الذين كانوا اصحاب الامم
والنهي في المملكة قبل ايامه وكان السبب في كرهه لم عبادتهم للنار على خلاف
رأي الفرس كما سيبيح عند الكلام على ديانة الايرانيين الأول وتعظيمهم
لجده ومن حكم قبله من الملوك الذين ظلموا العباد وخرّبوا البلاد . واختلف
الرواة في كيفية موت هذا الملك العظيم والمرجح انه قتل في الحرب مع اهل
سكيثيا (التتر) ودفن كورش في مدينة بسارخاده حيث لم تزال آثار قبره
باقية الى هذا اليوم وقد كان عليه في ايام المؤرخ سترابو هذه الكتابة
” يا ايها الانسان انا كورش الذي أسس المملكة الايرانية فلا تحسدني على
هذا القليل من الارض الذي يضم عظامي“

وروى الفردوسي في الشاهنامه او اشعاره الشهيرة ان كيوخسرو او
كورش قضى معظم ايامه في مقاتلة افراسياب امير التتر الذي تقدم الكلام
عنه وكان النصر في اول الامر للتتر فهب البطل رسم نصرة مليكته ورد
التتر عنه وانتصر عليهم في مواقع كثيرة وهو في السنة الاربعائة من عمره .
ولما كثرت القتال بين التتر والاييرانيين ارتأى بعضهم ان يحسم الخلاف ويبطل
القتال بمبارزة عشرة من كل فريق ينتخبون من اشهر الابطال المجرىين
فانتخب الفريقان نوابهم للمبارزة وانتصر كل فارس من الايرانيين على خصمه

التري وقتله وكان في جملة المقتولين من التتيريين وبعث الوزير الحكيم الذي خلص كيخسرو من الموت مراراً. قيل ان الملك كيخسرو او كورش لما رآه مريضاً بدمه حزن على موته حزناً مفرطاً وامر بتحنيطه ودفن عظامه في مدفن خاص بناه لهذه الغاية. ولما علم افراسياب بموت ابطاله عاد الى القتال كمن اسكرته خمرة اليأس وحارب محاربة الذين لامطعم لم في الحياة وتبعه الالوف من اعوانه ممن كان على شاكلته فلاقاهم رستم ومن معه بقوة لم يقدروا على الوقوف امامها فقتل معظمهم واسر افراسياب فلما وقف امام كيخسرو امر بقتله كما قتل سياوش ابوه من قبله وبذلك انتم الإيرانيون لاميرهم الباسل ابي كيخسرو وبطلت الحرب. قال الفردوسي وحكم كيخسرو ستين سنة ومات في التسعين من عمره والمرجح انه حكم سبعة اعوام فقط. وخلفه ابنه كبيس اولوهراسب سنة ٥٢٩ قبل المسيح

وكان كبيس هذا اكبر اولاد كورش وله اخ اسمه سمرديس فلما تولى الملك واراد الفتح والغزو خاف ان يترك المملكة وسمرديس بين الاحياء فقتله وجيش جيشاً كبيراً لمهاجمة مصر وكانت هي الوحيدة بين الممالك الشرقية العظيمة التي لم تخضع لايه تمام الخضوع. قيل انه كان يوماً سائراً في مقدمة جيشه فاعترضه في الطريق شيخ قد جلله الشيب وطلب له العز والنصر ثم رجاه في امر فقال الملك ما حاجتك قال الشيخ اني يا مولاي عاجز في آخر عمري ولي اولاد ثلاثة في جيشك فاريد منك ان تشفق علي وترد احد هؤلاء الثلاثة الي يعولني فامر الملك باحضار اولاد الشيخ الثلاثة وذبحهم امام عينيه جزاء تعرضه له وقال له خذ اولادك الثلاثة اني تركت الكل لك. ولم يذكر التاريخ حادثة تدل على قساوة اعظم من قساوة هذا العاتي الغشوم. ولما

وصل الى حدود مصر جاءه يوناني اسمه فانس هرب من ملك مصر وارشده الى كل ما تبهم معرفته عن بلاد الفراعنة فما لبث كمينس ان وصل الى حدود مصر حتى قاتل عساكرها على مقربة من بلوزيوم (بورت سعيد) واتصر على المصريين انتصاراً تاماً واسر ملكهم بسامنتوس آخر الفراعنة . وكان ملك ايران يكره المصريين وديانتهم كرهاً شديداً وينفر من عبادتهم للحيوانات وتكريمها ولكنه استفاد من خرافاتهم فائدة كبرى واستعمل آلتهم واسطة للانتصار عليهم اذ كان يجمع الكلاب والقطط ويضعها في مقدمة جيشه فيتحاشى المصريون رمي سهامهم على الايرانيين خوف ان يصيبوا هذه الحيوانات المقدسة بضر وكانوا يتقهقرون في كل معركة حتى ملك كمينس بلادهم واذل اكبرهم واستعبد امرائهم ودمر هيكلهم وذبح الثور ايس الذي كانوا يعبدونه ومحى الكثير من آثار فراعنتهم وهو اظلم من ظلم المصريين واقسى من عاملهم بالقسوة والامتهان سواء كان من ملوكهم او من ملوك الاجانب الذين فتحوا بلادهم . وورث خلفاؤه هذا الكره عنه فشدوا الوطأة على المصريين واذلهم وظلوا على استعبادهم الى يوم انقراض ملكهم ومجي اسكندر المكدوني فقايله المصريون بالترحاب وعدوه مخلصهم من الظلم ومنقذهم من العسف والجور . قيل واراد كمينس هذا اخضاع الواحات التابعة لمصر وكان فيها هيكل جوبتر امون الشبير وآثاره باقية الى اليوم في الواحات الخارجة فبعث اليها بجيش عرمرم تحت قيادة احد امرائه مملكته فنارت عليهم ريح هوجاء ونسفت الرمل في وجوههم وكان الدليل الذي اعتمدوا عليه من اعدائهم المصريين ظل يتوغل بهم في الصحراء ويبعدهم عن مناهل الماء وظلت الرمال تعمي بصائرهم والشمس تحرق وجوههم والعطش والجوع يضنيانهم حتى انقروا عن

آخرهم ولم يرجع منهم واحد . وقد بالغ الرواة والشعراء في وصف ما اصاب جيش كبيس في صحراء بين النيل والواحات وفي متاعب جيشه الآخر الذي ارسله لاختضاع قبائل البرابرة في الصعيد الاعلى (اثيوبيا) وعاد بالفشل التام

ولم تؤثر حوادث اثيوبيا والواحات في الملك كبيس ولا ردت همته عن الغزو والفتح فاراد اخضاع البلدان الافريقية الغربية الى حد قرطاجنة (تونس) والغرب الاقصى ولما كانت الحملة لا تتم بغير القوات البحرية وكانت عمارته كلها فينيقية من اهل البلاد التي اخضعها ابوه لم يتمكن من نوال بغيته لان مجريته الفينيقيين رفضوا محاربة اخوانهم في قرطاجنة وكانت مستعمرة سورية كما لا يخفى . ولما كان في غزواته جاءته ابناؤه الشرخبرة ان احد الماديين من طائفة المجوس اختلس ملكه بدعوى انه اخوه سمرديس وكان يشبه اخاه المقتول شبيهاً غربياً فصدقه الناس وبايعوه الملك فاسرع كبيس في العود الى بلاده واندلق سيفه يوماً على نغذه وهو يجتهد المسير فجرحه جرحاً بليفاً كان القاضي على حياته وكان ذلك في سنة ٥٢٢ ق م .

وهنا ينتهي حكم الدولة الكيانية وهي الثانية من دول ايران الاولى ولكن المؤرخين الشرقيين يذهبون الى ان الذي خلف لوهراسب او كبيس على الملك هو ابنه چوشناسب وهو المعروف باسم داريوس هستاسبس الشهير ويزعمون ان كل ملوك ايران الذين حكموا البلاد الى ايام الفتح اليوناني كانوا من الدولة الكيانية والمرجح او المؤكد ان رواية التواريخ اليونانية اصح لان الذين كتبوها عاشوا في ايام حدوثها وقد عولنا على اتباعها في تاريخ هذه الدولة مدة امتداد النفوذ اليوناني عليها . ولم يذكر الفردوسي عن كبيس

غير خرافات لا يمكن التعويل عليها

يرى القارئ مما تقدم ان الدولة الكيانية حكمت ايران ١٨٨ سنة من ٧١٠ الى ٥٢٢ ق. م. وهذه اسماء ملوكها ومدة ولايتهم على رواية الفردوسي

كيقباد (ديوس)	مدة حكمه ١٢٠ سنة
كيكاوس (كيكسارس الاول)	" " " ١٥٠ "
كبخسرو (كورش)	" " " ٠٦٠ "
لوهراسب (كميس)	مدة حكمه ١٢٠ سنة

واما الرواية اليونانية - وهي الاصح فكما يأتي

ديوس	حكم ٥٣ سنة	من ٦٥٧ - ٧١٠
فراورت	" ٢٢ "	من ٦٥٧ - ٦٣٥
كيكسارس الاول	" ٤٠ "	من ٦٣٥ - ٥٩٥
استياجس	" ٣٥ "	من ٥٩٥ - ٥٦٠
كيكسارس الثاني	" ٢٤ "	من ٥٦٠ - ٥٣٤
كورش	" ٠٧ سنين "	من ٥٣٤ - ٥٢٩
كميس	" ٠٧ "	من ٥٢٩ - ٥٢٢

الدولة الهستاسبية

قلنا ان الدولة الفارسية او الايرانية المعروفة باسم الكيانية انقرضت بموت آخر ملوكها كميس ابن كورش وكانت اعظم الدول الايرانية القديمة

واشهرها . وكان كورش وابنه يكرهان المجوس واهل مادي او اذربايجان
 كرهاً شديداً ويعملان على ملاشاة دينهم وتقليل نفوذهم فانتهز هؤلاء الكهنة
 فرصة غياب كمبيس عن بلاده واتفقوا على تنصيب واحد منهم كان يشبه
 سمرديس بن كورش شبيهاً غريباً بدعوى انه هو بنفسه لم يقتل كما اشاع
 اخوه الملك كمبيس ونجحوا بتنصيبه وساعدتم الحظ بموت كمبيس في الطريق
 فاعادوا نفوذهم الى البلاد ولكنهم لم يتمتعوا بالقوة زماناً اذ ظهر لامراء الفرس
 ان ملكهم الجديد كان محتسباً لا قرابة بينه وبين كورش فتآمر امرأؤهم على
 خلعهِ ودخل سبعة منهم يوماً الى قصرهِ على حين غفلة فدهموه في مخدعه
 وقتلوه بعد ان حكم سنة واحدة واتفقوا على تولية واحد منهم يتصل نسبه بملوك
 الدولة الكيانية اسمه چوشناسب وهو دارا او داريوس هستاسبس الشهر
 فجعل همه الاول اضطهاد الماديين وسحرتهم او المجوس وقام في ايامه الفيلسوف
 العظيم والمصالح الشهير زردشت او زوراستر وهو صاحب الديانة الشهيرة
 التي علم فيها بعبادة الله الحي دون سواه وبابطال كل اشكال الاصنام والاثوان
 والخرافات الكثيرة وسنفرد لذلك باباً خاصاً في هذا التاريخ لاهميته ولزومه
 لكل باحث عن احوال ايران الاولى . وكان داريوس يميل ميلاً شديداً
 الى زردشت وتعليبه وقيل انه كان يكرها في اول الامر واستماله ابنه
 امقندير (زركسيس) اليها فقبلها واوصى باتباعها وشدد الوطأة على كل من
 لم يعتنقها حتى صارت دين الايرانيين من بعده وظلت كذلك الى ايام الفتح
 الاسلامي

وكان الملك داريوس يخاف على نفسه من الثورة وقيام الفرس
 فاقترب باثنتين من بنات كورش ولما احس بثبوت الملك له شرع في تأديب

الذين شقوا عصا طاعته وابتدأ بمحاربة اهل بابل وردم الى الخضوع لرايته
فتمنع اهل بابل في مدينتهم واغلقوا ابوابها العظيمة في وجه جيشه وظل داريوس
محاصراً لهذه المدينة الشهيرة زهاء عشرين شهراً حتى خطر لاحد قواده ان
يتملكها بالحيلة ويريج مولاه من عناء الحصار الطويل والقتال الكثير فجدع
انفه وقطع اذنه وشوه سمته وانسل من بين الجنود الايرانية فدخل بابل
وجاهر بعدوان داريوس مدعياً انه ظلمه وشوه خلقته وانه يريد الانضمام الى
اعدائه لينتقم منه على توحشه وقسوته فصدقته البابليون وجعلوه رئيس فرقة
كبيرة من جنودهم وسيروه لمحاربة داريوس وهم يؤملون الفوز على يده
فخانهم وسلم مدينتهم الى مولاه وعادت امتهم ففضعت ملك ايران واخني عليها
الدهر من ذلك اليوم

ولما انتهى داريوس من محاربة بابل واهلها طفق يهتم بالمداين اليونانية
في اسيا الصغرى وكان كورش قد اخضعها من قبله واغتصبها من كريسيسوس
ملك ليديا ولكنها ما فتأت تطمع بالاستقلال وتعمل على التخلص من
الايرانيين فتقدم اليها واضطرها الى الخضوع والسكينة بدون قتال ونضال
وتوجه منها الى بلاد ثراقيا في شمالي بلاد اليونان فأخضعها وضماها الى مملكته
الواسعة ومنها خطر له ان يعيد الكرة على قبائل التتر (سكيثيا) التي حاربها
كورش وقتل فيها اما لينتقم من اهلها على قتل ذلك الملك العظيم او ليظهر
باخضاعها انه كان اعظم منه فناله ما نال سلفه من قبله من الكسرة والفشل
بعد ان عبر نهر الدانيوب على جسر من القوارب ولقي من بسالة الاعداء
ومثابرتهم على القتال ما لم يحظر له بيال وكانوا لا يجارونهُ الا في الجبال
والاماكن العسرة المسالك ولا يدخلون معه في قتال كبير بل يناوشونه

مناوشة مستمرة افنت عساكره واضطرتهُ الى القهقري سيما وانه كان قد تقدم الى حيث لم يجد في البلاد مأكلاً لرجالهِ ولا طفلاً لحيه ورأى ان نساء الاعداء يقربن من الرجال في البسالة والصبر على الشدائد وبجاربهم وكان بينهن عدد ليس بقليل من اللواتي اشهرن بطول القامة وضخم الجسم وقوة العضل وشدة البسالة حاربته وضايقن جيوشهُ مضايقة كبرى واسمن في التاريخ "امازون" والنساء اللواتي يشهرن بقوة الجسم او بفضامته يعرفن بهذا الاسم الى اليوم

ولما داد داريوس عن هذه البلاد خطر في بال ملتيادس ملك ثراقيا ان يقطع عليه خط الرجوع وخابر المدائن اليونانية في اسيا برأيه واتفق معها على هدم الجسر الذي اقامهُ داريوس على نهر الدانيوب ومضايقة الايرانيين وقتلهم تخلصاً من حكمهم وكاد ينجح في هذا الامر ويميت داريوس وعساكرهُ لولا ان يخون اليونان واحد منهم اسمه هستياس كان حاكم مليتوس من مدن اليونان فهذا اخبر داريوس بالامر وعارض اهل وطنه في الدسيستة فخرمهم لذة النصر على اعدائهم والاستقلال ولكنه جوزي بغير ما يستحقهُ من الاكرام ولم يلتفت داريوس الى حسن صنيعه فكان ذلك عقاباً شديداً له على خيائته. وكان لهذا الخائن قريب اسمه ارستاغوراس هو ابن اخيه لما رأى ان ملك ايران لم يحفل بامانة عمه ولم يكافئه بتوسيع ولايته وزيادة امتيازاته هاج واشتدت فيه الاميال الوطنية فخاهر بالعصيان وخابر كل الامارات اليونانية بنصرته فأجابه المدائن والامارات التي كانت تطمع بالاستقلال من نير ايران في الحال وضمت قوتها الى قوته ولكن الفتى لم يقنع بها فأراد ضم اثينا واسبرطه أشهر المدائن اليونانية المستقلة واعظها اليه وذهب بنفسه الى اسبرطه ليستميل

ملكها الى تمزيده ومحاربة الايرانيين وكان اسمه كليومينيس عرف بالبسالة والاقدام ولكنه اشتهر ايضا بالتروي واجتناب المغامرة. فبذل استاغورس كل جهده لاقناع كليومينيس هذا بالانضمام اليه وبالغ له في وصف فوائد الحرب وغنى الايرانيين وضعفهم واكثر من مدح شهامة المدن التي انضمت اليه والاطراء في وطنيتها وراه رسم المملك الايرانية ووعده بها اذا رضي بقيادة التجارين فطلب اليه كليومينيس ان يمهله ثلاثة ايام ريثما يمعن النظر في الامر ويقدر عواقبه ولما انتهى الاجل سألته كم يلزم لجيش اليونان من الايام حتى يصل الى عاصمة ايران ويملكها قال انهم يصلونها في ثلاثة اشهر اذا ساروا ١٨ ميلاً كل يوم فاجابه كليومينيس ان اذهب يا ايها الغريب في سبيلك ولا تقم في هذه المدينة الى بعد غروب الشمس لانك عرضت على اهل اسبرطه امرا خطراً اذ زينت لهم البعد عن شطوط اليونان مسافة ثلاثة اشهر. فعاد ارستاغوراس عن اسبرطه بالفشل

ثم حول ارستاغوراس وجهه الى اثينا وقصد مروءة تلك المدينة العظيمة وكان الاثينيون قد اكرموا ملتيا دس امير ثراقيا الذي عرض اخوانه على خيانة الفرس ومعاداتهم وفر من وجه داريوس بعد انفضاح امره. فلما وصل ارستاغوراس اثينا ليهيج اهائها على محاربة ايران قابله بالترحاب والاکرام سنة ٥٠٠ قبل الميلاد وانشأوا له في الحال عشرين سفينة حربية اضاف اليها خمسة من محالفيه الآخرين وسار بهذه القوة بلا امهال الى ميناء ملتوس فانتصر في البحر على عمارة ايران وانزل جنوده الى البر وانتصر فيه ايضا حتى وصل الى مدينة سرديس عاصمة ليديا فحاصرها وملكها وطرده الاعداء منها ودمرها عن آخرها. وكانت مدينة سرديس هذه اغنى مدائن

تلك الايام واشتهر ملكها كريسيوس الذي اسره كورش بالثروة الطائلة حتى
صارت تضرب به الامثال واسمه دليل الفنى عند الاوروبيين الى هذا اليوم
يضربون المثل بكثرة ماله كما تضرب المثل بقارون ويذهب بعضهم ان
قارون محرف عن كريسيوس . قيل ان كريسيوس هذا نال من الحظ والنعمة
ورأى من الخير واليسار ما لم يره من قبله بشر وكان يفتخر بثروته حتى زاره
يوماً احد حكماء اليونان واسمه صولون وسمعه يتباهى بجواهره وذهبه ونعمه
فنصمه ألا يفتر بالدهر ولا يعد نفسه سعيداً حتى يرى السعد مرافقاً له الى آخر
ايامه فلم يعبأ الملك بقول الحكيم حتى اذا داهمه كورش وملك مدينته واسره
وامر بجرقه خطر في باله صولون وتذكر نصيحته والليب يتصاعد من حوله
ليحرقه فصاح باعلى صوته " آه يا صولون يا صولون " وسمعه كورش يقول
ذلك فسأل اعوانه عن معناه ولما عرفه اخذته الشفقة على هذا الملك ورأى الخرق
كثيراً عليه بعد ذلك العز العظيم فعفا عنه وابقاه اسيراً الى ان مات في الاسر
قلنا ان عصاة اليونان دمر واسرديس هذه باضر قائدهم ارستاغوراس
وكان النجاح الى حد ذلك الحين في جانب اليونان ولكنها لم يدم معهم اذ
اختلف قوادهم بعد فتح سرديس وعاد اكثر الاثينيين واهل اوروبا من
اليونان الى بلادهم وما بقي من العصاة غير اهل المدائن اليونانية في اسيا
ففتحهم داريوس سحقاً وبدد شملهم وشدد الوطأة عليهم وخرّب مدينتهم
مليتوس فلم يبق فيها حجراً على حجر وذبح كل اهلها ذبحاً واصاب غيرها من
المدائن ما اصابها وبذلك تم النصر لملك ايران العظيم على اعدائه ولكنها
ابقي في صدور اليونانيين كرهاً شديداً لدولته وميلاً الى الانتقام كان السبب
في انقراض دولته وخضوعها لليونان في ايام اسكندر المكدوني

وفرّ ارتستاغوراس من ساحة القتال بهدان رافقة النشل فلما وصل الى بلاده ذبحه بعض الحمج. واما عمه هستيوس الذي خان اهله اليونان لخدمة داريوس وبقي عنده اسيراً بدل ان يكرم والذي قام ابن اخيه ارتستاغوراس هذا من اجل رد شرفه فاول الفرار من الاسر ولم ينجح ثم صلب في سارديس بامر الوالي الايراني

ثم حول داريوس نظره الى الذين شقوا عصا طاعته من اليونان يريد الانتقام منهم فبعث الى كل الجهات اليونانية رسله تطلب الخضوع لسلطانه وخصّ اهل اثينا بهذا الطلب لان رئيس جمهوريتها هيباس الذي طرد منها من اجل ظلمه وجوره التجأ اليه وطلب معاونته على العود الى الرئاسة. فلما وصل الرسل الايرانيون الى المدائن اليونانية خاف اهلهما وقدموا علامة الخضوع ما خلا مدينتي اسبرطه واثينا وكانت الثانية قد هاجت من التجاه الذي طردته الى ملك ايران فعاد الرسل واخبروا مولاهم بالذي تمّ وبدأ داريوس يستعد للزحف على اثينا واسبرطه وسحقهما وبدأت المدينتان بالاستعداد للدفاع كل منهما على حدة وكانتا صغيرتين لا تذكران بالنسبة الى ملك الايرانيين الضخم وقوتهم الهائلة ولكنها اظهرتا من البسالة ما لم يزل الناس يتحدثون بذكره الى هذه الايام

ولما اكمل الاستعداد في ايران سلم داريوس قيادة جيشه العظيم لصبه ماردونيوس وسيره الى بلاد اليونان وقام هذا المير فاخضع جزيرة ثاسوس ومملكة مكدونيا وكانت من ضمن الولايات العاصية وضماها الى مملكة ايران في سنة ٤٩٣ ق. م ولكن العمارة التي سارت معه رزئت بالانواء الهائلة على مقربة من جبل اثوس فتحطم منها ثلثمائة سفينة وغرق

نحو عشرين الف رجل في يوم واحد وتسبب عن ذلك فشل الايرانيين
 وعدم امكان تقدمهم على المدينتين الباسلتين اللتين جاء ماردونيوس من اجل
 اخضاعها فاضطر الى العودة الى بلاده واعتذر بالبرد واخطار البحر فهاج
 داريوس من صدمته هياجاً عظيماً وعزم على اعادة الكرة فنظم جيشاً كبيراً
 غير الاول وارسله تحت امره القائدين الشهيرين داتس وارترنس وسيرها
 لمحاربة اليونان سنة ٤٩٠ ق. م فتقدم القائدان واخضعا الجزائر المنفردة
 التي هبت الى العصيان ثم استولى الايرانيون على ارتريا وغيرها من
 الانحاء اليونانية ونكلاوا بأهلها وسبواهم وظلوا يتقدمون حتى اتوا على سهل
 مرثون الشهير وهو على مسافة ثلثين ميلاً من اثينا فاستعدوا هناك للبطش
 بالمدينة العظيمة وكان الاثينيون في هياج عظيم يريدون التقدم للقتال حتى
 ان الشيوخ والنساء والاولاد كانوا ينضمون الى المقاتلين لما علموا ان عدد
 الايرانيين في سهل مرثون يقرب من خمسمائة الف مقاتل وبلغ عدد الذين
 تيبأ ولرد المهاجمين ثلثين الف مقاتل منهم عشرة آلاف من اهل اثينا
 وعشرين الفا من القرى المجاورة والعبيد وغيرهم . وعين اهل اثينا عشرة
 رؤساء على هذا الجيش رتبهم واحدة وكان امهزم ملتيا دس فلما رأى بقية
 القواد انه يفوقهم علماً ودراية تنازلوا له عن الرئاسة وجعلوه قائداً على
 جيشهم فامرهم في الحال بالمسير الى مرثون لمقاتلة الفرس قبل ان يزحفوا
 على المدينة ويحصرها فيموت الناس فيها جوعاً واطاعوا امره وهجموا على
 جيوش ايران فجازوا عليها بعد حرب وقتال شديدين اظهر فيها ملتيا دس
 واعوانه ما لم يهد له نظير من البسالة والاقدام حتى دعر الايرانيون ونهبوا
 وهرب الذي نجا منهم الى السفن الراسية على مقربة من ساحة القتال وكان

من رأي داتس السفر في هذه السفن في الحال الى اثينا قصد مفاجأتها
وامتلاكها قبل عود جنودها اليها فلحظ ميثيادس منه ذلك واسرع في الرجوع
بجيشه الى المدينة ووصلها قبل السفن فاحبط مساعي الايرانيين وردم عنها
خاسرين فمادوا الى اسيا بعد كل هذا العناء . كل هذا ولم تشترك اسبرطه
في القتال وافتخرت مدينة اثينا وحدها بهذا النصر العظيم ولكن داريوس
ظل الى آخر عمره يتحسر ويتمرر من خيبة قواده وعدم تمكنهم من
اخضاع اليونان قبل سائر الامم التي خضعت لهيبته وكان ينوي مهاجمة بلاد
اليونان بنفسه وسمعتها لولا ان تهب مصر الى الثورة وتجاهر بالعصيان
ويكثر الخلاف بين اولاده على الخلافة من بعده فلما تمكن من حسم هذا
الخلاف توفي سنة ٤٨٥ ق . م بعد ان حكم ٣٧ سنة اظهر في خلافا انه
كان اعظم ملوك ايران واشهرهم بعد كورش ومد نفوذه من بلاد اليونان
في الغرب الى بلاد الهند في الشرق فكانت مملكته اعظم الممالك وسيدة
الامم في ذلك الحين

وفي الروايات الايرانية ان داريوس هستابس هذا او جوشتابس كان
ابن لوهراسب (كبيز) بن كورش ويقولون ان الحسد داخله في حياة
ابيه المذكور من الامراء الذين كان يودهم والده فحاول خلعه من الملك ولم
ينجح في الامر واضطر الى الفرار فتصد بلاد الروم (كل البلاد الواقعة
الى غربي الفرات كانت تسمى بهذا الاسم من بعد الفتح الاسلامي) وظل
زمانا متنكرا بصفة سائح فقير الحال حتى سمعت به ابنة ملك الروم يوما
ووقع نظرها عليه ففتنت بجمال طلعتيه واعتدال قامته وفضلته على كل من
خطبها من اكابر الملوك والامراء فرمت اليه بتفاحة من نافذة قصرها وكان

ذلك عندها علامة القبول بالخطبة واقترنت به فاشد غيظ والدها من عملها
 هذا وطردها من قصره وتبرأ منها فعاشت مع زوجها زماناً عيشة النذل
 والاحمول الى ان ذاع في البلاد ان الملك يعطي ابنتيه الباقيتين الى اللذين
 يقتلان اسداً وتيناً كانا في ذلك الحين سبب الرعب والقلق لجميع اهل
 البلاد ولم يقدر جبابرة الغرب على التخلص منها . فلما سمع جوستاسب
 بالخبر هب لقتل هاتين الآفتين بناءً على طلب اثنين من امراء المملكة كانا
 يريدان ان ينسب اليهما هذا الفعل ويأخذا الاميرتين . ونجح جوستاسب
 في امره فخلص المملكة من التين والاسد وبلغ الملك ان الذي قتلها
 الاميران اللذان مرَّ ذكرها فزوجهما ابنتيه ولم يطل الحال حتى انكشف
 الامر وعلم الملك ان الذي قام بهذه الفعلة صهره الاول جوستاسب فرضي
 عنه وقربته اليه وجعله قائداً لجيشه وسيره لمحاربة ايران والاستيلاء عليها .
 فلما وصلت اخبار الحملة الى لوهراسب ملك ايران وعلم ان ابنة الباسل
 هو قائد الجيش المهاجم خاف عاقبة الامر وحشد جيشاً جراراً برئاسة ابنه
 الثاني زورير واوصاه ان يعلن اخاه بتنازله عن الملك له حالما يلتقيان فلما
 التقى الجيشان اسرع جوستاسب الى زيارة اخيه فاعلمه بالامر وسار الجيشان
 تحت قيادته الى اصطنر عاصمة ايران حتى اذا قربت العساكر منها خرج
 ملك ايران لملاقاة ابنه وهناك بالملك على ايران فتأثر الشاب من صنيع
 ابيه واقسم انه لا يرضى الملك في حياته ولا يخالفه الا ان لوهراسب
 كان يجب الراحة ويؤثر الاعتزال في آخر ايامه فالح علي ابنه بالقبول
 وهكذا صار جوستاسب او داريوس هستاسب ملكاً على ايران واصلح بينها
 وبين سلطنة الروم

واشتهر امر زردشت او زورواستر المصلح الشهير في ايام هذا الملك
 كما تقدم فاعتنق اسفنديار ابن الملك الدين الجديد واقنع اياه بصحته فقبله
 واضطر اهل المملكة الى التدين به ولذلك عمت عبادة النار على طريقة
 زردشت في ايامه وصار لهذا المصلح مقام عظيم وكتبت تعاليمه على جلود
 البقر وحفظت في سر اديب أمر الملك بحفرها في صخور اصطخر لهذه الغاية
 وعين الكهنة والجنود لحراسة هذه الكتابات وكان من نتائج انتشار الدين
 الجديد عود النتر والاييرانيين الى الحرب والعدوان ذلك ان ارجاسب
 ملك النتر احتدم غيظاً من خروج ايران وملكها عن طاعة الآلهة القديمة
 فجمع اليه امراء مملكته وخاطبهم بما معناه ان بجاننا ملك ايران قد ضل
 وغوى فاتبع ضلال ساحر ادعى النبوة وجر اهل بلاده معه الى فقد السعادة
 واللذة التي تحق للذين يتمسكون بالدين الاول المنزل . فقرّر قرار الامراء
 على ان يكتب مولايم الى ملك ايران بالرجوع الى دينه او يدهمه بخيله
 ورجله . وفعل ذلك فأهان جوشاسب الرسول وهبت الأمتان الى الحرب
 ففعل اسفنديار ابن الملك فعال الابطال وفرق جموع الاعداء وقل جيوشهم
 وطردهم من بلاده طرداً فعادت ايران الى السكينة وعظم قدر اسفنديار
 واشتهر امر بسالته حتى حسده بعض الامراء على ما نال من رفعة المقام
 وبدأوا بالدسائس التي اضطرته الى المجاهرة بالعصيان فقبض عليه الملك واودعه
 السجن وظل فيه زماناً حتى اذا سمع ملك النتر بما جرى على الذي كسره
 عا الى القتال وفتح جيوش افرس بن عنده من لابطال فأمر ابنة ملك
 ايران واوشك ان يمتلك البلاد لولا ان يعود الملك الى رشده ويطلق سبيل
 ابنه من السجن بعد الترضي والترجي والوعد بالتنازل له عن الملك اذا هو

خلص اخته من الترو وردد من البلاد فرضي اسفنديار بهذا الشرط واثار
 على الاعداء حرباً عواناً لم يقووا على البقاء معها ففروا من وجه هذا الاسد
 الضمير وهو يتعقبهم حتى وصلوا الى عاصمة ملكهم روينده واستقرت فيها
 وكانت اخت اسفنديار اسيرة معهم فجعل هذا الباسل يهتم بخلاصها واخضاع
 الترو وسير جيشاً كبيراً على المدينة المذكورة وكانت المسافة بين بلادهم وبينها
 شهرين وسلم قيادة هذا الجيش الى احد اخصامه واما هو فعزم على الوصول
 الى المدينة المذكورة من طريق اخرى كانت توصل اليها في مدة اسبوع
 واحد ولكن الناس لم يعتادوا سلوكها لكثرة افاعيها وضوايرها وسمومها القتالة
 واتخب ستين بطلاً من الذين يعول عليهم والبسهم مثله ملابس التجار
 واخترق الصحراء الهائلة بهم حتى اذا وصل الى المدينة دخلها بمن معه ولم
 يعارضه احد وشاع فيها ان تجاراً من الاجانب جاؤوا ومعهم السلع الفاخرة
 والاشياء الثمينة فاستدعاهم الملك اليه وابتاع منهم اشياء كثيرة ولم يتعرض
 لم احد في امورهم وكانت النار علامة بينهم وبين جيشهم الذي سيروه من
 ناحية اخرى كما تقدم فلما شاع خبر وصول هذا الجيش الى البلاد وصار
 على مقربة من روينده او قد اسفنديار ومن معه نارا عرف الايرانيون منها
 ان مولاهم في المدينة فجمعوا عليها في الحال وشددوا القتال حتى اذا كان
 الكل في شغل شاغل بالدفاع ثار الامير الايراني واعوانه الستون ثورة
 الاسود الكاسرة وهجموا على قصر الملك فملكوه وخلصوا اخت الامير من
 الاسر وقتلوا ارجاسب ومن حوله وفتحوا الابواب لاخوانهم وكان انتصار
 الايرانيين في ذلك اليوم عظيماً

ولما اتم اسفنديار هذه العظام وارسل الى والده الاميرة وتاج بلاد الترو

مع ما ملك من الغنائم اقامة الملك والياء على بلخ بدل التنازل له عن الملك كما وعده فرضي الامير بذلك ولم يعارض والده في الامر ولكن الامر لم يطل عليه حتى دناه والده الى اصطخر ليزوره بدعوى الشوق الى رؤياه وكان جوشاسب لم يزل يحشى شر ابنه فلما وصل اسفنديار الى قصر ابيه التي عليه القبض وارسل مكبلاً بالقيود الى احدى قلاع اذربايجان فعادت البلاد في الحال الى الفوضى وعاد التتر الى مهاجمتها واخذ الثار منها فنجحوا نجاحاً كبيراً وكسروا جيوش ايران في كل معركة حتى انهم قتلوا كل كهنة ايران ومن جعلتهم الملك لوهراسب الذي كان معتزلاً للعبادة كما مر واستولوا على راية الايرانيين العظيمة وهي رداء الحداد "قموه" واخذوها معهم الى بلادهم فعند ذلك مصاباً كبيراً في كل بلاد ايران لما تقدم من احترامهم لهذه الراية وحفظها الى اوقات المصائب والملمات وفر ملك ايران من وجه اعدائه وهم يطاردونه وكانوا على وشك الظفر به وبما بقي من مملكته لولا ان يلج عليه وزيره العاقل جاماسب بالرجوع عن معاداة ابنه ويضطره الى اطلاق سبيله مرة اخرى والاستعانة به على الاعداء فرضي جوشاسب بذلك على كره منه وذهب الى سجن ابنه فعانقه وطلب اليه الصفح وتمهد له بالولاء والوفاء واعلمه بما صارت اليه البلاد من النل وكان اسفنديار شديد الغيرة على دين زردشت وشرف الراية القوانية فلما علم ان التتر ملكوا الراية وذبجوا كهنة ديانتهم لم يمكن له الاباء عن القبول بطلب والده فعاد الى رئاسة الجيش وهب في وجه الاعداء هبوب الريح العاصف وانقض على جموعهم انتفاض الرعد العاصف فاعمى بصائرهم بنار حربه ودوخهم بسم ضربه وردم عن بلاده كما ردم من قبلي خاسئين خاسرين

واسترجع الراية منهم وتكل باكبرهم وحطم قواتهم تحطيماً وفعل بالجملة ما لم يفعله أشهر أبطال ايران نعتي بورستم الشهير الذي مر ذكره وكان على قول التواريخ الايرانية لم يزل الى ذلك الحين حياً واميراً على سيستان منقطعاً الى العبادة والاحسان في آخر ايامه لا يجسر عدو على القرب من امارته لما اشتهر عن بطشه وبسالته

وكان اسفنديار كلما خدعه ابوه ينخدع نظراً لكرم نفسه وطيب جبلته فلما سحق الاعداء سحقاً وهدأ روع البلاد واتم كل ما طلبه الملك منه جاء الى ابيه وطلب اليه الوفاء بالوعد والتنازل عن الملك فعاد جوشناسب الى الحيلة واتى كل ما عنده من الفصاحة والدهاء لاقتناع ابنه بما يريد وقال له ما معناه اني كنت اود لو يمكيني التنازل عن سلطنة واسعة يسود فيها الامن ولا يعارضك في جهاتها معارض ولست اريد ان يقال اني سلمت الملكة وفيها لنا من الاعداء من نخشى بأسه . فبهت اسفنديار من ذلك وقال لا يبيد ان قل من لك من الاعداء بعد هذا حتى اخضعه على شرط ان تفي بوعدك قال الملك ان عدوي الاكبر هو رستم امير سيستان فقد قوي نفوذه وتعاظم شره حتى لم يعد في وسعي ان امره امرأ واريد منك الآن يا ولدي ان تهم اعمالك العظيمة بأسره وتأتيني به اسيراً مشدود الوثاق فاذا انت فعلت ذلك وخلصت بلادك من رستم اقسمت لك بحق النور والنار وتربة اجدادنا الاخيار اني اتنازل لك عن الملك والنفس مني راضية . فوقع هذا الكلام على اسفنديار وقوع الصواعق لانه كان يجب ستم ويوقره وحره في امره فطلق الملك يزين له ما يريد ويخدعه بالاقاويل حتى رضي بذلك وذهب ليستعد لهذا القتال العظيم فاختر جيشاً صغيراً

كل افرادِه ابطال بواسل وزحف بهم الى سيستان فاثار علي رستم الحرب العوان وكان هذا البطل المجيد قد صار شيخاً ولم يشأ ان يكون اسفنديار خصمه في القتال شفقة منه عليه فاتي لمسامته كل حيلة ولم ينجح وظل اسفنديار يطلبه للمبارزة حتى برز اليه فلما التقى البطلان قال الامير لرستم انه سوف يقاتله على كره منه ورجاه ان يسمح له بتقييده واخذه الى اصطخر ويتعهد له بالاكرام والترضية حال وصوله ذلك لانه وعد بقضاء هذا الامر ولم ير منه بداً فلم يمكن لرستم القبول بهذا الطلب الغريب وعرض على اسفنديار ما يريد من المال او المساعدة لنوال الملك من اييه فاصر الامير على طلبه ودخل الاثنان في القتال فتجاولا وتضاربا واظهرا من القوة والبسالة ما حير العقول واذهل الابصار وظلا على ذلك اياماً كثيرة وكان رستم لا يعلم كل هذا الاقنطار من خصمه فلما رأى انه لا يقدر عليه بغير محاولة قتله خطرُه بالامر وحذره فلم يحذر اسفنديار وظل على المقاتلة حتى استل البطل رستم من سرجه سهماً قتالاً ورماه به فاصابه بين عينيه واحس اسفنديار بقرب الاجل فوقع على الارض وقال " هذه آخرة الاعمال الوخيمة التي ساقني اليها طمع والدي " ومات بعد القليل فحمله رستم وسلمه الى آله ولما علم جوشناسب بذلك ندم على ما اتاه وطالت مدة حزنه واتحابه على هذا البطل الصنديد الذي جرّه الى حتفه وخسر بموته خسارة لا تعوض هذه هي رواية الايرانيين ترى منها انهم حكموا بوفاة اسفنديار مدة سلك اييه ولم يذكروا انه ملك في دوره لان معظم تاريخ اسفنديار اوزركيسس جروب مع بلاد اليونان وكان النسر فيها كلها لاعدائه وسنقل ما يجي من تاريخ هذا الملك عن التواريخ اليونانية وان تكن لا تتجاوز من المبالغة في وصف

جبن الايرانيين وبسالة اليونانيين وانتصارهم في كل معركة هائلة وهذه خلاصة الذي رواه ككتاب اليونان عن الملك زركسيس الذي يسميه الايرانيون اسفنديار

لما قضى داريوس هستاسبس نجبة عام ٤٨٥ قبل المسيح خلفه في الملك ابنه زركسيس فجعل همه الاول اخضاع الثائرين ومعاينة الذين حاربوا والده من قبله او شقوا عصا طاعته وسير جيشاً جراراً على مصر فأخضعها بدون عناء كبير وشدد الوطأة على اهلها مثل من تقدمه من ملوك الايرانيين من بعد كورش وفرح بهذا النصر فعزم على الاخذ بالنار من اليونان وبدأ يجمع الكنائب والجيوش الجرارة والاهبة الوافرة والذخائر الزائدة حتى اجتمع لديه ما لم يجتمع لدى ملك من قبله ولا سمع بمثله البشر من بعده الوف مؤلفة من الابطال والمقاتلين جاءوا باصمته من كل اقطار مملكته الواسعة حتى ضاقت بهم الارض على رحبها وبلغ عددهم على ما روى المؤرخون نيف وثلاثة آلاف مقاتل وقد يكون في هذا مبالغة كبرى ولكن المؤكد الذي لا ريب فيه هو ان جيش زركسيس الذي زحف به على بلاد اليونان بعد ان قضى خمسة اعوام في جمعه واتمام معداته اكبر جيش سمع به البشر من قبل هذا الملك العظيم ومن بعده ولم يزل الناس يضربون المثل الى هذا اليوم بجيش زركسيس وعدده المائل

واتحد زركسيس مع اهل قرطاجنة وفينيقية على محاربة اليونان مجراً وكانت الاولى في ذلك الحين اقوى الممالك البحرية وخصاً سفنها بمحاربة الجزر والمستعمرات اليونانية وتقدم هو بجيشه العظيم الطامي على البلاد التي ارجعت والده من قبله بالنذل والفشل . وما صدق هذا الملك ان وصل الى

باب البلاد اليونانية بعد ان اخضع ثراقيا ومكدونيا حتى اعترضه في سبيله جيش صغير من اسود اليونان الكواسر لا يزيد عددهم عن ثمانية آلاف تحت امره الليث الضرفام والبطل الهام ليونيداس ملك اسبرطه الذي تضرب بسلاته الامثال الى هذه الايام وقف له في الطريق وسد عليه باب الدخول الى بلاده في ممر ضيق صار اسمه من بعد تلك الايام أشهر من نار على علم نعي به مضيق ثرموبولي الشهير الواقع في شمالي بلاد اليونان والفاصل بينها وبين ولاية ثساليا . فلما علم ملك الفرس بوجود هؤلاء الاعداء وقلة عددهم بعث اليهم في الحال برسول من قبله يأمرهم بالتسليم واعطاء ما في ايديهم من السلاح فهزأ الاسبرطيون بهذا الطلب وردوا الرسول خائباً مدحوراً بعد ان علموه ان يقول لمولاه ان تعال وخذ ما في ايدينا من السلاح وطفقوا يتزينون ويمشطون شعورهم ويطربون استعداداً للحرب على عادتهم فلما رأى الملك الايراني مشهم ذلك وسمع جوابهم هاج وماج وامر بعض قواده في الحال ان يهاجمهم ويقتلهم عن بكرة ابيهم او يأتيهم اذلاء خاسرين ففعل ذلك وقتل مع الفريق الاكبر من رجاله ثم تلاه آخر من القواد وتحت امرته جيش كبير ففعل به اولئك الابطال ما فعلوا بالذي تقدمه ولم تقو عليهم تلك الجيوش الجرارة العظيمة لانهم كانوا في حصن حصين ولم يمكن للايرانيين الاحاطة بهم والتغلب عليهم بقوة العدد والعدد ورأى زركسيس انه اذا ظل الحال على هذا المنوال قتل جيشه عن آخره ولم يصب اعداؤه القليلون بضرب فحول على الرجوع عنهم واوشك ان يأمر عساكره بالقهقري اذ جاءه خائن من اليونانيين فر من بين اخوانه ودله على سكة يصل بها الى رأس الجبل من فوق مضيق ثرموبولي فتحيط عساكره بشرذمة

ليونيداس من كل جانب ويضطروهم الى الطاعة او الموت في ذلك الهل من
العطش والجوع ففرح الملك بهذا الرأي وامر بالعمل به في الحال وبان له وجه
النجاح عند ما رأى خصومه على هذه الحال فلما أحسّ ليونيداس بالامر علم ان
الموت قرب منه ومن رجاله واثار على الذين معه من غير الاسبرطيين ان
يتخلصوا من الموت بالانسحاب واما الاسبرطيون فلم يمكن لهم الرجوع عن
القتال لان عوائدهم وشرائع بلادهم كانت تحتم عليهم بغير ذلك . فسمع الجنود
رأبه وودعوه ورجاله وفرّوا بأنفسهم وما ظلّ في تلك الساحة الشهيرة غير
ليونيداس والف بطل من ابطال اسبرطه . وكان هذا القائد الباسل ينوي
المجوم ليلاً بن بقي معه على جيش الفرس والتوصل الى زرڪسيس حتّى اذا
قتله او اسره فاز بالمراد واضطرّ الاعداء الى الرجوع عن بلاده فأعلن
رفاقه بذلك وبدأوا يتهاون لهذا العمل الخطر الشاق حتّى اذا جاء الليل
وشرعوا فيه وجدوا امامهم سوراً بعد سور من الرجال فضاعوا بين الفرس
وجوعهم كما يضيع الجدول الصغير في البحر وظلوا يقاتلون ويحاربون حتّى
اذا جاء الصباح وتكاثر عليهم الاعداء يبيئونهم جيشاً بعد جيش خارت
قواهم وضاعت حيلتهم فلم يعد الواحد منهم يقوى على تحريك يده من التعب
والجوع وسقطوا عن آخرهم وهم يقاتلون الى آخر رمق من حياتهم ولم يرو
التاريخ ان جماعة اشتهرت بالبسالة الى هذا الحد او ان القتال جرى بين
فريقين على مثل هذا الحال

وتحارب الفريتان بجرّاً عقيب معركة ثرموبولي هذه فاتصر اليونان
انتصاراً تاماً على عمارة الفرس ولكنهم اضاعوا لذة النصر وفائدته بخسارة
المضيق الذي ذكرناه وفقد الابطال الذين كانوا يعولون عليهم في ساحة

النزال . وكان زعيم اليونان ورئيس حكومة اثينا وقتئذ رجل شهير في الحرب والسياسة اسمه ثستوكلس فآشار على اهل بلاده بالانسحاب الى الجهات الجنوبية وكتب الى المستعمرات اليونانية في اسيا يجرسها على عدوان الفرس ومقاتلتهم والامتناع عن تقديم السفن لهم فلما سمع زركسيس بهذه المخابرة امتنع عن استخدام هؤلاء القوم وكانوا احسن الذين يمكن لهم نفعه بما لديهم من السفن وما عندهم من الخبرة في مياه اليونان وثغورها وعلم ان الانتصار على الاعداء في البحر من اصعب الامور فوجه اهتمامه الى البر وما لديه من القوات الهائلة وهجم على هيكل شهير لليونان في بلدة دلفي كانوا يحجون اليه ويقصدونه من اقصى الجهات وكان كمنته على جانب عظيم من العلم والذكاء يستشيرهم الناس في امورهم الحاضرة والمستقبلة فيجيئونهم اجوبة مبهمة تحتمل المعاني الكثيرة وتوافق معنى السؤال وتمكن الاعتقاد عند اليونانيين بصحة الانباء التي تفوه بها الالهة في هيكل دلفي حتى جعلوا يعملون بها في كل حال ويسيرون على اشارتها في كافة الاعمال . فلما قرب عساكر الفرس من هذا الهيكل الشهير ثارت عليهم العواصف وانهالت من فوقهم الامطار وكثر الرعد والبرق فتوهوا ان الالهة غضبت عليهم وبدأت بماكستهم فصغرت نفوسهم وتضعفت احوالهم وكان بعض اليونان قد علموا بقدمهم واستعدوا لمقاتلتهم ففاجأهم وهم يضربون اخماساً لاسداس بعد ذلك المصاب وبددوا شملهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً فماد الباقون بالنل والخيبة الى مولاهم واخبروه بما كان من امرهم فزاد لهم على قلبه وتقدم بجيشه العرمرم على مدينة اثينا فلما صار على مقربة منها ورأى ثستوكلس ان المدينة لا تقوى عليه ولا تتمكن من رده وخاف ان هو حاصرها ببعض

من عنده يمنع ابطالها من رد الباقيين من الايرانيين عن الولايات
اليونانية اشار على اهل مدينته بهجرها وعملوا باشارته فذهب كل طفل
وعاجز منهم الى احدى المدن المجاورة وسار المقاتلون والمقاتلات من ناحية
اخرى الى جزيرة سالاميس وهي من الجزر الكائنة على مقربة من مدينة
اثينا . فلما خلت هذه المدينة العظي من اهلها ووصلها جيش ايران امر
الملك بايقاد النار فيها فأحرقت عن آخرها ولم يبق فيها شيء من آثار صناعها
ورجالها الاقدمين وبكى الاثينيون بكاءً مرًا على منازلهم وآثار اجدادهم
ومشاهد عظامهم ولكنهم صبروا على الضيم وعولوا على الاخذ بالثار وايقاد
الموت على الرجوع عن عناد الفرس ومحاربتهم ايما كانوا . ولما تم ذلك
للملك زركسيس وذاق طعم النصر من بعد فرار الاعداء من وجهه عول
على محاربتهم في البحر وقطم آمالم من الحياة وكان القائد العام للسفن اليونانية
يوربيادس ملك اسبرطه فتغلب عليه الجبن واراد الانسحاب من موضعه
والاقتصار في محاربة الفرس على الدفاع عن نقط معلومة وترك ما بقي من
البلاد لمساكرهم الى ان تغير الاحوال وتمد اليهم الظروف يد الاسعاف فلم
يوافقه رجل ذلك العصر ثستوكس وتغلب عليه في الرأي فاضطره الى
المخاطرة والاقصام وعول اليونان من بعد ذلك على الحرب العوان والموت
في سبيل المجد والدفاع عن الاوطان وكانت قوات البحر اليونانية كلها في
سالاميس فخشي ثستوكس الا يهاجمهم الفرس فيضطر الى مبارحة ذلك
المركز النبيع واحتمل على ملك الفرس اذ ارسل اليه رسولاً ادعى انه عدو
قومه فر من ظلم آكابرهم وخدع الملك بالجمال فزين له الهجوم على عمارة
اليونان في الحال وانظت الحيلة فنال زعيم الاثينيين مراده ولما انتشب

القتال بين العمارتين صعد الملك زر كسيس الى مرتفع في البر يشرف على
عمل الواقعة ليري كيف تفتك سفنه بالاعداء نجات آماله وحبطت اعماله
ورأى بعينه الموت الاحمر يحيط برجاله من كل جانب واعدائه الباسلون
يحطمون السفن ويهلكون الابطال في كل حركة يأتونها واستولى الرعب على
قلوب الفرس ومحالفهم وساد الاضطراب على جموعهم فجعلت سفنهم تنطح
بعضها بعضاً وهي تحاول الفرار وابطال اليونان يوالون عليها الضربات القاضية
حتى كسروها شر كسرة واضطروا وليكها الى الفرار خوفاً من وصول الاعداء
اليه فلحظ ثستوكاس على شهرته في الذكاء ان ملك الفرس كان يفكر في
الفرار واراد ان يحقق هذه الامنية ويعجل رحيله عن بلاده فبعث اليه
من دس اليه ان جماعة اليونان شرعوا في سد المسالك في وجهه وقطع خط
الرجوع عليه فخاف الملك ان يصح القول وبلى بالقوم في طريقه فيتعذر عليه
الرجوع الى بلاده والتنعم باطاب قصره واسرع في الرحيل والفرار بعد ان
ابقى مع الامير ماردونيوس الذي مر ذكره ثلاثية الف مقاتل وعاد هو الى
بلاده يهرق الأرم وينوي لجماعة اليونان كل ضرر وشر

وبقي ماردونيوس مدة الشتاء بعد سفر مولاة لا يبدي حراكاً حتى اذا
جاء الصيف بدأ بالحركات وبعث رسولا الى اهل اثينا يعرض عليهم اعادة
بناء مدينتهم والرضى عنهم وغيرهم بالاحسان الكثير على شرط ان يعدلوا
عن محاربتهم وينقلوا على بقية اعدائهم من اليونان فرفضوا هذا الطلب رفضاً
باتاً خلافاً لما كان يظنه البعض فيهم فعاد جيش الفرس الى مهاجمة البلاد
وانحط بكسركه على القرى التابعة لاثينا فدمرها عن آخرها وكان اهل اسبرطة
الى ذلك الرقت لم يدخلوا في الحرب دخولاً تاماً من بعد واقعة ثرموبولي

وسقوط ملكهم ليونيداس حسداً من اهل اثينا وميلاً منهم الى خرابها واذلال
اهلها ولكنهم اضطروا في آخر الامر حياء الى التقدم لمعاونة الابطال الذين
كانوا يجاهدون في الدفاع عن البلاد برمتها فلما انضم جيشهم الى جيش اثينا
بدأوا بهاجمة الفرس والتقوا بهم في ساحة بلاتيا فخار بوم يوماً كاملاً وكان
يوماً يذكر سالت فيه الدماء من الجانبين ونفق فوق الرؤوس غراب البين
وكثر الكر والفر وفعل اليونان فعال الابطال حتى اوقعوا الرعب في
قلوب اعدائهم وكسروهم شركرة وظلوا مدة ذلك اليوم بطوله والذي
يليه يقتلون منهم ويأسرون ويحبسون الى جموعهم سبيل الفرار حتى بلغ عدد
ما خسره القائد الايراني في هذه المعركة العظيمة مائتا الف رجل او تزيد
فزاد به القنوط وتولاه الفشل وجعل يتم سلامته ورجوعه من بلاد
اليونان بعد ان تكفل لمولاه باخضاعها وفرّ بمن بقي من رجاله بعد ان
ترك الذخائر الوافرة والغنائم الكثيرة للفائزين وكان ذلك في اليوم الثاني
والعشرين من شهر سبتمبر سنة ٤٧٩ ق . م

وحدث في ذلك اليوم بعينه ان انتصرت الهارة اليونانية على عمارة
الفرس في شمالي الاناضول وسحقها سحقاً وغنمت منها الذخائر والمؤن فتم
بذلك النصر لليونان وتسنى لهم السيادة التامة على البحار واستقلت كل
المستعمرات اليونانية التي كانت تابعة لايران ما خلا التي آثرت البقاء على
حالتها منها لان الايرانيين كانوا يعاملونها بالحسنى ويعطونها الامتيازات
الكثيرة . وهكذا تمّ النصر لليونان في هذه الحرب العظيمة في البر والبحر
وعادت جيوش ايران او ما بقي منها الى بلادها ولم تذق من قبل تلك
الايام ذلاً ووبلاً قدر ما ذاقت في حروبها مع اهل اثينا واسبرطه

ويرجعون ان زركسيس او اسفنديار هو الملك احشويروش المذكور في سفر استير من التوراة لان القصة الموضحة في ذلك الموضع تنطبق عليه وتدل على انه كان ضعيف الرأي يميل مع الاهواء ويصبو الى الانغماس في الشهوات والذائل شأن الملوك في كل بلاد اذا قربت آخرة دولتهم . وحكم ١٥ سنة قتله في آخرها احد قواده واسمه ارطبانوس مع ابنه خلفه في الملك ابنة الاصغر ارتكزركسيس واسمه في التواريخ الايرانية اردشير بهان بن اسفنديار وكان ذلك في سنة ٤٧٠ ق م . وكان ارطبانوس الذي نصب اردشير بهان على الملك يطمع في السيادة والنفوذ والتسلط على الملك الجديد لصغر سنه فخاب ظنه وانتقم منه الملك بالتعذيب والقتل في اول فرصة جزاء خيانتة لوالده من قبله . وكان اردشير ملكاً عادلاً محباً لرعيته غيوراً على صالحها جعل يهتم في اصلاح شوونها ولم شعها لانها اوشكت ان تسقط مدة حكم ابيه من الكسرات المتوالية في حروب اليونان واغفال امر الملك واظهر اشفاقاً على الامة اليهودية وميلاً الى انصافها فارسل النبيين عزرا ونحميا الى بلاد فلسطين لاعادة بناء القدس وما حولها وكان اليهود الى ذلك الحين في ذل الاسر ونكايه الاعداء الذين كانوا كل يوم ينوون اعدامهم عن آخرهم بامر جديد . ووجه هذا الملك كل اهتمامه الى بقية ولاياته الواسعة فنجح في اصلاحها بعض النجاح ولكن آثار الانحلال والخراب كانت بادية على هذه المملكة فلم تثمر مساعيها الثمرة المقصودة . ولم تبطل الحرب في ايامه مع اليونان ومن سوء حظ المملكة الايرانية نها بليت في آخر ايامها باعداء اشد من رجالها بأساً وأعلى همة واوفر ذكاء وعلماً ظلوا يجاربونهم ويقاتلونهم حتى سبطوا عليهم سطوة الجبار وملكوا منهم البلدان والامصار في عهد الاسكندر المكدوني كما سيحي . فلما

كثرت انتصار اليونان في كل جانب اضطر الملك اردشير بهان الى عقد صلح مع هؤلاء الاعداء الباسلين اشترط فيه على نفسه اخلاء البحار اليونانية وكل مستعمراتها وشطوط اسيا الصغرى الغربية من جنوده وكان هذا الصلح ضربة قاضية على هناء ملك ايران ولكنه لم ير منه بداً وتم امره سنة ٤٤٩ ق . م .

وكثرت الدسائس والثورات في داخلية المملكة الايرانية ايضاً مدة حكم هذا الملك وكان في جملة الذين شقوا عصا طاعته اخوه هستاسبس ثار بجيش من اهل اذربايجان يريد خلعهُ والاستئثار بالملك من بعده ولم يقدر الملك على اخضاعهِ الا بعد الجهد الجهيد . وثار مصر سنة ٤٦٣ ق . م تريد الحرية والاستقلال فساعدتها ملك ليبيا واتت عمارة يونانية لمعونتها وكان المصريون كما قدمنا اكثر الناس كرهاً للايرانيين واشدهم ميلاً الى الانتقام منهم والبعث عنهم فأرسل اليهم اردشير جيشاً تحت قيادة اخيه وبعد القتال الكثير انتصر العصاة عليه وقتلوه مع العدد العديد من رجاله فأمر اردشير عامله في سورية ان يزحف عليهم ويأخذ بثار اخيه وعساكره منهم ففعل الوالي ذلك وبدد شمل العصاة فسلم له اناروس ملك ليبيا وفر حليفه امير تيوس الى نواحي البحيرة فاختمها في مجاهلها وتحصن بمستنقعاتها وظل مدة طويلة يناوش جيوش الفرس ويضايقهم ويعود الى مكانه فلم يتمكنوا من اخضاعهِ وحدث ان ام ملك مصر ارادت الانتقام من ملك ليبيا على استسلامه للايرانيين وتمكينهم من قتل ولدها فطلبت من اردشير ان يسلمهُ الى رجالها حتى تنتقم منه ومانع الملك في اول الامر الا ان الالحاح الكثير تغلب عليه فأجاب سؤالها واصر بتسليم الذي اعانه عليها الى يدها وكان والي سورية مغايزوس

الذي اخضع البلاد واضطرّ اناروس الى التسليم يعلم ان تسليم الرجل بعد دخوله في طاعة ايران ذل فمانع في الامر وجاهر بالعصيان سنة ٧٤٧ ق.م. فجاءته جيوش الملك وكسرها مراراً حتى اضطرّ اردشير الى مصالحته وقبول مطالبه فسكت مغايزوس وسلم نفسه لمولاه الذي اظهر له الرضى وغمره بالاحسان واستدعاه الى عاصمته فاعتم ان وصلها حتى اتى عليه الملك القبض واماته في السجن بعد العذاب الكثير فسبب ذلك غيظاً كثيراً بين اقارب مغايزوس واعوانه وظلوا مدة طويلة يقلقون الملك بدماسهم وعصيانهم فعم الاضطراب في مملكة ايران عند آخر حكم اردشير بهمان كما عم المدل والاصلاح في اوله ومات هذا الملك من كثرة همومه عام ٤٢٤ ق.م بعد ان حكم مدة طويلة لم يدق في خلالها الراحة ورأى عينه قرب انحلال مملكته وسقوطها . وخلفه في الملك ابنه الوحيد زرکسيس وليس له ذكر في التواريخ الايرانية

وبعد ان تولى زرکسيس الثاني الملك في سنة ٤٢٤ ق.م حاول ان يصلح البلاد وطم شعها فلم يمهله الزمان وقام عليه اخوه صوغديانوس فقتله بعد ان حكم ٤٥ يوماً فقط وتولى القاتل الملك من بعده ولكنه لم يهنا به زماناً اذ قام عليه امير آخر وقتله وقبض على زمام الملك وسمى نفسه داراب وهو المعروف في التاريخ باسم داريوس نوثوس

وكانت دولة الفرس تنحط وتفقير يوماً بعد يوم وآثار الاضمحلال تبدو عليها فانتهاز الولاة فرصة توالي داريوس نوثوس وضمه واستبد معظمه بولاياتهم حتى ان امرتيوس المصري عاد الى البصيان وفاز بالاستقلال فاعاد المملكة المصرية الى ما كانت عليه قبل ان اخضعها الفرس ولكنه كان

يعترف بسيادة ملك ايران عليه ولا يدفع له جزية . وكان اليونان في ايامه
لاهين في حرب اهلية فلم يتعرضوا لدولة ايران وكان الامير كورش اخو
الملك والياً على الولايات اليونانية في اسيا الصغرى فانتزح فرصة اشتغال
الاعداء بمحاربة بعضهم البعض وساعد اهل اسبرطة على اهل اثينا فاضربهم
ضرباً بليغاً

ومات داريوس نوثوس سنة ٤٠٥ ق . م . خلفه ابنه ارتكزركسيس
منيمون سمي بذلك لقوة ذاكرته ولم يستتب له الملك حتى هب اخوه
كورش لمعارضته وكان هذا الامير والياً على القسم الغربي من المملكة الايرانية
كما تقدم على عاصمة المملكة بجيش من الايرانيين واليونان ونجح في
بادي الامر نجاحاً كاد ينيله المطلوب الا ان السعد خانه قتل في معركة
كوناكس سنة ٤٠١ ق . م . واستبد ارتكزركسيس بالملك من بعده وكان
المحاربون اليونان الذين جاءوا مع كورش لمحاربة اخيه الملك يبلغون عشرة
آلاف عدداً تحت قيادة رجل شهير من اهل اثينا اسمه زنوفون فلما قتل
اميرهم عادوا الى بلادهم بعد ان حاربوا جيوش الفرس طول الطريق وذاقوا
الاهوال وكان قائدهم زنوفون من الكتاب والمؤرخين وهو صاحب التاريخ
الشهير الذي نقل عنه الافرنج الشيء الكثير من الاقاصيص والحكايات عن
تاريخ ملوك ايران الأول . وكانت ام هذا الملك تحب ابنها الاصغر كورش
الذي قُتل في الحرب وتريد ان يكون هو الملك فلما مات المذكور جعلت
تنقم من كل من اشترك في قتله وتمكنت من التسلط على عقل هذا الملك
الضعيف والتلاعب به كيف شاءت فكثرت القتل وعمت الدسائس في ايامها
وكانت هي الحاكمة الحقيقية في المملكة وابنها رهين اشارتها لا يعصي لها امرًا .

وانتهز اجسلاوس ملك اسبرطه فرصة انهماك البلاط الايراني بهذه الدسائس والمشاكل فتقدم على الولايات الغربية وبطش بعساكر الملك الايراني وكان على وشك تيجزئة المملكة وامتلاكها كما فعل الاسكندر من بعده لولا ان يخونه بعض قومه طمعاً بال الفرس وهدايا ملكهم وكان هذا الملك قد عمد الى المال والرشوة لانفاذ مآربه فنجح في اول الامر واضطر ملك اسبرطه الى الرجوع عن قصده والعود الى بلاده

وكثرت القلاقل والثورات في ايام هذا الملك حتى عجز عن تدبير المملكة وحاول ان يعيد مصر الى دولته فلم ينجح وعادت عساكره بمعنى حنين لخلاف طراً بين القواد والمهاجرين وكانوا خليطاً من اليونان والاييرانيين وهبت قبرص الى الثورة فاستقلت بعد ان ملكها الفرس زماناً طويلاً وقامت الولايات اليونانية عن بكرة ابيها تطالب بالاستقلال ومرد ابنة الاكبر عليه وشق عصا طاعته فاضطر الى الحكم عليه بالاعدام وكان له ابن اصغر اسمه اوخوس يريد نوال الملك من بعد ابيه فقتل اخاه الآخر وزاد هموم الملك زيادة عجلت وفاته فمات سنة ٣٦٠ ق. م. حزين القلب كثير الموم ولا استتب الملك لاوخوس سمي نفسه ارتكز ركيس الثالث وكان يخاف على نفسه من امراء عائلته ويحسب حساب كرههم له فاضر بقتل الكل عن آخرهم وذبح ثمانين اميراً منهم في يوم واحد فنفر الناس من فظائع هذا الملك نفوراً كبيراً واوعز فريق منهم الى ارتبازوس امير انشيا انصغرى ان يتقدم لمخربيه فقام هذا الوالي على مليكه وساعده بعض اليونانيين ولكن اوخوس كان شديد العزم كثير البسالة اشتهر بشجاعته قدر ما اشتهر بقساوة قلبه فتقلب على ارتبازوس واضطره الى الفرار من المملكة

والالتجاء الى اعوانه في بلاد اليونان ولما تم له النصر على هذا العدو الكبير تقدم لمحاربة بلاد الشام التي كانت قد جاهرت بالمصيان وتمكنت من الاستقلال بمساعدة اهل مصر وقبرص فسحق جيوشها وقل جموعها وخرب صيدا وكانت اشهر مدائنها ودمر قراها ونهب اموالها وعاد منها بالغنائم بعد ان مكن قدم دولته فيها وتقدم منها الى قبرص ففتك باهلها وانتقم منهم على عصيانهم ومساعدتهم الثائرين عليه وظهر للملائك هذا الملك سيعيد المملكة الايرانية الى سابق عزها ولكن القدر المحتوم حاجله على يد احد اعوانه كان ناقما عليه يريد قتله جزاء قسوته وفظائعہ فدمس له احد الخصيان السم في طعامه ومات سنة ٣٣٥ ق. م. ولم يقم بعده ملك باسل على المملكة الايرانية وكان الخصي الذي قتل اوخوس يريد الاستبداد بالامر فنصب اصغر اولاد مولاه على العرش واسمه ارسس ولكن هذا الفتى لم يهنأ زمانا بالملك حتى فعل به الخصي الخائن ما فعل بابيه وولى مكانه داريوس قودومانوس وهو آخر ملوك هذه الدولة الايرانية وكان ذلك في سنة ٣٣٦ ق. م. وكان الخصي يريد ان يحكم في البلاد على ما يريد فلما رأى ان داريوس لا يوافقہ على رغائبه عزم على دس السم له وقتله كما قتل الملكين السابقين من قبله فعلم داريوس بالامر والزم هذا الخائن ان يشرب السم الذي كان قد حضره لمولاه فشربه ومات غير مأسوف عليه . واستبدد داريوس بعد هذا بالحكم ولكن ايام دولته كانت معدودة وجاءت آخرتها يوم ظهر الاسكندر ذوالقرنين وماجم مملكة الفرس الواسعة بجيش صغير من ابطال اليونان سحق قوات الفرس ومحقها وجعل قوتها السابقة هباءً ممتورا وكان الاسكندر ينتصر في كل معركة حتى ملك البلاد وفر داريوس قودومانوس من وجهه فقتله احد

الخصيان وانتهى بذلك حكم هذه الدولة الايرانية ودخلت البلاد في حوزة الدولة اليونانية . وهذا جدول ملوك الدولة الهستاسبية على رواية هيرودوتس

من ٥٢٢ - ٤٨٦ ق م	داريوس هستاسبس
" ٤٦٥ - ٤٨٦ "	زركسيس الاول
" ٤٢٣ - ٤٦٥ "	ارتكزر كسيس لونيجمانوس
" ٤٢٢ - ٤٢٣ "	{ زركسيس الثاني صوغديانوس
من ٤٢٢ - ٤٠٥ ق م	داريوس نوثوس
" ٣٥٨ - ٤٠٥ "	ارتكزر كسيس منيمون
" ٣٣٨ - ٣٥٨ "	اوخوس
" ٣٣٦ - ٣٣٨ "	ارسس
" ٣٣١ - ٣٣٦ "	داريوس قودومانوس

وهذا جدول اسماءهم على رواية التواريخ الايرانية

حكم ٦٠ سنة	كشتاسب (داريوس هستاسبس)
" ١١٢ سنة	بهن (داريوس لونيجمانوس)
" حكمت ٣٢	هاي (ملكة)
" حكم ١٢	داراب الاول (منيمون)
" ١٢ "	داراب الثاني (قودومانوس)

الدولة اليونانية

يبتدى تاريخ هذه الدولة بحكاية الاسكندر المكدوني الملقب بذي القرنين اعظم من قام على وجه هذه الارض واشهر من قاد الجيوش وفتح البلدان في الطول والعرض . ولما كان هذا الفاتح العظيم من أشهر الذين حكموا ايران وغيروا شؤونها رأينا ان تأتي هنا على طرف من تاريخه نوره بالاختصار فنقول جلس هذا الملك الكبير على عرش مكدونيا في سنة ٣٣٦ ق . م . واستهل حكمه باخضاع القبائل التي شقت عصا طاعته في شمالي بلاده وما عثم ان أخضع هؤلاء حتى عصته بلاد اليونان التي ضمها والده فيلبس الى املاكه فأسرع الاسكندر بجنيله ورجاله الى مدينة نيس وهي التي كانت في مقدمة المدائن الثائرة فدمرها عن آخرها وقتل اهله او باعهم عبيداً وشدّد الوطأة عليها حتى انه ندم بعد حين على افراطه في القسوة ولكن ذلك افاده وأخر بقية اليونان عن القيام عليه ولما كان هذا الملك ينوي الغزو والفتح فرح بسكوت اليونان عنه وألف منهم ومن اهل بلاده مملكة قوية وكل عليها ان تباطر احد قواده وتقدم هو بجيش صغير من البلادين لمحاربة الدولة الايرانية التي كان ينوي فتح بلادها ساعة جلوسه على العرش وما عثم ان وصل الى اسيا الصغرى حتى حارب ولاتها مع كثرة عدد عساكرهم وانتصر عليهم انتصاراً تاماً فصارت الولايات الايرانية في الترويب من املاكه في الحال وانقدم على بلاد الشام وهو يفل الجيوش ويبطش بقوات الملك الايراني حتى وصل الى صور وحاصرها طويلاً حتى مل من طول الصبر عليها ولما فتحها

بعد العناء الكثير فتك بها فتكاً ذريعاً ونكل بحكامها واهلها وتقدم منها على بقية مدائن الشام فخضعت له من غير قتال ما خلا غزة فانه ما كنها بعد القتال الشديد . ولما انتهى من اخضاع الشام قصد القطر المصري وكان اهله كما تقدم يريدون الخلاص من الايرانيين على ابي حال فرحبوا بالاسكندر وسلموه البلاد بلا حرب ولا قتال واكرموه اكراماً زائداً وجاهر كهنتم بان اصله من اولاد الالهة وعدوه منقذ مصر ومخلصها من جور الايرانيين الذين ظلمهم وأذلهم كل تلك الاجيال الطوال

واسرع الاسكندر من مصر الى بلاد ايران ليخضع بقية املاكها وظل يتقدم ويتنصر في كل معركة حتى لقيه داريوس قودومانوس آخر الملوك الايرانيين بجيش عظيم على مقربة من اربلا وهي بلدة في سهل الجزيرة وانتشب القتال المائل بين الفريقين فانتصر الاسكندر انتصاراً عظيماً وفر داريوس ثم قتل على ما مر وتقدم الاسكندر الى خراسان وبلاد التتر وسيستان وغيرها من املاك الفرس فضمها الى مملكته في الحال ثم عزم على فتح بلاد الهند في سنة ٣٢٢ ق . م فاخضع بعض اجزائها ولما طالت مدة غيابه ومال افراد جيشه الى الراحة في الاوطان اضطر الى الرجوع ووصل بابل وكانت مدينة عظيمة لها موقع بديع يصل الشرق بالغرب فعزم على نقل الملك اليها وجعلها عاصمة سلطنته الواسعة ولكن المنية عاجلته من افراطه في السكر عادة كانت في المكدونيين يكثر من شرب الخمر بعد القتال والنصر فتوفي في بابل في اليوم الثامن والعشرين من شهر ماي سنة ٣٢٣ ق . م . وتجزأت مملكته من بعده فأعطيت الاجزاء الشرقية الى سلوقوس احد قواده العظام وكانت بلاد ايران في جملتها

ويروي المؤرخون الايرانيون ان ملوك ايران كانوا يتقاضون الجزية من امارة مكدونيا فلما توفي فيلبس وعقبه الاسكندر جاء رسل الملك الايراني يطلبون الجزية على عادتهم وكان ملك مكدونيا من قبل ذلك اليوم يدفعها سبايك من الذهب الخالص على شكل البيض فقال لهم الاسكندر ان عودوا الى ملككم واخبروه ان الطير الذي كان يبيض الذهب فرّ وطار الى غير هذه الدنيا ولعله اُفهم انه كان ينوي مهاجمة بلادهم واخذ المال منهم بدل اعطائه اليهم . وكان من امره ما تقدم فلما فتك بجيوش الفرس وفرّ داريوس بعد موقعة اربلا التي اتينا على ذكرها علم الفاتح العظيم ان ملك ايران في قبضة بعض اللئام من قومه فاسرع في الحال الى انقاذه ولكن القوم ظنوا انهم ينالون النعم من الفاتح اذا علم انهم قتلوا خصمه فطعنوه بالحراب ووصله الاسكندر وهو على آخر رمق فشقّ عليه الامر وكثر حزنه واقسم له الايمان بالغلظة انه ما كان يريد له غير الاكرام والاحترام ولم ينو قتله ولا تعذيبه فشكره داريوس ورجاه ان ينتقم له من الذين قتلوه فودعه الاسكندر بذلك ثم رجاه داريوس ايضاً الا يحكم غربياً على بلاد ايران من بعده فقال الاسكندر اني اعذك بذلك ايضاً واقترن بابتك فاولي على ايران الولد الذي ارزقه منها فمات داريوس بين يديه وهو يشكره وقام الاسكندر في الحال يجذ في طلب الخائنين الذين قتلوا ملكهم فادركهم وشدد في تعذيبهم وقتلهم وتزوج روكسانا ابنة داريوس وكان يحبها حباً كبيراً

ويظهر من كتابات المؤرخين الايرانيين ان الاسكندر احسن معاملة البلاد التي اخضعها وخصّ باللين منها بلاد ايران نفسها فقد روى عن حسن تدبيره وسياسته اموراً كثيرة منها انه ظفر يوماً باحد اعدائه بعد الحروب

الطويلة واسره فلما مثل الاسير بين يديه اكرم مثواه وقابله باللطف والترحاب فقال له احد قواده لو كنت انا موضع الاسكندر لما اظهرت مثل هذا الاحسان لهذا العدو فأجابه الاسكندر على الفور وانا عاملته بالحسنى لاني الاسكندر . وقيل انه غضب على احد ضباط جيشه يوماً ونزله الى رتبة دنيئة وذهب اليه يوماً فسأله كيف حالك في هذا المنصب الجديد قال بألف خير ونعمة ان الرجل يزين المنصب ليس المنصب يزين الرجل فسر الاسكندر من هذا الجواب واعاد الرجل الى سابق حاله . وغير هذا كثير يروونه عن هذا الملك العظيم للدلالة على سعة مداركه وحلمه واقتداره

وقد كتب الرواة الشريون المؤلفات الضخمة عن الاسكندر وفعاله ورووا عنه الاقاصيص الغريبة والامور العجيبة مما لم نشأ التعويل عليه في هذا الكتاب لانه لا ينطبق على رواية اصحابه اليونانيين الذين كانوا معه وكتبوا سيرته من بعد وفاته . ويروي هؤلاء الكتاب ان الاسكندر رزق ابناً من زوجته روكسانا ابنة داريوس قودومانوس سماه اسكندروس ولكن هذا الفتى لم يخلف ابيه في الملك لانه انقطع الى الدرس والمطالعة تحت يدي الفيلسوف ارسطو طوليس . ويقولون انه جزاً ايران قبيل وفاته وحكم عليها امراء كثيرين كان كل منهم مستقلاً في امارته وعرف عنهم الاتحاد حين هجوم عدو على بلاد ايران والعود الى الشقاق بعد خروج العدو وظلوا ثلاثمائة عام على هذا الحال من بعد وفاة الاسكندر

واما تواريخ اليونان التي يعول عليها فيؤخذ منها ان مملكة الاسكندر الواسعة تجزأت عقيب وفاته وتقسما قواد جيشه فكانت بلاد ايران من

نصيب القائد سلوقوس الذي أسس الدولة السلوقية في بلاد الشام وسمى نفسه سلوقوس نيكاتور اي الظافر . واما بقية الممالك والامارات التي كانت تابعة لايران فأعطيت لغيره من القواد وانقطعت كل علاقة بين اجزاء تلك السلطنة الواسعة . وكان سلوقوس هذا من الرجال العظام حارب زملاءه السابقين ووطد اركان سلطنته وجعل نفسه ملكاً على كل البلاد الواقعة بين شطوط الشام وحدود الهند وبلاد ايران في جملتها . وكان ينوي نية الاسكندر فهاجم الهند وحاربها ونجح فيها اكثر من سيده العظيم وعاد منها بالغنائم والافيال فخارب قواد اليونان وانتصر عليهم مرة اخرى وهو الذي بنى مدينة انطاكية الشهيرة في بلاد الشام وجعلها عاصمة ملكه وحكم الى سنة ٢٨١ ق . م حين قتله يوناني خلفه في الملك ابنه انطيوخوس سوتر اي المنقذ فكان مثل ابيه في حب الغزو والفتح ولكنه لم يضيف الى املاكه شيئاً كثيراً وخلفه ابنه انطيوخوس الثاني في سنة ٢٦٢ ق . م . وكان جباراً عاتياً اراد ان يضطر صنوف رعاياه الى عبادته وعبادة آلهته فنفروا منه وكان الايرانيون في مقدمة العاصين تحت قيادة امير اسمه ارزاسس فقتلوا اغاثوكليس نائبه وتأسست من ذلك اليوم دولة ايرانية يسميها الافرنج دولة البارثيين او الفارسيين

ملوك الطوائف

ولم تطل مدة الدولة اليونانية بعد الاسكندر كما يظهر من الفصل الاخير حتى عقبها دولة أخرى ايرانية ولكنها لم تفعل فمال الدول الايرانية الاولى وقما يعرف الناس عن هذه البلاد شيئاً في مدتها ولذلك فمن سنذكرها في هذا الكتاب باختصار

وكان اسم الذي اسس هذه الدولة ارزاسس كما مر وهو الذي قام على وكيل انطيوخوس ديوس وقتله وحكم موضعه واسم هذا البطل في التواريخ الايرانية عشق قيل انه كان من سلالة الملوك الايرانيين القدماء واذاع بين الناس ان الراية القعونية الشهيرة كانت في حوزته فاجتمع بين يديه جيش كبير تمكن به من طرد جيش الملك انطيوخوس وارسل الى كل امراء ايران يقول لهم انه لا يريد ان يصير ملكاً مطلقاً على البلاد ولكنه يتمني ان يراها مستقلة من نير الاجانب وتعهد لكل واحد منهم بان يحافظ له على امارته فجاءوا لمعونه ونصروه على الاعداء وظل كل واحد على حاله وكان عشق رئيس هذا التحالف الذي تألفت منه دولة تعرف باسم "ملوك الطوائف" والاخبار عنها قليلة ومتناقضة اهمها حكاية عشق التي مرت وهو على قول هذه الروايات حكم في البلاد خمسة عشر عاماً وخلفه ابنه عشق الثاني ولم يرو عنه شيء يذكر . وخلفه ابنه شاه بور ويعرف في التواريخ الايرانية باسم ارطبانس وهو الذي حارب ملوك سورية زماناً طويلاً واضطر انطيوخوس الكبير الى الاعتراف له بالسيادة على بلاد ايران واذر بايجان

وعقب حكم هذا الملك زمان طويل لم تذكر فيه ايران بشيء لان

علاقتها بالغرب انقطعت ولم يعد المؤرخون من اليونان يذكرونها ولا اتى ملوكها في كل تلك المدة شيئاً يذكر حتى كان يحفظ لهم الذكر. واول من جاء ذكره من ملوك هذه الدولة بعد شاه بور واحد اسمه بهرام جدرز واسمه عند الافرنج جوتارزس وهو الذي حارب اليهود في ايام المسيح ولا يعرف عن هذه الحرب الا القليل . وخلفه في الملك ابنه فولاس وقد جاء ذكره في تاريخ الرومانيين لانه حارب الامبراطور نيرو وارسل سفارة الى رومية في عهد الامبراطور فسباسيان لتقرير شروط الصلح بين البلدين ولم يعرف عنه غير هذا الا ان الدلائل تدل على انه كان من الابطال لانه كسر جيوش الرومانيين وارجعها عن بلاده خاسرة وهي التي ملكت كل بلاد معروفة وكسرت كل جيش في تلك الايام . وخلفه هرمز وهو اربطانس الرابع في حساب الافرنج وعقبه اخوه نارسي ثم اخوه الآخر فيروز ثم خسرو او كسرى وهو الذي حارب الامبراطور تراجان الروماني ونقهر امامه وفر من وجهه ولكن الامبراطور المذكور مات لحسن حفظه بعد النصر بقليل فعقد خسرو محالفة مع الذي خلفه وهو الامبراطور ادريان وعادت اليه املاكه . وقام بعده ملوك آخرون لم يشتهر منهم غير واحد اسمه اردشير وهو الذي حارب الرومانيين مراراً وردهم عن بلاده خائبين

وخلاصة الامر ان تاريخ ايران في ايام هذه الدولة اي من بعد موت الاسكندر الى ما بعد التاريخ المسيحي بمائتي سنة تقريباً لا يذكر في شيء غير كثرة حروب امرائه مع الرومانيين وانتصارهم على جيوش رومية بمساعدة الجبال وبعد المسافة على الرومانيين، وهذا جل ما يعرف عن ايران قبل حكم الدولة الساسانية وهي التي سنذكرها في الفصل القادم

الدولة الساسانية

ولم تعد بلاد ايران الى الظهور بعد الحفاء الا لما تولت امورها الدولة الساسانية التي نحن في شأنها وكان ذلك بعد ان مرت عليها القرون والاجيال وهي بلا ذكر بين دول الاقدمين تعرف عند الرومان ومن والاهم باسم بارثيا فعادت الى اسمها الاول في عهد هذه الدولة وصار الناس يعرفونها باسم دولة الفرس ويعودونها من الدول العظيمة . وقد امتازت ايام هذه الدولة بالحروب الكثيرة التي جرت في ايامها بين الرومان والاييرانيين وسأتي على تفصيلها واطلق العرب عليها اسم دولة الاكاسرة ذلك لان بعض ملوكها كانوا يسمون انفسهم خسرو وعند العرب كسرى فصار هذا الاسم بمثابة اسم قيصر عند الرومانيين وفرعون عند المصريين يطلق على كل ملوك هذه الدولة كما كان اسم دارا يطلق على معظم ملوك ايران في عهد الدولة الهستاسبية التي مر ذكرها واول ملوك هذه الدولة اردشير بابجان تولى الملك في سنة ٢٢٦ م. في عهد الامبراطور اسكندر سقيروس الروماني . وكان اردشير هذا ابن ضابط صغير في ولاية داربجرد من ولايات ايران اسمه بابك وهو من بيت رجل شهير اسمه ساسان قيل انه كان ابن بهمن بن زر كسيس المعروف في التواريخ الايرانية باسم اسفنديار ولهذا سميت العائلة بالساسانية نسبة الى ساسان . اشهر افرادها . وسمع ييري والي داربجرد ان بابك عنده ابن نجيب له شهرة في الذكاء والبسالة فاستقدمه ورفع منزلته على صغر سنه وكان كلما غاب عن مركز الولاية يقيمه نائبا عنه حتى اذا مات اوصى له بالولاية من بعده فقام اردشير باعباءها خير قيام ولكن ملك ايران الذي كان على ايامه (اردوان)

عين والياً غيره على البلاد فتمكن اردشير بواسطة والده بابك من قتل هذا الوالي وبدأ يفكر في توسيع امارته ومد سيطرته ويروون انه كان كثير التصديق باحلام جمه يراها وعلم منها انه سوف يعظم قدره فتشددت عزيمته وشرع في ما اوصله الى ارفع الذرى وكان والده اكبر اعدائه لانه مال الى توظيف ابنه الاكبر وسعى في اقامته والياً على فارس او الولاية الغربية من البلاد ومات بعد هذا الصنيع بمدة وجيزة فزحف اردشير على اخيه وغلبه وهرب شابور اخوه من وجهه ولكنه وقع في قبضة اناس قطعوا رأسه طلباً للانعام والمكافأة من اردشير فكافأهم بالقتل على هذه الحياثة . ثم تقدم هذا الشاب الفاتح على ولاية كرمان وانحاء العراق العجمي فاغتصبها من اردوان وكان الملك في جبال همذان لما بلغه خبر هذه الامور فجمع جيشه في سهل هرمز واستعد لمقاتلة اردشير وجاء المذكور لمقاتلته فحصلت بين الاثنين معركة هائلة كان النصر فيها لاردشير وقتل اردوان مع اكثر اعوانه فنودي باردشير ملكاً على ايران في الحال وسمي "شاهنشاه" اي ملك الملوك ولم يزل ملوك ايران يعرفون بهذا اللقب الى اليوم

ولما استتب الملك لاردشير وخضعت له بلاد ايران عن بكرة ابيها شرع في الفتح والغزو وكان همه الاكبر ارجاع مملكته الى ما كانت عليه في ايام كورش وداريوس الكبير فزحف على ما بين النهرين واخضعها وبني فيها مدينة المدائن او اكتسفون التي صارت بعد ذلك عاصمة الملك في عهد الاكاسرة ثم حول نظره الى جهة الشرق فأعاد فتح خوارزم وما يليها من اواسط اسيا وتوطدت دائماً ملكه وعظمت هيئته فصار بعد امبراطور رومية اعظم ملوك الزمان في عصره وماك ١٤ سنة على مملكة ايران من

بعد خلع اردشير حتى اذا رأى من نفسه الكبر ومن بلاده الارتياح الى دولته استقال من الملك وتنازل لابنه شاه پور واعتزل ليتضي بقية ايامه في الراحة وكان اردشير بايجان المذكور (واسمه عند الافرنج ارتكزر كسيس) من احكم الملوك الذين حكموا ايران واقوام جنائنا وابعدهم نظراً في الامور وله شهرة في الحكمة والبيان تحكي شهرته في البسالة والادارة وله اقوال صارت مثلاً بين الناس من جملتها قوله "ان العدل اساس الملك" ذلك ان الملك لا يقوم بغير الجند ولا يقوم الجند بغير المال ولا مال بغير الزراعة ولا تقوم الزراعة بغير العدل فالعدل اساس الملك وله اقوال اخرى من هذا القبيل تشهد باتساع مداركه وسلامة ذوقه . وكان له اناس من الحفية والاعوان يقدمون اليه التقارير اليومية عن كل ما يتم في بلاده واشتهر بتعصبه لدين زردشت وعبادة النار لانه قصد ان يعيد الجامعة الايرانية الى البلاد ويحبي العواطف الوطنية الاولى التي فقدت في ايام ملوك الطوائف فشد الوطأة على كل مارق عن دين زردشت وكان يقول لابنه كل يوم ان الدولة لا تقوم بغير الدين ويوصيه بالحرص على دين ايران قدر حرصه على دولتها

وملك بعده ابنه شاه پور على ما تقدم فكانت فاتحة اعماله الزحف على بلاد خراسان واعادتها الى الخضوع فانتهز العرب الخاضعون له فرصة غيابه وشقرا عصا طاعته تحت قيادة امير منهم اسمه منيزن فعاد اليه شاه پور وحاربه فغلبه وقتله وقيل انه تمكن منه بواسطة ابنة له قادها الطمع الى اغتيال ابيها حتى اتقرب من شاه پور وتصير قرينته فعلم الملك باحراها وبعدها عنه ثم اسر احد الجلادين باعدامها جزاء ما عرف عنها من القسوة والخيانة .

ثم تقدم على اراضٍ في الجزيرة كانت تابعة لقيصرة الرومان فاخضعها وجاء
الامبراطور فاليريان لمحاربتِه فكسر ووقع اسيراً في يده وظن شاه پوران في
امكانه امتلاك السلطنة الرومانية بالتدريج فأقام امبراطوراً رومانياً من
عامة الناس اسمه كيريادس واضطرّ الرومانيون الذين كانوا في قبضته الى
المناداة بوقيصراً والاحتفال بتتويجه ففعلوا ذلك على كرهٍ منهم ولكن ذلك
لم يدم زماناً وعاد الرومانيون الى محاربة شاه پور فاتصروا عليه في مواقع
عدة . وحكم شاه پور ٣١ عاماً بنى في خلالها المدن وشاد العمارت منها مدينة
نيسابور في بلاد خراسان وهي باقية الى اليوم ومدينة شابور في فارس على
مقربة من كازرون ولم يبق لها اثر وفي متاحف التاريخ الآن آثار كثيرة من
ايام هذا الملك وفي أكثرها حكاية انتصاره على الرومانيين واسر امبراطورهم
وتقدمه على مدينة انطاكية وغيرها من مدائنهم ولكن هذه الآثار لا تذكر انه
لم ينل كبير نفع من ذلك النصر لقصر مدة بقاء الرومانيين على ذلك الانكسار
ولانه عند عودته من بلاد الشام بعد ان جمع الغنائم من الرومانيين لقي في
طريقه جيش اودناتوس امير بلهيرا (تدمر) وخذل في محاربتِه فاضطرّ الى
الرجوع الى ايران في الحال وترك الغنائم لخصمه الباسل مع ان تدمر كانت
امارة صغيرة وجيشها صغير لا يذكر

وخلفه ابنه هرمز واسمه في التواريخ الاخرى هرمزادس وكان مثل
ابيه في الخلق والخلق وامه ابنة مهربك احد امراء ايران الذين نكل اردشير
بهم لان احد النجبين اخبره ان واحداً من نسلهم سيخلفه في الملك فخاف ان
يقوم احدهم عليه او على ابنه من بعده ويعزله واتي معهم ما تقدم ففرت
منهم فتاة ولجأت الى بيت احد الرعاة اوها ورباها حتى اذا كبرت رآها

شاه پور بن اردشير فشغف مجبها وتزوجها سرًا ورزق منها ولد هو هرمز الذي نحن في شأنه . وحدث ان اردشير زار ابنه شاه پور في بيته يوماً فرأى هرمز وهو طفل واستوضح ابنه عنه فآقر الرجل لاييه وحينئذ تذكر اردشير قول المنجمين وفرح بذلك الاتفاق فرحاً كبيراً . وكان هرمز في مدة ابيه والياً على خراسان فانصف في الناس واصلح احوال البلاد ولكن بعض الاعداء من المقربين الى الملك الذين لا يخلو بلاط شرقي منهم بدأ يدس الدسائس عليه ويوحى الى الملك ان ابنه كان يمد البلاد للثورة عليه وقتله فصدف شاه پور ذلك واحس هرمز بالدسيسة قبل ان يجزم والده في كيفية معاملته ولم يحظر في باله ذلك الامر فأراد ان يثبت لو الله صدق ولائه فقطع يده وارسلها اليه علامة الخضوع التام فتأثر شاه پور لهذا الامر المنكر وزالت من صدره الوسوس واعتقد بصدق ابنه فبعث بطلبه وطيب خاطره وبالغ في اكرامه ورفع قدره وظل هرمز مكرماً من ابيه حتى ورث الملك عنه بعد وفاته على ما تقدم . وكان طيب القلب حميد الخصال ولكنه لم يحكم إلا سنة واحدة بنى فيها مدينة دام هرمز وكان اسف الناس على وفاته كثيراً وخلفه ابنه بهرام وكان ملكاً صالحاً كثير الدعة والحلم وقام في ايامه مضلل اسمه معني ادعى الوحي والالهام واللف كتاباً يعرف باسم اوتان نشره بين الناس وجمع فيه بين أشهر الديانات المعروفة يومئذ وهي ديانة الهنود وعبادة النار والنصرانية وتبعه كثيرون من الناس فشدد بهرام عليهم الوطأة ونكل بجمعهم وقتل صاحبهم مع انه على قول بعض المؤرخين كان كثير الميل في اول امره الى اعتناق هذا الدين الجديد ولكن ملوك هذه الدولة "الساسانية" جروا على خطة واحدة رسمها لهم جد هم اردشير وهي اتحاد الحكومة

بالدين وجعل الملك رئيس القوتين والمحافظة على امور ايران وعوائدها وعقائدها حتى تعود الى ما كانت عليه في ايام دولها الاولى من الصولة والسودد. وحكم بهرام في البلاد ثلاثة اعوام وثلاثة اشهر اظهر في خلالها كل حلم واعتدال وعم الامن وسادت السكينة في ايامه حتى صارت الجرائم من الامور النادرة في بلاد ايران على عهده

وخلفه ابنه بهرام الثاني وكان نقيض ابيه في الاخلاق فجار وطني وغبي حتى نفر الناس منه واتحد امراء المملكة على خلعه واتخلص من شره الا ان رئيس الكهنة من عباد النار رجاه الانتظار ريثما يسي في اصلاح سيرة هذا الملك فاذا اصطلح واعتدل في اموره ابقوه اولا عزلوه ورضي الاشراف معه بذلك فاخترتوا في جوانب القصر يوماً بمقتضى اشارة الكاهن وابعدوا عنه كل خادم او حارس حتى اذا افاق الملك من نومه ودار في غرف القصر رآه يصفر لا ائس فيه ولا جليس واخذه الزعب وتولاه الضيق فظهر له الكاهن وحده وله هيبه ووقار واكن على وجهه علامة الكرب الشديد فسأله الملك عن معنى تلك الامور واقر له بالحكاية من اولها الى آخرها ورجاه ان يصطلح في اموره او تكون العاقبة شراً وبيلاً. فتأثر بهرام لهذه الحكاية ووعد الكاهن وعداً صادقاً بأنه يتوب ويندم على ما فات ويصلح سيرته ويعدل في احكامه فصهر الكاهن حينئذ المختبئين وظهروا في الحال فداروا بالملك من كل جانب وانظلم الايمان بانه لا يعود الى شيء مما يكرهون وكان صادقاً في وعده. على ان امتناعه عن الظلم لم يفد البلاد كثيراً في ايامه لانه كان ضعيف الرأي عديم السداد وتقدم الرومان في ايامه على مملكة ايران تحت قيادة امبراطورهم كاروس فلكوا بلاد الجزيرة

وفي جماتها المدائن (اكتسفون) واضطربت البلاد اضطراباً كبيراً فلم تخلص
منها إلا بموت الامبراطور كاروس وكان يخالف ملك ايران في كل الامور
لان بهرام اعتاد الكسل والخمول وحب الترف واشتهر كاروس بالبساطة في
العيش والاقدام الغريب حتى ان سفراء بهرام لما قصدوا الدخول عليه يوماً
ليخبروه في امري من الامور بامر ملكهم جاءوا معسكر الرومانيين وطلبوا
ان يؤذن لهم في الدخول على الامبراطور العظيم فقادهم الضباط الى جندي
قاعد الى الارض وامامه قطعة من اللحم المتدّ وشيء من القبول يعتدي به
وعليه رداء بسيط حمر اللون لا شيء يميزه عن بقية العساكر غير الشجاعة
التي تلوح على وجهه فحدثهم بما جاءوا في شأنه واشترط عليهم اموراً صعبة
وتهدّد بلادهم بالخراب اذا لم تقبل فخرجوا من حضرته وهم يعجبون ببساطة
هذا الامبراطور واقتداره

ومات بهرام بعد ان حكم البلاد سبعة عشر عاماً فعقبه ابنه بهرام الثالث
على كره منه لانه كان يميل الى الوحدة والاعتزال ولم يقبل التاج والصولجان
الا بعد الالحاح الكثير من امرائه مملكتهم ولم تدم مدة ملكه الا اربعة اشهر
وملك بعده اخوه نارسى

وليس لنارسى هذا ذكر كثير في التواريخ الايرانية غير انه حكم بالقسط
والانصاف مدة تسعة اعوام تنازل في آخرها عن الملك لابنه هرمز الثاني
ومات بعد هذا التنازل بزمان قصير . غير ان الرومانيين ذكروا هذا الملك
لانه حارب امبراطورهم بهالير يوس وانتصر عليه في اول الامر انتصاراً
عظيماً ولكنه عاد وانكسر في عدة مواقع جرح في واحدة منها وفر من وجه
خصمه بعد ان ترك له الخزائن والعيال غنيمة باردة فأحسن الامبراطور

معاملة الاسرى ولكنه ظلّ ينتصر على جيوش الفرس حتى عقد معهم معاهدة
أظهرت ان بلاد ايران تأخرت عن ايام اردشير في مدة نارسي اذ سلمت
كل ولاياتها الغربية الى الرومانيين واضطرت الى التنازل عن اذربايجان
لامير ارمينيا تيريداتس الذي جعل تاوريس (تبريز) عاصمة ملكه وزينها
بالقصور والزخارف

واما هرمز الثاني ابن نارسي فحكم البلاد سبعة اعوام وخمسة اشهر لم
يحدث في خلالها امرٌ ذو بال ومات بلا عقب فوقت البلاد في القوضى
ولكن احد عقلائها جاهر بين الناس بأن احدى نساء الملك كانت حاملاً
وان الظواهر كانت تدلُّ على ان الجنين ذكر فاقرّ الناس على الاعتراف
بالمك لهذا الطفل من قبل ان يولد واحتفلوا بتتويجه وهو في بطن امه ولعله
الملك الوحيد الذي توج ونودي به رسمياً من قبل الولادة. ولما ولد الطفل
ذكرًا على حسب الانتظار عمت الافراح في البلاد وكثر السرور وسموه
شاه پور باتفاق الآراء واعتنوا بتربيته اعتناءً كبيراً حتى قيل انه لم يرب ملك
من ملوك الاوائل مثل شاه پور الثاني وظهرت عليه دلائل النجابة والدكاء
من ايام طفولته وكان من اعظم ملوك هذه الدولة

على ان اعتناء الايرانيين بملكهم الصغير لم يمنع الاعداء من الطمع ببلادهم
في اول عهده فخاربا الرومان والتتر والعرب وكانت قبائل اليمن خاضعة
لايران فشقت عصا الطاعة وثاروا للحرب تحت قيادة امراء بني عيار
وعبد القيس وهي من قبائل العرب التي اشتهرت في تلك الايام فدخلوا بلاد
ايران من ناحية خليج العجم ودمروا عمارتها ونكلوا باهلها وتقدم شاه پور
بجيش كبير لقاومتهم فبطش بهم وقلّ جموعهم وشدد في معاقبتهم حتى جعلهم

عبرة لمن اعتبر وكان يربط اسرام كتنفا الى كنف بجبال وثيقة يدخلها في اجسامهم فيجرهم الى التعذيب جماعات ويسومهم الحسف والذل ولهذا سماه العرب في تواريخهم بندي الاكتاف واشتهر بهذا الاسم. ثم ارسل قواده لمحاربة التتر الثائرين فاخضعوهم وهاجم الرومانيين فخارب امبراطور الشرق كونسطانتينوس وكسره ثم جاءه يولييانوس امبراطور الغرب (رومية) فاتصر عليه ايضا بعد قتال شديد وارجع بلاد ايران الى منزلتها الاولى واعاد الولايات التي سلخت منها واخصها بلاد الجزيرة والعراق وزعت بلاد ايران ونقدت في ايام هذا الملك العظيم وكانت مدة حكمه ٧١ سنة وهي اطول من مدة حياته ببيضة اشهر واشهر اعماله الانتصار على جيوش الرومانيين واسترجاع العراق واذلال ارمينيا بعد استقلالها واعادتها الى الرضوخ لاحكام ايران حتى صارت ولاية من الولايات الايرانية في ايامه. واشتهر هذا الملك بالحكمة والاقوال التي ضربت امثالا مثل اقوال جده اردشير ولا محل لايرادها هنا وهو من اكبر ملوك الدولة الساسانية

وخلفه اردشير الثاني وكان ملكا عاقلا اختلفوا في نسبه فقال بعضهم انه ابن شاه پور وقال غيرهم انه اخوه وليس في تاريخه شيء يذكر غير انه حكم اربع سنوات عزله بعدها شاه پور الثالث ابن شاه پور ذي الاكتاف وقعد على العرش مكانه خمس سنوات ثم مات بالقضاء والقدر وخلفه اخوه بهرام الرابع ويعرف باسم كرمان شاه لانه كان في مدة اخيه واليا على بلاد كرمان وهو الذي اسس مدينة كرمانشاه المعروفة الى هذا اليوم. ومات بعد ان حكم البلاد ١١ سنة من سهم اصابه وهو يحاول اخاد ثورة في جيشه وملك ايران بعد ذلك يزدجرد الاثم سمي بذلك لكثرة خطاياها

واثامه وقال قزم انه اخو بهرام وقال غيرهم انه اخوه وقد جاء في تاريخ
 "روضة الصفاء" و"زينة التواريخ" وهي التي يؤول عليها في اخبار هذه المدة
 انه كان اثماً ظالماً كثير الشرور وحكم ١٦ عاماً قتل في آخرها من رفس
 حصانه ففرح الناس لموته وطربوا للخلاص من ظلمه وكان له اولاد كثيرون
 لم يعيش منهم غير واحد اسمه بهرام وكُل ابوه نعمان بن امرئ القيس تربيته
 وكان نعمان هذا ملكاً في الحيرة على قبائل العرب من قبل اكاسرة العجم
 يحكم العربان باسمهم ويؤدي لهم الجزية ويجمع العساكر لاعانتهم وقت الحروب
 وفعل يزدجرد ذلك باشارة احد النجمين. والاقوال متناقضة عن هذا الملك
 فالايرانيون يتهمونهُ بالظلم والخبائث والافرنج يعدونه من افضل الملوك واحسنهم
 حتى ان ثيودوسيوس امبراطور المملكة الشرقية عهد اليه تربية ابنه وولي
 عهده وفي هذا دليل عظيم على اعتبارهم له

ولما مات يزدجرد خشي امراء ايران ان تكون تولية ابنه بهرام داعياً
 لقبير ما يجنون لانه ربي على يد ملك العرب فاقاموا ملكاً غيره عليهم اسمه
 كسرى ولكن شجاعة بهرام واقدامه وهمته ذلت المصاعب بفر الخضم من وجهه
 حال ظهوره واستتب الامر له بدون حرب ولا قتال

ويعرف بهرام الخامس في التواريخ الايرانية باسم بهرام جور (ومعناه
 حمار الفلأ) ذلك لان هذا الملك كان مغرمًا بصيد هذا الحيوان وتربيته وكانت
 فاتحة اعماله الانعام على مربيه نعمان والمبالغة في اكرامه ثم الصفع عن الذين حاولوا
 تنصيب غيره على العرش فاكتمسب بذلك القلوب واشتهر عنه حميد الخصال
 وكان بهرام يهتم لراحة بلاده ورعيته ويجب ان يم السرور بينهم
 فحدث انه مرة بجاعة من عساكره يوماً يرقضون ويطربون وليس بينهم واحد

يضرب على آلة موسيقية فسألهم عن سبب ذلك قالوا انا بجمنا في كل جهة
ودفعنا مالا كثيرا فلم نلق مغنيا ولا ضاربا على آلة للطرب فأمر الملك في
الحال بارسال الاعوان الى بلاد الهند لاستخدام المغنين والمطربين وجاء بالعدد
الكثير منهم الى بلاده وهم كثر في بلاد ايران الى هذا اليوم. على ان امياله
هذه اطعت الاجانب فيه وفي بلاده اذ ظنوا ان مملكة ايران اضاعت كل
ميل للحرب ومالت للغناء والطرب فتقدم خان التتر على البلاد يقصد فتحها
بجيش لا يقل عدد افراده عن خمسة وعشرين الف بطل وكان الايرانيون
على غير استعداد لمثل هذه الحرب ففرقوا من وجه التتر وتركوا له البلاد وما
فيها واختفى بهرام من بين جيشه فحسب الناس انه هرب خوفا على نفسه من
الاسر او القتل وعلموا منه بان خصمه اقوى منه. وصار رؤساء ايران يأتون
لامير التتر ويقدمون له الخضوع حتى لم يبق ريب في ان ايران صارت
الى قبضة الامير التتري ولكن الرجل لم يهنأ بهذا النصر طويلا لان بهرام
دهم بجيش صغير في ليل كثير الظلام فكسره وقتل الوفا كثيرة من جيشه
وكان امير التتر في جملة القتلى فاستراحت بلاد ايران من اعدائها وعاد
بهرام الى الهناء والراحة. ويقولون انه ساح في بلاد الهند متنكرا بعد هذه
الحرب قصد التفرج والاطلاع على احوال الناس ولما عاد منها عاد الاعداء
الى الحرب فحارب العرب والرومانيين وكسروهم ولكنها لم يستفد فائدة تذكر
من محاربة الرومانيين فلما رأى هو والامبراطور ان الحروب بين البلادين
لم تجدر نفعا عقدا محالفة وتعاهدا على السلم مدة قرن كامل
ولا ريب ان بهرام جور هذا كان من اعظم ملوك ايران واعقلهم وان
همه الاول كان راحة اهل بلاده وهناء بالهم وله نوادر كثيرة تدل على

عقله وذكائه منها انه كان له ولد حامل بليد لم تفد فيه التربية ولا فهم من امور الدنيا شيئاً مع كل ما أتى الحكماء لتهديبه وتعليمه حتى صار شاباً ورأى في احد الايام فتاة ابنة احد الفقراء فعلق بحبها وجعل يقضي اوقاته في النظر اليها والجري وراءها وجاءه الوزير يوماً الى هرام فشكى له ابنه واطهر استيائه من ان هذا الفتى اضاف الى بلادته وجهود فكره رذيلة الحب والفساد وكان يظن ان الملك يأمر بسجنه ويقطع الامل من اصلاحه ولكنه خاب ظناً اذ رآه يسر لهذا الخبر سروراً عظيماً . وارسل الملك وراءه والد الفتاة وقال له ما معناه انه يريد ان يكون كل واحد من رعاياه سيد نفسه ولا يطيق ان يعيث واحد بشرف المستظلين بظلمه ولكنه علم ان ابن الملك يجب ابنة ذلك الفقير وهو يرجع ان الحب ينه في الشاب الذكاء الجامد ويكون علة اصطلاحه وواسطة الخير له وبلاده ونصح للرجل ان يرغب ابنته في مشاغلة الشاب واطهار الحب له وقال له قل لاسئلك ان تشتري علي ابني اتباع الفضيلة والاتباه للعلم حتى تحبه انها اذا فعلت ذلك أحيت ولدي من الموت العقلي الذي نشكو منه في هذه الايام . فأجاب الرجل بالقبول ورضيت ابنته بنصيحته فاتمعت رأي الملك وشاغت الشاب حتى لم يمد يدها بالعيش وهو يمد عنها وكانت هي تراقبه وتقرأ افكاره فلما علمت ان حبها تمكن من قلبه اعرضت عنه واشترطت عليه التعلق علي العلم وطلب المعارف حتى تعود الى حبه ففعل ذلك اكراماً لحاظرهما واشتغلت نار ذكائه بعد ان كانت خامدة كل تلك السنين فتعلم ونقف وتهذب وصار الى درجة تدنر من العلم والمعرفة والفهم بسبب حبه لتلك الفتاة . وحكم بهرام البلاد ١٨ سنة . كان فيها مثال الاستقامة والعلم بالامور وحب الرعية وكان يصيد حمار الغلام

يوماً فوقع في بركةٍ وغرق فيها وخسرت البلاد بموته خسارة لا تعوض
 وخلف بهرام في الملك ابنه يزيدجرد الثاني وكان حكيماً عاقلاً باسلاً
 جرى على خطة والده في الاعناء براحة الاهالي وصيانة مصالحهم وحكم مثل
 والده ١٨ سنة اشتهر فيها بجروبه مع الرومانيين لان امبراطور القسطنطينية
 خان عهدوه ولم يقم بشروط الصلح التي عقدت بينه وبين بهرام وابطل دفع
 الجزية التي كان يرسلها كل عام الى المداين (على رواية الشرقيين) ولكن
 هذا الامبراطور عاد الى العمل بمقتضى المعاهدة المذكورة بعد انتصار جيوش
 ايران على جيوشه . وكان يزيدجرد يجب عساكره ويأتي كل امر لمنع الظلم
 عنهم ولهذا لقبه الناس بلقب "صباحد وست" اي صديق الجندي وهو يعرف
 في أكثر التواريخ بهذا الاسم

وحكم بعد يزيدجرد هرمز ابنه الاصغر وكان أحب الناس عند ابيه
 ولهذا ولأه الملك من بعده وحرّم منه فيروز ابنه الأكبر . ولكن فيروز لم
 يطق الصبر على هذا الامر وبدأ في الحال يسعى وراء اخذ الملك وقلب
 اخيه فاستعان بأمر التتر وكانت هذه البلاد من اقدم الازمان عدوة ايران
 لم تعدل عن محاربتها ولم تنفك عن عدوانها كلما رأت الى الحرب سبيلاً
 وهي المعروفة اليوم ببلاد التركمان وبخارى والتتر الصينية وقد نقلت عليها
 شؤون كثيرة وسكنتها طوائف مختلفة وآخر الطوائف التي ملكتها واشتهرت
 فيها طائفة الاتراك وهي البلاد التي قام منها افراسياب وحارب فيها ملوك
 ايران الاول على ما مر في الفصول السابقة . وكان اسم الامير التتري
 الذي استعان فيروز بهروته خوش نواز ومعنى هذا الاسم "الملك الحسن"
 ويسميه بعضهم فحاش وخاقان وغير هذا من الاسماء . وكان خوش نواز ملكاً

عاقلاً كثير الحلم واسع العقل طيب القلب فلما قصَّ عليه فيروز قصته ورأى
ان أباهُ ظلمهُ في ما أتى من تفضيل اخيه الاصغر عليه وعدهُ بالمساعدة وارسل
معهُ جيشاً قوياً مركباً من ثلثين الف محارب لمساعدته على استرجاع الملك من
اخيهِ . ودخل فيروز بهذا الجيش الى بلاده وكان فيها عدد كبير من الناس
يرى رأيه ويظاهرةُ على اموره فانضموا اليه وانتصروا على اخصامه وظهر في
الحال ان الملك هرمز لا يقوى على محاربة اخيه ومن معه ففرَّ من قصره
ولكن التتر ادركوه واسروه فأمر فيروز في الحال بخلعه واعدامه وكانت
مدة حكمه سنة واحدة

وما حكم فيروز زماناً حتى ندم الناس على مساءلته وتمسروا على ايام
ايه واخيهِ لانه كان دنيء الطبع خواناً للمد لا يهتم للبلاد والعباد ولا يحفل
بامور الملك الا ما يختص منها بنفسه واشتهر بمعاداته للامير التتري خوش نواز
الذي كان السبب في توليته وعلة نعمته فآظمر بذلك لوماً كثيراً . وكانهُ رأى
في بلاد التتر ما حببها اليه فجعل همه الوحيد اخضاعها وضما اليه مملكته ونسي
كرم مولاه الذي اواه واعانهُ باله ورجاله فادعى ان خوش نواز كان
ظالماً عتياً يفتك بالناس وينهب اموالهم وسير عليه جيشاً كبيراً كان هو في
ظلمته . فلما علم خوش نواز بالامر ورأى ان قوة الايرانيين تزيد عن قوته
خشى العاقبة وفرَّ من وجه خصمه وكان على وشك الخروج من البلاد وتركها
للملك الايراني الذي نكر الجميل وكفر بالاحسان لولا ان يخلصه واحد من
وزرائه المخلصين ذلك ان هذا الشهم الفاضل قطع يدهُ ورجلهُ واذنيه وشوه
خلقته وأشار على خوش نواز ان يظل في مكانه وهو يذهب الى فيروز على
تلك الحال ويدعي العداة الشديد لامير التتر ويدل الملك العاتي الى ما به

الخراب التام فشكره خوش نواز واتبع رأيه . ثم ان هذا الوزير الفيور التي نفسه على قارعة الطريق في مكان كان يعلم ان ملك ايران سوف يأتيه وضح ظننه اذ مر به نفر من جيش فيروز وسأله عن حاله فقال ما حملهم على نقله في الحال الى حضرة ملكهم فلما صار بين يديه سأله ملك ايران من انت ايها الرجل قال شريف من اشراف هذه البلاد يا مولاي حسدني خوش نواز على كرم اصلي واکرام الناس لي واراد تعذبي وقتلي ففعل بي هذه الفعال . فظهر فيروز الغيظ والحنق وسأل الرجل ان هل لم يكن لك ذنب آخر وهل يقتل خوش نواز الاكبر لغير سبب وبلا ذنب قال ان ذنبي الآخر هو اني نصعته بالعدول عن محاربتكم يا مولاي واشرت عليه بالرضوخ لاوامركم وابنت له عاقبة الظلم في الناس ومعاندة بطل مثل جنابكم صعب المراس وهذا هو ذنبي الكبير يا مولاي فان شتمت ان تستعينوا بي على الانتقام من هذا الظالم الغاشم فاني ادلكم إلى طريق تصلون بها في مدة قصيرة الى حيث يقيم وتحيطون به من كل جانب فتخفون آثاره وتمحون اخباره . فسر فيروز لهذا الاتفاق وانظلت عليه الحيلة لاسيما وانه رأى الوزير التتري يتألم ويتوجع من تقطيع اعضائه وكثرة جراحه الدامية وامر جيشه في الحال بالاستعداد للزحف في الجهة التي يدل اليها الوزير المذكور فقادهم الرجل في صحار وقفار وعرة المسالك لم يجدوا فيها ماء ولا طعاماً وهلك اكثرهم من الجوع والتعب حتى اذا خلصوا منها بعد العناء الوافر واطلوا على بلاد طيبة رأوا فيها جيش التتر متمصناً في المراكز المنبذة فهاجموا عليهم وقتل جيش ايران عن آخره تقريباً واسر فيروز وكان يظن ان هلاكه محتم فرأى في هذه المرة ايضاً من مروءة خصمه وكرم اخلاقه ما لم يره في غيره من اهل ذلك الزمان

فانه صبح عنه وبالغ في اكرامه وقال له انه يريد مساعدته وراحته على شرط ان يقسم فيروز بعدم العود لمحاربتيه فاقسم ملك ايران بذلك وعاد الى بلاده من بلاد التتر مزوداً بالهدايا النفيسة وكان من ساعه خروجه من حضرة خوش نواز يضمه له السوء والخيانة فما عتم ان وصل بلاده حتى شرع في الاستعداد وحشد العساكر للزحف على بلاد التتر مرة اخرى والخلاص من عار الدناءة وتعبير الناس بقتل خوش نواز الذي صان حياته ورد له الملك مرتين فقام عليه الاكابر وخدمة الدين وحذروه من عاقبة البغي ونكث اليهود فلم يصنع الى قولهم ولا سمع نصيحتهم وعاد الى الحرب وكان خوش نواز قد علم بخيانتيه واستعد لمحاربتيه فجمع جيشه في اطراف مملكته وارسل الى فيروز يرجوه العدول عن هذا العدوان ويبين له عواقب الاعتداء على المحسنين فظن فيروز ان ذلك كان من خوفه وامر عساكره بالمجوم في الحال على عساكر التتر وكان خوش نواز قد حسب هذا الحساب وحفر حفراً عميقة في محل المعركة وامر فرسانه بالتقهقر والهرب من وجه فرسان ايران اذا هجموا عليهم في ذلك المكان ففعلوا ذلك وتأخروا والاييرانيون يطاردونهم وهم لا يعلمون ما وراء الائمة فكانوا يصلون تلك الحفر على حين فجأة وهم يجدون في المطاردة فلا يقدرين على ايقاف الخيل ويقعون فيها فلا يقومون وهلك بذلك الوف من اشجع ابطال الفرس يخاف الباقون وانهمزوا وتبعهم التتر فقتلوا اكثرهم وذبجوا ملكهم واسروا اخته وكانت مدة حكم فيروز ٢٦ سنة وحكم بلاس البلاد من بعد ابيه فيروز فرأى في الحال من كرم الامير التتري ما رآه والده من قبله ذلك ان خوش نواز بعث يهنئه بالملك ورد اليه اخته بعد ان بالغ في اكرامها مدة الاسر وفك الاسرى الايرانيين

الذين في بلاده من القيود وامر بارجاعهم الى بلادهم وقضاء حاجاتهم . وكان لبلاس اخ اسمه كوباد يطعم في الملك فاستعان بخوش نواز ولم يفلح سعيًا ولكنه جمع بعض المحاربين وتقدم بهم لمقاتلة اخيه وحدث انه علق بحب فتاة حقيرة مدة سياحته ورزق منها ولدًا جميل الطامة فين كان يومًا يتطلع في وجه هذا الطفل ويتأمله وجاءته الاخبار تنقل اليه موت اخيه واستعداد البلاد لحكمه ففرح بهذا الخبر فرحًا كبيرًا واعتقد ان شجاعته كان من حسن طالع هذا الطفل فسماه انوشروان . وله في تاريخ ايران ذكر كبير كما سيجي . وحكم بلاس اربعة اعوام خلفه اخوه كوباد الذي ذكرناه

وكانت مهام الملك في ايام بلاس في يد الوزير سوكرافاراد الوزير ان يكون غباد في قبضته مثل الذي سلفه ولكن هذا الملك لم يرض بذلك فاوعز الى شاپور قائد جيوشه ان يقتله وفعل القائد باسم مولاه

وظهرت في ايام غباد بدعة دينية جديدة كان لها شهرة كبيرة وجعلت حكم هذا الملك على عدم اهميته من الاحكام الشهيرة . ذلك ان رجلاً اسمه مزدك ادعى الوحي والالهام وعلم امورا تخالف عقيدة الايرانيين في ذلك الحين فأمر بابطال الاحترام للنار وعلم أن المرء لا يحق له امتلاك العقار وحسابه له دون سواه من العالمين وقال مثل هذا في النساء فلما رأى اصحاب الجشع والشره ان هذا الدين يميز لكل واحد مشاركة جاره في ماله وفي حريمه ايضا تبعوه بالالوف وصاروا طائفة قوية . ونهى مزدك عن اكل اللحم وكان ورعًا كثير التقشف يلبس الجلود ويعيش ابسط المعيشات وكان الملك غباد من جملة اتباعه ولولا ذلك لما قامت له قائمة . وكان هذا المدعي محتالاً ماهراً في التصنع فلما علم ان الملك يميل الى دينه

جاءه واخبره انه لا يريد من احد ايماناً بتعاليمه الا اذا رأى منه اعجوبة او شيئاً يقنع به بصحة الدين الجديد وادعى انه يكلم الآلهة التي تحمل روحها في النار فاراد غباد ان يمتحن ذلك وكان الرجل في استعداد لذلك ووضع رجلاً وراء اللهب في الهيكل الذي علم ان غباد يزوره فلما جاء ليكلم النار صار الرجل المختبئ يجاوبه والمالك يظن انها الآلهة تكلم ذلك المدعي النبوة فصدقه وصار من اشهر انصاره . وتغلب مزدك على عقل الملك فصار آتياً في يده حتى انه طلب اليه يوماً ان يدفع زوجته ام انوشيروان الى اخوانه في الدين ايشاركوه بها حسب ذلك الاعتقاد الجديد وكان غباد على وشك ان يفعل ذلك لولا ان يجيء انوشيروان والدمع في عينيه ويرجو اباه ألا يعرض امه الى هذا العار العظيم . وانتشرت الفوضى في ايام هذا الملك اذ صار الذين يدينون بدين مزدك يضعون يدهم على مال غيرهم اينما حلوا ولا حرج عليهم في ما يفعلون لان الملك كان على رأيهم ولم يرض بمجازاتهم فثار اعيان المملكة وهجموا على غباد في احد الايام فكبلوه بالقيود وسجنوه في مكان مظلم وولوا اخاه جاماسب مجله

ولكن غباد لم يبق في السجن طويلاً اذ خلصته احدى اخواته بالحيلة ففر من البلاد خوفاً من اخيه والاشراف وقصد خوش نواز سلطان التتروهو الذي ساعده على ارتقاء العرش فلم يتأخر هذا السلطان عن مساعدته مرة أخرى وعاد غباد الى بلاده بجيش من التتر نخشي الاشراف سوء العاقبة وسلموا للملك المعزول وطلبوا اليه الصفح فصنح عن كل واحد منهم وعن اخيه جاماسب ايضاً وعاد الى الملك كمادته وسلم مهام الاعمال الى وزيره بزرگمهر ابن سوکرا الذي مر ذكره وحكم هذا الملك ٤٣ سنة اشتهر فيها بضعف

الرأي والاعتقاد بدین مزدك وقد حارب اناستاسيوس امپراطور رومية وانتصر عليه. وبني بعض المدن اشهرها مدينة برده وقد خربت ومدينة كنجه وهي باقية الى اليوم في القفقاز وفي قبضة الدولة الروسية

ومات غباد وله أولاد كثيرون اشهرهم وامهرم ابنة الاول انوشيروان وكان والده يجهه حباً مفرطاً ويفضله على سائر اخوته لانه اعتقد السعد في طالعهم والحق يقال ان انوشيروان كان اعظم ملوك الارض في ايامه ومن اعظم سلاطين الشرق الذين حكموا في القرون الماضية. ولما صارت المملكة الى يد انوشيروان رفض قبولها وتنازل عنها الى احد اخوته بدعوى ان الادارات كلها ممثلة وامور الملك معتلة وقال للاعيان الذين جاءوا لتنصيبه انه يريد الاعتزال لانه لا يطيق ان يحكم بلاداً تأصل الفساد في مصالحها واحكامها ويمشئ اذا هو حكمها واراد اصلاحها ان يكون التغيير والانتقال عظيماً ويأول ذلك الى الثورة والقتال وكان اولئك الاعيان يعلمون بوجود الخلل ويريد كل منهم ان نقل سطوة الآخر فخانوا له انهم يعضدونه في ما يريد من التغيير والاصلاح ويكونوا معه يداً واحدة على كل موافق على الحالة القديمة ولهذا قبل المملكة وبدأ حكمه الشهر

ولما استتب الملك لانوشيروان جمع قواد مملكته واعيانها وخطب فيهم بما معناه انه قد عزم على اصلاح كل حال وتقوم كل عوج في مملكته وافهمهم انه يجب حرية الافكار والاديان ولا يريد التعرض لاحد في ايمانه واموره. فاقسموا بين الطاعة له وخرجوا من عنده حادين شاكرين وكان اتباع مزدك كثيرين والملك في اول الامر لا يعارضهم حتى لم يعد له صبر عليهم وكان يكرهم في ايام ابيه كرهاً شديداً وينوي الانتقام من نبينهم

الكاذب على ما كان منه من طلب امرأة الملك وهي ام انوشيروان فبدأ يفكر في طريقة لقلع آثار تلك الطائفة . وحدث ان احد الاعيان شكوا الى انوشيروان ان مزدك اغرى امرأته على اتباعه واخذها من بيته وهو يريد ان يعطيها الى اعوانه بعد قضاء المطلوب لنفسه منها فارسل انوشيروان وراء مزدك وامره برد المرأة الى زوجها في الحال فامتنع الرجل بدعوى ان الدين المنزل يأمر بذلك فنار سخط انوشيروان وامر بذيح ذلك المنبي فذبحوه في وسط السراي ثم ارسل جنوده في الحال الى الاماكن التي يجتمع فيها اتباع مزدك ففتكوا بهم قبل ان يعلم المذكورون شيئاً من الحكاية فظل الاضطهاد وراء هذه الطائفة حتى انقرضت واختفت آثارها في ايام هذا الملك (يقال ان مذهب الاشتراكيين المنتشر الآن في اوربا مأخوذ عن هذا الرجل)

ثم حوّل انوشيروان نظره الى اصلاح البلاد على ما اراد فعزل كل حاكم لا يليق لوظيفته واصبح الطرق والجسور ورم القصور وساعد الناس على تحسين منازلهم وتزيين مدائنهم وبني المدارس فتقاطر اصحاب العلم والمعارف على عاصمته المداين من كل صوب حتى ان فلاسفة اليونان جعلوا هذه المدينة مقرهم في ايامه . وكتبت الكتب المشهورة في ايام هذا الملك العظيم مثل كتاب كنيئة ودمنه واخترعت لعبة الشطرنج والنرد والذي اخترعها هو وزيره بزرگهر وسوف يأتي ذكره . ثم انه قسم المملكة اربعة اقسام . اولها قسم خراسان وسيستان وكرمان . وثانيها قسم قم واصفهان والاراضي التابعة لها وثالثها قسم فارس والاهواز . والرابع قسم العراق والبلدان الغربية وعين المفتشين لمراقبة الاحكام في هذه الاقسام الاربعة وسنّ النظمات العادلة

وكان يسمع القضايا بنفسه وينصف الناس فيها وساعده على كل ذلك وزيره الحكيم برهمبر وكان من عائلة حقيرة فارثي بذكائه واجتهاده الى ارفع المناصب وكان صديقاً حميماً لانشيروان

واشتهر هذا الملك بفتح البلدان والانتصار في الحروب قدر ما اشتهر باصلاح حكومة بلاده فانه حارب الامبراطور الروماني جوستيانوس وانتصر عليه في عدة مواقع واضطره الى عقد معاهدة مجحفة بحق الرومانيين كثيرة الفائدة للايرانيين . ثم انه اخضع سورية وملك انطاكية عاصمتها ونقدم منها على ضواحي القسطنطينية وهي يومئذ عاصمة السلطنة الرومانية الشرقية فأخضع كل بلاد حل فيها وكان على وشك امتلاك المملكة كلها لولا ان يتدارك الامر بلساريوس وهو من اشهر قواد الامبراطور الروماني رد انوشيروان واوقفه عن ابتلاع المملكة برمتها مع قلة عدد عساكره وكثرة جيوش انوشيروان . ولما عاد ملك ايران عن مملكة الروم صار امبراطورها طوع امره ورهين اشارته فكان يخاطبه كما يخاطب الرؤوس رئيسه وجعل يدفع له جزية قدرها ثلثون وزناً من الذهب كل عام وهي قليلة ولكنها تكفي للدلالة على ما صارت اليه مملكة ايران في ايام انوشيروان . وظل هذا الملك الى آخر ايامه يقود جيشه بنفسه في الحروب وينتصر على الاعداء حتى انه لما حارب الامبراطور طيبيريوس قاد الجنود بنفسه يوم كان في الثمانين من عمره وانتصر على عادته ولم يرو ان ملكاً غيره من ملوك ايران اخذ الجزية من ملك الروم وهو يومئذ سلطان العرب واقرى ملوك الزمان . ولم يقتصر في حروبه على مملكة الروم ولكنه اخضع لهيئته كل البلدان المجاورة له وفي جملتها بلاد العرب والاراضي الواقعة بين نهر جيحون ونهر الهندواني

بالاموال الوافرة منها كلها وعظم قدره حتى صار مثلاً في الاقتدار ولم يزل ذكره الى هذا اليوم دليلاً على السؤدد والعظمة ولا سيما في كتابات العرب الذين زاد اعتبارهم له ولعظمته بداعي ولادة النبي العربي محمد صلعم في ايامه ولم يحدث في البلاد مدة حكم انوشيروان ما ينقص عيشه غير حادثة واحدة هي عصيان احد اولاده وقيامه لمحاربتة ذلك ان هذا الامير واسمه نوشزاد كان ابن انوشيروان من اميرة نصرانية فشب على حب النصرانية اقتداءً بامه وكان يكره النار وعبادتها كرهاً شديداً فلما رأى انوشيروان منه ذلك وضعه في السجن خوفاً منه مع شدة ميله الى ام هذا الشاب . وكان الملك يحارب الروم سيفي بلاد الشام يوماً فاشاع بعضهم انه مرض ومات وسمع ابنه نوشزاد بالحكاية فخرج من السجن وجمع جيشاً صغيراً اكثره من النصاري الذين كانوا في بلاد ايران وبعضهم من العرب ونادى بنفسه ملكاً ثم علم ان اباه لم يزل حياً فلم يعدل عن رأيه واراد اغتصاب الملك منه فوجه اليه انوشيروان اشهر قواده واكبر ابطاله واسمه رام فرزبن واعطاه جيشاً عظيماً لمقاتلة ابنه واوصاه ان يجتهد باسر الامير لا بقتله ولكنه شدد عليه بقتله اذا حاول الفرار او اذا كان لا بد من القتل وامره باعدام قواد جيشه الصغير ووضع الباقيين في السجن واما اذا خضع نوشزاد وناب عن اعماله فيعاد الى قصر ابيه ويبقى فيه تحت المحافظة وتعطي اليه كل لوازمه على شرط ألا يخرج من القصر . ولما التقى جيش الامير بجيش هذا القائد الشهير فقهر اعوان الشاب في الحال لانهم كانوا اقل عدداً وسلاحاً من جيش الملك غير ان معظمهم من الفتيان والشيوخ كانوا لا يعرفون صناعة الحرب في حين ان الجيش الذي انتخبه انوشيروان لمحاربة ابنه كان نخبة

ابطاله الجربين ولم يرض الامير بالتسليم ولكنه حارب ودافع عن نفسه حتى وقع قتيلاً وانتهى الامر

وكانت الجزيات والهدايا تتوارد الى قصر انوشيروان كل عام من جميع الانحاء وقد بالغ المؤرخون في وصف الهدايا التي كانت ترد اليه من ملك الصين وسلاطين الهند ولو صدقت روايتهم لكانت الهدية الواحدة لا تقل في ثمنها عن عشرين مليون جنيه وفي هذا مبالغة وان يكن ملوك الشرق وسلاطين الهند بنوع اخص قد اشتهروا بالثروة الطائلة وحب التظاهر بالنعمة الكثيرة وكانت واردات مملكته تضاهي مائة مليون جنيه

واما النظمات الداخلية التي سنها انوشيروان فكانت مثالا في العدل والفائدة واشهرها تنظيم الاموال وكيفية دفعها فانه جعل مالا معلوما على العقار والمال يدفع الى خزانة الحكومة عاما بعد عام بدل ان يجمع حين يطلبه الملك وفرض على الذين لا ينتظمون في سلك جيشه مال العسكرية مثل الذي تفرضه بعض الدول الاسلامية اليوم وكانت الخدمة العسكرية تفرض على كل رجل بين العشرين والخمسين من عمره . واشتهر انوشيروان بولعه في الامور العسكرية وميله الى ايقان الفنون الحربية حتى انه كان يحضر استعراض العساكر بنفسه ويسمي نفسه جنديا ايرانيا ويحتم على عساكره بانتظام الملابس والسلاح او يشده عليهم الجزاء وكان له مفتشون يستعرضون العساكر ويجرون التفتيش على نسق اهل هذه الايام فحدث انه حضر الاستعراض مرة وترى اسمه مع بقية العساكر ولما جاء المفتش ليفحص صلاحته وجد كنانته على غير الهيئة المطلوبة فامر به بالخروج من الصفوف واصلاح ذلك الخلل فخرج انوشيروان وهو يتميز غيظا لا من قحة المفتش

ولكن من عدم انبهاه وتقصيره ولم يؤذ ذلك المنفس كما ظن البعض بل زادت ثقته به ورقاه وهذا من أكبر الأدلة على اتساع مداركه وعدله. وبما يروى عن عدله ان بعض الولايات أُصيبت في ايامه بكثرة الثعالب حتى أقلقَت الناس بصراخها وهجومها ووصل الخبر انوشيروان فبعث وراء (الموبدان) الكبير او رئيس كهنة النار وسأله رأيه في الامر فقال ان الثعالب ما كثرت الا من كثرة الظلم في البلاد فاهتم الملك اهتماماً عظيماً لهذا الخبر وعين لجنة عدد اعضائها ١٣ من نخبة امرائه ورجاله وامرهم بزيارة كل مركز من مراكز حكومته واعطاء التقرير اللازم عنها ففعلت اللجنة ذلك بعد ان ظلت السنين تدور وتبحث وكانت نتيجة مباحثها عزل كل حاكم مستبد او عامل ظالم حتى عم العدل وضرب الامن اطنابه في ايام هذا الملك العظيم وكان هو قدوة العادلين فلذا قال عنه النبي (صلم) ولست في زمن الملك العادل . ويروي المؤرخون على ذلك قصصاً أخرى غير هذه نورد منها واحدة فقط لاشتهارها هي انه جاء المداين يوماً سفير من ملك الروم ليقدم لانوشيروان الهدايا اللازمة فرأى في احد جوانب القصر حيطاً مائلاً وسأل عن السبب في ذلك فاجابه احد الاعوان ان تلك القطعة التي مرّ الجدار بها ملك امرأة عجوز لم تشأ بيعها ولا التنازل عنها للملك مع كثرة الحاجة عليها في ذلك فأثر الملك تغيير هيئة قصره كما ترى على ظلم هذه العجوز وعجب الروماني لهذا العدل الكثير . والحكايات التي قيلت عن انوشيروان من هذا النوع كثيرة جداً ولا غرو فهو أكبر من اشتهر بين ملوك المشرق وعاش انوشيروان ثمانين سنة حكم منها ٤٨ سنة وهو المعروف بلقب العادل الى هذا اليوم ولم يتم في بلاد ايران اعظم منه وهو آخر ملك عظيم

تولى امور هذه البلاد قبل الفتح الاسلامي . ولما مات خلفه ابنه زهرم الثالث وكانت امه ابنة سلطان التتر وعني والده بتر بيته على يد الحكيم بزرگهر فسار هرمز على خطة ابيه مدة وجود الوزير معه حتى اذا تنحى هذا الرجل الفاضل بعد ان بلغ من الكبر عتياً غير الملك خطته وافسد كل ما اصلحه ابوه من قبله واتمس في الشهوات واكثر من المنكرات فطعم الاعداء فيه وعصته ولايات الهند وبلاد العرب وانحاء العراق العربي وتقدم سلطان التتر على بلاده فاختر هرمز قائداً باسلاً اسمه بهرام چوبين قيل ان الملك عرفه باستشارة الحكماء والانبيا فنجح هذا القائد الباسل في طرد التتر واعادة السكينة الى بلاده وكان قبيح الصورة ولكنه حميد الخصال نادرة في الفطنة والبسالة بين الرجال . وبعد طرد التتر تحول بهرام لمحاربة الرومانيين وبينما كان يجاهد في مصلحة بلاده وشى به بعض المقربين فاظهر له الملك علامة الاحتقار واستشاط القائد غيظاً فعصى امر الملك وجاهر بخلعه ونصب مكانه ابنه كسرى پرويز وكان صبياً صغيراً وساعده على ذلك بعض اقارب الملك فقفاوا عيني هرمز ووضعوه في السجن ثم قتلوه وتقدم الملك الصغير لاستلام زمام الملك فرأى ان بهرام يطعم في المملكة وحاربه وانخذل وفر من وجه بهرام الى بلاد الروم حيث قابله امبراطورها بالترحاب الكثير واعطاه جيشاً لمعاونته على استرجاع حقوقه فنجح الفتى في الامر وانتصر على بهرام واضطره الى الفرار الى بلاد التتر الذين حاربهم وطردهم من بلاد ايران فقابله سلطان التتر بمقابلة حسنة ورفع مقامه اعتباراً لبسالته ولكن الخيانة لحقت به الى ذلك المكان فمات فيه مسموماً واستبد كسرى پرويز بالامر وكان صديقاً حميماً لملك الروم يسميه والده ويعتبره اعتباراً كبيراً لانه هو الذي

مكنه من استرجاع الملك حتى تنازل له عن بعض الاراضي في بلاد العراق
واكرم كل رومي في بلاد ولكنه شدد لوطاة على الذين اشتركوا في مقاومته
وقتل الذين عاونوا بهرام على خلع ابيه وكان احدهم خاله وظل پرويز
صديق مملكة الروم حتى مات صديقه الامبراطور موريس فانار عليها حرباً
وقل جمعها وملك منها بلاد الشام ودخل مدينة القدس الشريف فمثر
بالصليب الحقيقي الذي صلب عليه المسيح وكان في حفرة داخل صندوق
من الذهب واخذه معه الى المدائن فعد ذلك اكبر آيات نصره . ومن غريب
الامر ان قواد هذا الملك كانوا يخضعون البلدان ويأتون له منها بالفنائم
وهو يتعم بالطيبات الى حد لم يجاره فيه واحد من ملوك الارض فكان
له ١٢ الف امرأة وخمسين الف جواد وشي لا يحصى من ادوات الترف والقصور
الباذخة ومظاهر الثروة والنعمة وقصر كسرى پرويز مثال في الابهة والغنى
الى هذا اليوم . وحكم ثلثين سنة ذاق فيها من اللذة والتعم بالطيبات
ما لم يذقه ملك من قبله ومن بعده وهو الذي جاءه كتاب من النبي محمد صلعم
يدعوه به الى الاسلام فاحتقره ورعى به الى النهر ولم يعلم ان آخرة مملكته
كانت قريبة على يد الامة العربية . ولما زاد اسراف هذا الملك وبذخه
عن كل حد طمع فيه ملوك الاجانب واشهرهم هرقل امبراطور القسطنطينية
فهاجم بلاده وظل ستة اعوام يكسر جيشاً بعد جيش من جنود ايران حتى
تقدم على المدائن وپرويز لاه بطيباته فلما احس بقرب الخطر فر من وجه
خصمه فبعه ابنة شيرويه وقتله جزاء افراطه في التلذذ واهزال امر المملكة
وحكم شيرويه مكان ابيه ستة اشهر وقيل انه كان عادلاً وكان
اشهر اعماله قتل اخوته واقاربه عن بكرة ابيهم . ولما مات اقام الاشراف

ابنه اردشير ملكا عليهم ولكن احد الاكابر واسمه شهريار قتله وجلس على سرير الملك مكانه ثم قتل هذا المدعي وخلفه ابنة من آل ساسان اسمها پوران دخت ابنة كسرى پرويز ولم يجد الناس ذكرا من عائلته يحكم بدلها وفي ايامها هجم هرقل على المدائن وملكها واسترجع منها الصليب الذي جاء به اهل ايران من القدس واخذته الى القسطنطينية . وحكمت پوران دخت سنة واربعة اشهر وخلفها ابن عمها فحكم شهرا واحدا وخلفته ابنة اخرى من بنات پرويز هي آرميدخت وكانت شهيرة في العقل والجمال فاحبها هرمز حاكم خراسان وجاء يطلب الاقتران بها فامرت بانتهامه ولا سمع ابنه رستم بذلك هاجمها وانتصر عليها وامر بقتلها اخذا بثأر ابيه ثم حكم بملها واحد اسمه كسرى اشهرا قليلة وتلاه يزدگرد بن شهريار الذي مر ذكره وكان ضعيف الرأي قليل الدراية وليس له ذكر لولا ان تسقط المملكة في ايامه ويملكها العرب كما ترى في الفصل القادم

وقد كانت هذه الدولة من اعظم دول ايران واهمها قام منها ملوك هم في الطبقة الاولى من الاهمية منهم اردشير وشاپور وانوشيروان وهذه اسماء ملوك الدولة الساسانية وتاريخ حكمهم

اردشير بابگان	من ٢٢٦	الى ٢٤٠ م
شاپور الاول	من ٢٤٠	الى ٢٧١
هرمز الاول	من ٢٧١	الى ٢٧٢
بهرام الاول	من ٢٧٢	الى ٢٧٥
بهرام الثاني	من ٢٧٥	الى ٢٩٢
بهرام الثالث	من ٢٩٢	الى ٢٩٣

۰ م	۳۰۲	من	۲۹۳	نرسی
	الی	من	۳۰۲	هرمز الثاني
	۳۰۹	من	۳۰۹	شاپور الثاني
	الی	من	۳۸۰	اردشیر الثاني
	۳۸۴	من	۳۸۴	شاپور الثالث
	الی	من	۳۸۹	بهرام الرابع
	۴۰۳	من	۴۰۳	یزدگرد الآثم
	الی	من	۴۱۹	بهرام الخامس
	۴۳۷	من	۴۳۷	یزدگرد الثاني
	الی	من	۴۵۰	هرمز الثالث
	۴۵۶	من	۴۵۶	فیروز
	الی	من	۴۸۲	پلاس
	۴۸۳	من	۴۸۳	غباد
	الی	من	۵۲۶	انوشیروان
	۵۷۲	من	۵۷۴	هرمز الرابع
	الی	من	۱۹۱	کسری پرویز
	۶۲۹	من	۶۲۹	شیرویه
	الی	من	۶۳۰	پوران دخت
	۶۳۲	من	۶۳۲	آزرمیدخت
	الی	من	۶۳۵	یزدگرد الثالث
	الی الفتح الاسلامی		۶۳۵	

الفتح الاسلامي

لبلاذ ايران

كان العرب من ايام القدم يخضعون يوماً للفرس ويوماً يستقلون حتى اذا استتب الملك لآل ساسان في بلاد ايران جعلوا بلاد العرب من املكهم واقاموا ملوك الخيرة من العرب عمالاً على قبائلها وكان الاكاسرة يقوون على العرب بالعرب ويرسلون احدى القبائل لمحاربة غيرها وهم في امنٍ من شر هذه الامة التي ساد عليها الجهل وتولاها الانقسام الى ان قضى الله بتغيير الحال وظهور الاسلام في بلاد العرب وحدث ان احوال المملكة الايرانية تضعفت في تلك الايام وان امورها فسدت وبدأت ادلة السقوط والاضمحلال تظهر عليها مع كل ما اتاه ملوكها الاواخر وبالاخص كسرى پرويز من ادلة الترف ومظاهر النعمة . ولما اعتنق العرب الاسلام ظهرت لهم قوة غريبة كانت كامنة فيهم ونشأ عن اتباعهم دعوة النبي محمد (صلم) اتحاد قبائلهم وظهور قوتهم الى حدٍ يعد من عجائب التاريخ فقد فتح العرب من بعد ايام النبي (صلم) مملكتي الروم وايران في اقل من عشرة اعوام ولم يكن في الارض يومئذٍ دول معروفة غير هاتين الدولتين فمد انتصار المسلمين واخبار الفتح الاسلامي في هاتيك الايام اعظم اعمال البشر واكبر آيات الفتح في تاريخ الآدميين

وأما كيفية انتشار الدين الاسلامي في بلاد العرب فليست من حوادث التاريخ الايراني ولكن الفتح الاسلامي لبلاد ايران يعدُّ اشهر حوادث هذه البلاد العظيمة فلا بدَّ من استيفاء الكلام هنا عنه ولو ببعض الاختصار جاء في التواريخ الاسلامية ان النبي (صام) ارسل في السنة السادسة للهجرة كتاباً الى كسرى خسرو پرويز يدعو فيه الى الاسلام . وهذا نص الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

”من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله واني ادعوك بدماه الله واني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم وان توليت فانما اثم الجوس عليك“
 قيل فلما قرأ كسرى الكتاب مزقه ورمى به الى الارض ورفض الدعوة ولما بلغ النبي (صام) هذا الخبر قال ان الله سيمزق ملك كسرى كما مزق كتابنا . (او مزق الله بطنه كما مزق كتابي) . وقيل ان كسرى قرأ الكتاب وهو يصطاد على ضفاف نهر يقرب من الكرماتشاه عاصمة بلاده فطرحه في نهر سياه رود غضباً وكان النهر يروي ما حوله من الارض فقل ماؤه وانخفض فلم يعد يصلح للري من ذلك اليوم . ويعتبر مؤرخو العرب وايران من المسلمين ان الله غضب من اسراف ملوك ايران واطرفهم في طلب السرقات فقسى قلب ملكهم حتى يذوق في آخر الامر ما ذاق من حرب

المسلمين ولو انه قبل الدعوة واسلم يوم وصول كتاب النبي (صلعم) اليه
 لظل ملكاً عظيماً ولم يسه المسلمون بشر
 وحدثوا عن النبي (صلعم) انه وعد الذين اتبعوه بملك كسرى وقيصر
 فلما ان قوي العرب بالاتحاد وذاقوا لذة النصر بعثوا بالجيوش الى بلاد الشام
 وما يليها من املاك كسرى وكان بعض قوادهم يناوئ الفرس ويناوشهم في
 انحاء العراق ولكن العرب وجهوا همهم في اول الامر الى فتح الشام وبقية
 مملكة الروم فلما نالوا الفوز وخضعت البلاد لهيبتهم حولوا نظرهم الى مملكة
 كسرى وبدأوا بالعمل على فتحها في السنة السادسة عشرة للهجرة وهذه حكاية
 الفتح الاسلامي لبلاد ايران وما يتبعها نوردها هنا عن اصدق المصادر العربية :
 كان ابتداء الحرب بين العرب والاييرانيين ان عربياً اسمه المثني
 بن حارثة جعل يناوئ عساكر الدولة الايرانية ويناوشها في ايام عمر ابن
 الخطاب (رضه) ورأى من ضعف هذه الدولة وفساد امرها ما حجب اليه العمل
 على فتحها واخضاعها فسار الى عمر وقص عليه الامر فرحب به عمر
 وقرّبهُ وسأله ان يصف بلاد ايران فقال هي ارض كثيرة الذرع والضرع
 ترايبها مال وامرها عال قال فصف لي رجالها قال رجال طوال عظام جسام
 شديد كلبهم كثير سليم ضعيفة قلوبهم لا منعة لهم من صدقهم . فاستشار
 عمر اصحابه في الامر ورأى منهم ميلاً شديداً الى غزو ايران وامتلاكها
 ولهذا امر جماعة منهم بالزحف عليها تحت قيادة ابي عبيد بن مسعود وكان
 عدد المقاتلين من العرب اقل من عدد عساكر ايران فلم يتم لهم النصر ثم
 اجتمعت قواد الجيشين على مكان يقال له الجسر على ضفاف الفرات فانضم
 الى جيش ايران قائد اسمه جالينوس وكان القائد العام لعساكر يزدگرد

اسمه رستم فرخزاد ومعه بطل آخر اسمه جايان فتقدم ابو عبيد ونازلهم على مقربة من الجسر وكانت الواقعة شديدة الهول خسرها العرب اعدم تروى قائدهم ذلك انه بصر بفيل عظيم الحلقة في وسط جيوش الفرس فسأل عنه وقيل له ان الايرانيين يستمينون به على القتال ولا يركبه الا امراؤهم فجرد سيفه وتقدم على ذلك الفيل وضربه ضربة قطعت خرطومته فاشتد الالم والهياج بالفيل وهم على ابي عبيدة فطحنه تحت جسمه الثقيل طحناً ووقع الفشل في صفوف العرب بعد موت قائدهم وهرب اكثرهم من وجه الايرانيين وهم يطاردونهم ويقتلونهم وغرق منهم خلق كثير في الفرات ذلك اليوم لان الجسر الذي عبروا عليه سقط ولم يعد يمكن لهم الفرار فلم يسلم منهم الا عدد قليل عسكروا في بلدة يقال لها السلبة وبعثوا بالاخبار الى عمر بن الخطاب (رضه) على لسان معاذ بن الحصين فلما وصل دخلها وعمر في المسجد يصلي واعلمه بالحكاية فبكى حزناً على الابطال الذين قتلوا وضح جماعة المسلمين كلهم بالبكاء . واستدعى عمر بجرير ابن عبد الله البجلي وامره بالسير مع بعض الجنود لاعانة الذين سلموا من واقعة الجسر فسار بجوالي الف فارس ولما نزل العراق بعث اليه المثنى - وكان اميراً على العرب المقاتلين بعد وفاة ابي عبيد - كتاباً يعلمه فيه انه لا يطعم له امراً فأجابه جرير ان كن انت اميراً على قومك واظل انا اميراً على قومي وبلغ ذلك عمر بن الخطاب فجمع اصحابه وشاورهم في الامر وكان ينوي التقدم لمحاربة ايران بنفسه فكل اشار بذلك وقالوا ان جيشاً تكون فيه يكون منصوراً وخالفهم الامام علي بن ابي طالب (عم) فقال الراي عندي انك لا تسير الى العراق بنفسك فانك ان سرت وكان لك مع القوم حرب واختلط الناس لم تأمن ان يكون لك

عدو من الاعداء يرفع صوته ويقول قتل عمر فيضطرب الناس في الحرب ولكن
أقم في مدينة يثرب ووجه رجلاً يكفيك امر العدو. قال عمر من يكون هذا
الرجل يا ابا الحسن قال اشير عليك ان ترسل سعد بن ابي وقاص فسمع
عمر رأي صاحبه وولى سعداً على جيش العرب وامر رؤساء العشائر من
الابطال المعروفين بماوتوه على القتال فصاروا معه في حوالي عشرة آلاف
مقاتل وانضم اليهم الذين كانوا تحت أمرة المثني وجريز ابن عبد الله فصاروا
جيشاً يذكر فلما بلغ نعمان ابن ميسرة ملك العراق خبر هذا الجيش وانه
كان ينوي افتتاح العراق التابعة لبلاد ايران جمع قواته ومن لديه من
العرب وحرصهم على القتال ولما التقى الجيشان وبدأ القتال قتل نعمان وتقهقر
جيشه واتصر المسلمون انتصاراً تاماً على اعدائهم وملكوا خزائن نعمان
وبذلوا السيف في رجاله وهرب من بقي من جيش نعمان الى القادسية
فانضموا الى قوات ايران وكان يزدرگرد قد جمع جيشاً كبيراً لمقاتلة العرب
فانقطعت ظهورهم من خبر انتصار العرب على قومهم واستعدوا للجلاد والجهاد
واما واقعة القادسية فكانت من أشهر مواقع العرب والفرس تحارب فيها
الفريقان مدة عشرة ايام ذاق فيها المقاتلون أمراً الاهوال وتم فيها النصر
في آخر الامر للمسلمين بعد ان قتلوا عدداً كبيراً من قواد الفرس واكبرهم وفر
الاييرانيون من وجه العرب فتبعهم الفاتحون يضربون في اقفيتهم وجمعوا من
المال شيئاً كثيراً ونال عساكر العرب من الذهب والفضة والكافور والعنبر
قدراً طائلاً وكان بعضهم لا يعرف للكافور والذهب قيمة حتى انهم جعلوا
يدلون الذهب بالفضة لجهلهم قيمة المعدنين . وكتب سعد بن ابي وقاص
الى عمر بحكاية هذا النصر وكان عمر بن الخطاب (رضيه) حين بلغه ان

ان جيش ايران على القادسية يركب كل يوم ويسير على جادة العراق فلا
 يبرحها حتى يترب وقت الظهر ويعود الى منزله حتى رأى البشير يوماً
 قادمًا وعرفه وجعل يسأله الحكاية والرسول يجبره وهو لا يعلم انه امير
 المؤمنين حتى اذا دخل المدينة رأى الناس تسلم عليه فاجل الرجل
 واعتذر وجعل عمر (رضه) يقول له لا عليك يا أخي لا عليك الى ان
 وصل المسجد واخبر الناس بحكاية النصر فزاد سرورهم وود كل منهم لو
 يكون في عداد المقاتلين . وارسل سعد بن ابي وقاص خمس الذي غنمه
 المسلمون الى بيت المال وشكره عمر وامره ان يتقدم على عاصمة كسرى
 فزحف سعد على المدائن وخاف يزدگرد العاقبة وبعث إلى امير العرب
 يرجوه ارسال وفدي من قومه ليحدثهم في شأن القتال وما جاءوا من اجله
 فلم يمنع سعد عن اجابة الطلب وارسل اليه وفداً يرأسه المغيرة بن شعبة
 الثقفي . فسار هؤلاء الرجال حتى دخلوا المدائن وجاءوا قصر كسرى يزدگرد
 وكان في تلك الساعة يشرب الخمر مع اخصائه فلما علم بقدوم وفد العرب
 امر برفع الخمر وادخلهم حتى اذا جلسوا في حضرته خاطبهم بما يأتي

” يا معشر العرب . انكم كنتم تأتون بلادنا هذه ما بين تاجر ووافد
 وابن سبيل وكنا نحسن اليكم فاشعرنا حتى جثم الينا من كل اوب تملكون
 بلادنا وتضاهوننا في نعمتنا وما اعرف مثلي ومثلكم الا كرجل له كرم دخل
 اليه ثعلب فااكل منه وافسد فلما رأى الثعلب ان ليس له مانع خرج فجمع
 الثعالب . ثم جاء بهم الى الكرم فلما رآهم صاحب الكرم اخذ عليهم الحجارة
 فقتلهم عن آخرهم . فهذا مثلي ومثلكم ولو اردت ان افعل بكم ذلك لفعلت
 وانا اعلم انه ما حملكم على المحي الى بلادي الا ما اتم فيه من الجوع

والجهد والبؤس والضنك فان كان ذلك كذلك فانا اوقر لكم الابل طعاماً وكسوةً وزاداً واحسن اليكم جهدي وارسلكم تمضون الى بلادكم وان كنتم ترجون اخذ بلادتي وزوال ملكي فاعلموني حتى ابني لكم العوائل وانصب لكم الجبال

وفي هذا الخطاب ما لا يخفى من ادلة الخيلاء مع الضعف الكثير فلم يهتز له الوفد العربي واجابه المغيرة بما يأتي

” انك لم تذكر شيئاً من البؤس والجوع الا كنا في اعظم منه وذلك اننا كنا ناكل الميتة ونأخذ ما ليس لنا بحق وكنا لانعرف حلالاً ولا حراماً حتى بعث الله فينا نبياً هاشمياً هدانا الله به من الضلالة وانا نعرض عليك خصالاً ثلاثاً فاختر ايها شئت . اما الواحدة فان تقول لا الله الا الله فان انت قلتها اقررتك في بلدك وانصرفنا عنك ولا يدخل بلدك احد منا الا باذنك وعليك الزكاة والخمس من مالك يوذى الى بيت مال المسلمين وان ابيت الا دينك فاعط الجزية عن يدي وانت صاغر وان ابيت هذه الخصال فأذن بحرب من الله ورسوله

فلما سمع يزدگرد كلام المغيرة اطرق ملياً وسأل الايضاح عن معنى اداء الجزية صاغراً فلما فهم ذلك امر بطرد القوم من حضرته ونادى في رجاله بان يستعدوا للقتال

وكان من امر العرب في واقعة القادسية انهم شنموا من الاعداء رايتهم المقدسة (درفش كاواي) نريد بها راية لحداد ” كاوه ” التي كانوا ينشرونها في الملهمات والشدائد وبعث بها سعد مع الخمس الى عمر بن الخطاب وكان عليها من نفيس الجوهر واللؤلؤ ما يقدر بمئات الالوف . واعتبر الفريقان

ان ضياع هذه الراية من قبضة الفرس دليل على قرب سقوطهم وضياع دولتهم فولوا
 منهزمين من القادسية بعد قتال شديد وتوغل سعد في البلاد حتى صار على ابواب
 المدائن وملكها بعد قتال قليل وغنم العرب منها ما لا يحصى من الاموال وبعثوا بتاج
 كسرى يزدگرد و الخمس والمدايا النفيسة الى بيت المسلمين مما غنموه في المداين
 قيل وكان كسرى يزدگرد يوم هاجم العرب المداين في قصره يراقب
 حركات العدو من نافذة فرأى البسالة على وجوه العرب وهم يقاتلون ويضحكون
 كأنما القتال والموت عندهم من ابسط الامور فعلم انه لا يقدر على ردهم
 وهرب في الحال الى مدينة حلوان ومعه كل ما خف وزنه وارتفع قدره
 مما قدر على جمعه في ذلك اليوم فتبعه سعد بن ابي وقاص وارسل هاشم ابن
 اخيه في عشرة آلاف مقاتل لمحاربة جيش الفرس سمع بقدمه من شيروان
 واذر بايجان فهرب الجيش الايراني من وجه هاشم ومن معه الى مدينة حلولا
 وتبعهم العرب اليها وانتصروا عليهم وملكوا البلاد منهم
 وظل العرب يفتحون مدينة بعد مدينة من مدائن الفرس ويملكون
 منها المال الكثير حتى دالت دولة ايران وملك العرب البلاد عن آخرها
 وهرب يزدگرد من البلاد فلجأ الى بلاد التتر وجعل العرب مدينة الكوفة
 في العراق مركز قواتهم وبنوا مدينة البصرة وعملوا العظام في اعوام قليلة
 وبنى سعد بن ابي وقاص واليا على بلاد ايران الى أن سمع عمر يوماً
 بامر عنه استدعاه من اجله واقام على تلك البلاد والباغية وكان يزدگرد
 لم يزل حياً يسعى في رد الملك اليه فظن ان ابتعاد سعد بنيله مأرباً فجمع
 جيشاً كبيراً من بلاد همدان وخراسان وجعله تحت قيادة بطل صنديد
 اسمه فيروزان وارسله لمحاربة العرب

وجيش يزدگرد مئة وخمسين الف مقاتل من بلاد خراسان وهرات
 وهمدان وغيرها وعين البطل فيروزان قائداً عاماً على هذا الجيش الطائي
 وهو يؤمل منه النجاح والعود الى ابيه الملك الاولي فلما سمع عمر بن
 الخطاب بهذا الاستعداد الكبير لطرد العرب من بلاد ايران أرسل الاوامر
 الى كل جهات السلطنة العربية بالاسراع لمعاونة الجيش الذي فتح ايران
 وجاءت النجدة من كل صوب فاجتمع لديه جيش كبير ولى عليه النعمان بن
 مكران الزني وأوصاه بالعمل على اباده هياكل النار واخضاع الايرانيين
 اخضاعاً تاماً. فقدم النعمان بجيشه الى الكوفة ومنها الى سهل نهاوند في
 بلاد ايران وكانت جيوش الايرانيين في تلك الناحية تنتظر قدوم العرب
 وقد حفرت الخنادق وتحصنت من ورائها وظل الجيشان مدة شهرين الواحد
 تجاه الآخر وهما لا يحاولان الهجوم حتى فرغ صبر العرب وعود قائدهم على
 الهجوم بعد الاستعانة على الله تعالى فجمع رجاله وخطب فيهم يحرصهم على
 الجهاد ويبين لهم آخرة الشهادة أو الفتح وقال لهم في ختام خطابه انه قد عول
 على مهاجمة الفرس وطردهم من مواضعهم وقلبه يحدته انه سوف يقتل فان
 صح ظنه وجب عليهم الاتقياد من بعده لاوامر حذيفة بن علي عمان وجعل
 لهم التكبير ثلاثاً علامة الابتداء بالحرب فكبروا أولاً وثانياً بعد انتهاء هذا
 الخطاب فاستعد كل مقاتل للهجوم حتى اذا كبر نعمان المرة الثالثة أجابه الجيش
 برمته وهجم الابطال على جيش ايران هجوماً عنيفاً قطع قلوب الاعداء واظهر
 العرب في تلك المعركة من البسالة شيئاً كثيراً فظفروا بالايرانيين وكسروهم
 شر كسرة ولكن قائدهم الباسل قتل كما ظن وذلك بعد ان رأى النصر المبين
 بعينه وحزن ابطال العرب لوفاته حزناً مفرطاً. وقتل من الايرانيين في

موقعة نهاوند هذه نحو ثلاثين الفاً بطعن الرماح وضرب السيوف وفر الباقون في كل ناحية منهم اربعة آلاف ظلوا تحت قيادة فيروزان فتبعهم الف من العرب وقتلوهم وقائدهم عن بكرة ابيهم وهكذا تم النصر للعرب وانتهت الحروب بينهم وبين الايرانيين في أيام الفتح الاسلامي

واما يزدگرد فانه لما علم بانكسار جيشه الطامي لم يبق له مطمع في الحياة والملك وفر الى بلاد سيستان بعد ان صارت مملكته ملكاً للعرب ورحل عن سيستان الى خراسان ومنها الى مرو وهو يظن انه ينجو من يد العرب بمثل هذا الفرار فلما علم حاكم هذه المدينة (وكان من سلالة التتر قتل ابوه بأمر ملك ايران) بقدموه بعث سرا الى ملك التتر يعلمه بالامر ويدعوه الى الحضور للقبض عليه لانه كان يعلم ان العداوة مزمنة بين التتر والاييرانيين فجاؤ ملك التتر بجيشه الى مدينة مرو وفتح لم حاكمها الابواب فلما رأى أهل المدينة ذلك وعلموا سر الحكاية نفروا من نذالة حاكمهم وخيائته وقاموا على التتر فخار بهم محاربة الابطال ولكنهم لم يقووا على ردهم وانتهز يزدگرد فرصة اشتغالهم بالقتال ففر يطلب السلامة لنفسه ولجأ الى مطحنة تقرب من المدينة فتذال لصاحبها ورجاه ان يقبله في محله ضيفاً الى بكرة غدي فوعده الرجل بذلك وذهب يزدگرد لينام لان التعب والفرار اضنيه الا أن الرجل الغادر رأى مع يزدگرد من الحلوى والجواهر ما أنساه المروءة وحقوق الضيافة فذهب اليه وهو نائم وقطع رأسه بسيفه المرصع الذي اخذه لقاء وعده المذكور ثم اتى جثته في النهر وهكذا انتهت حياة هذا الملك التيمس وهو آخر ملوك الدولة الساسانية العظيمة

واما حاكم مرو فرأى من التتر بعد دخوله مدينته ظمأ ما كان يخطر بالبال

واففق مع الاهالي على الخلاص منهم فحاربهم وطردهم من المدينة وندم على ما كان منه معهم ومع يزدگرد حتى اذا خرج هؤلاء القوم من مدينته جعل يبحث عن الملك يزدگرد حتى يواسيه ويساعده ما امكن ولم يطل الامر حتى علم الناس بما كان من أمر يزدگرد المظلوم فمظم حقدهم على قاتله الغادر وهجم البعض عليه فزقوه باسنانهم من العيظ . ثم ان هؤلاء القوم مجشوا عن جنة يزدگرد ووجدوها فخنطوها وارسلوها الى اضطر لتدفن مع جثث اجداده العظام . وكان يزدگرد ملكاً ضعيف الرأي حكم البلاد تسعة اعوام وانتهى حكمه يوم معركة نهاوند وهو آخر من حكم البلاد الايرانية من آل ساسان العظام كما تقدم . وهنا ينتهي بنا الكلام عن بلاد ايران في الازمان القديمة ونبدأ بتاريخها من بعد انتشار الاسلام فيها وقد افردنا في غير هذا الموضع فصلاً مطولاً لوصف حالة البلاد الادبية قبل دخول

الاسلام اليها ووصف عقائد الايرانيين وعلومهم

ومعارفهم وغير هذا مما لا يعد التاريخ كافياً

بدونه وهذا آخر ما نقوله في

تاريخ ايران

القديم

فصل

في حكم العرب على بلاد ايران

لما سقطت دولة ايران في ايام الفتح الاسلامي وصارت البلاد تابعة للعرب لم يعد لها تاريخ خاص بها وصارت ولاية تابعة لسلطنة العرب وظلت على هذا الحال نحو ١٣٠ سنة لم يعرف عنها الا القليل مما سوف نذكره في هذا الفصل . وتشبه هذه المدة في تاريخ ايران المدة التي تلت موت الاسكندر يوم صارت البلاد من املاك الدولة السورية اليونانية ولم يعرف عنها غير القليل . غير ان تواريخ العرب التي تنقل عنها الحوادث التالية اوضح واطول من التي نقلنا عنها في ايام الفتح اليوناني والمبالغة كثيرة في النوعين ولكن تواريخ العرب اقرب الى الصواب واكثر تدقيقاً وهذه خلاصة الذي نعلمه عن بلاد ايران في المدة التي ذكرناها نقلاً عن تواريخ العرب

لما ملك العرب بلاد ايران جعلوا كل قسم منها ولاية يعين الوالي عليها من قبل الامويين والعباسيين رأساً وظل الحال على هذا المنوال وليس في البلاد ما يدعو الى الذكر الى ان ضعفت قوة العرب قليلاً في اواخر حكم الدولة العباسية وصار للولاة قوة كبيرة حتى ان بعض الملوك كان لا يجسر على مس الوالي بسوء ولا يقدر على عزله الا اذا هو استعان باقربائه هذا الوالي واعوانه وحصل مثل هذا في ايام المأمون ابن الرشيد يوم اراد عزل

والي خراسان ولذلك صارت هذه الولايات بعد حين امارات مستقلة تعترف بسيادة العرب وبعض الولاة كانوا لا يعترفون بذلك حتى كثرت الخلل وساد الضعف فوقت البلاد في حوزة رجل من اهالي سيستان بايالة كرمان رقي سلم المجد مجده واقدامه نريد به يعقوب ابن الليث الصفار وهو امير نال قوة عظيمة وشهرة واسعة ولهذا نرى ان تأتي على طرف من تاريخ هذا الامير الذي تشككت على يده الدولة الفارسية الصفارية فنقول

كان ابو يعقوب هذا صانعاً بسيطاً اسمه الليث في بلدة صغيرة من سيستان وكان يعقوب يشتغل في دكان والده وكلما جمع شيئاً من المال انفقهُ على رفاقه وخالته حتى اشتهر بينهم بالعطاء والكرم واحبوه محبة كبيرة فلما شبَّ ووجد أن ايراد حرفته لا يقوم بالذي يريدُه عزم على قطع الطرق وسرقة المال من المسافرين وتخطف الماشية واغتنام الذي ليس له على الطريقة المهودة فتبعهُ جل رفاقه لانهم كانوا يحبونه كثيراً على ما تقدم وبدأ من ذلك الحين بقطع الطرق حتى عرف في طول البلاد وعرضها واشتهر بمخصال حميدة مع انه كان لصاً ذلك انه كان يفار على العرض ويحسن معاملة الذين ينهب اموالهم واذا علم بفقر منهم ردَّ اليه ماله و اضاف اليه شيئاً غيره حتى اكتسب بهذه الفعال قلوب الناس وكانت الحكومة فوضى ولا سلطة للوالي يومئذ ولا للسلطان على الناس والخلاف كثير بين والي خراسان والوالي سيستان التي وجد يعقوب بن الليث فيها فاستعان والي سيستان بهذا البطل واعانه على والي خراسان وناله المطلوب وبذلك عظمت قوة يعقوب وكبر مقامه حتى انه اتى القبض بعد حين على الوالي الذي استدعاه لمساعدته وارسله الى بغداد مكبلاً بالقيود بدعوى انه خان السلطان ولا يصلح للولاية

فسر المتوكل — وكان هو السلطان يومئذ — بهذا الصنيع واقام يعقوب بن الليث والياً على سيستان بدل الذي امره فما صدق يعقوب ان بلغ هذه الغاية حتى بدأ بالاعتداء على جيرانه من الولاة وضم اماراتهم الى امارته فبدأ بخراسان واستولى بعد العناء القليل على مدينة هرات وولى جميع البلاد المسماة بها وراء النهر مثل سمرقند وبخارا وخبوة وكاشغر وبلاد الافغان والسند . ثم حوّل همه الى اماره كرمان وضمها الى امارته ثم استولى على مدينة شيراز وصار بذلك ملكاً كبيراً

ولما عاد يعقوب من شيراز بعد افتتاحها أرسل الهدايا الى المتوكل على الله واقترله بالطاعة وطلب أن يثبت رسمياً على الولايات التي فتحها فلم يكن للمتوكل على الله أن يعارضه في ذلك ولكنه عرض عليه ان يجعله والي بلخ وسيستان وبخارا علي ان ينجلي عن الولايات الاخرى التي اخضعها فرضي يعقوب بذلك ولكنه ما صدق ان صار والياً على البلدان المذكورة حتى عاد الى سيره الاول وهاجم خراسان مرة أخرى ونيشابور ومازندران وغنم الغنائم الكثيرة ثم أرسل الى المتوكل يسأله اقراره على ولاية خراسان وطبرستان وغيرها من البلدان فلم يعد في وسع السلطان السكوت عن هذه الفحة واعلن في الحال أن يعقوب عاصي واصر بلعنه في جميع الجوامع فلم يهتز يعقوب لذلك وتقدم علي ولاية فارس ففتحها وسمع السلطان بامره يخاف العاقبة لانه علم أن يعقوب كان ينوي خلعه والجلوس في موضعه فارسل اليه في الحال امراً بالولاية على فارس وخراسان وطبرستان علاوة على الامارات الاخرى التي كانت في قبضته فرفض يعقوب احترام هذا الامر واظهر استيائه من تصرف المتوكل وعزم علي محاربه فلما وصل الخبر الى بغداد اثر فيها تأثيراً

كبيراً وبدأ الاستعداد العظيم لمقاتلة هذا الامير والتخلص منه وجمع المتوكل جيشاً كبيراً جعله تحت قيادة اخيه الموفق وكان يعقوب يتقدم بجميشه على دار السلام حتى صار على مقربة من بغداد فخاربه الموفق واتصر عليه فاضطر الى التأخر والقهقري ولكن يعقوب لم يثتن عن عزمه فعاد بعد حين الى مناوأة مليكه بعد أن جمع جيشاً آخر وخاف المتوكل العاقبة فارسل اليه وقدًا ليخابره في الصلح فوصله الوفد وهو يشكو من ألم شديد في معدته وقد ثاقل عليه المرض ولما دخلوا عليه امر بعض اعوانه باحضار شيء من البصل والخبز ووضعها الى جانب سيفه حتى اذا فاه رئيس الوفد بالذي جاء من اجله اجابه يعقوب ان اخبر مولاك اني اذا حييت وقتت من هذا المرض فليست ارضى بغير هذا السيف حكماً بيننا فان انتصرت عليه علمته ما لا يعلم واخذت بشار ابي مسلم المروي وآل برمك والامام ابي حنيفة بن نعمان وان هو انتصر علي فررت من وجهه وكفاني لبقية العمر الخبز والبصل الذي ترونه . فلما بلغ المتوكل على الله هذا الجواب اضطرب اضطراباً كبيراً وبذل جهده في الاستعداد للقتال ولكن الله اراحه من يعقوب بغير حرب لان الرجل مات بعد يومين وترك اكثر ولايات ايران القديمة ملكاً لاختيه عمرو ابن الليث

وكان يعقوب ابن الليث الصفار من اشهر اهل زمانه بأساً واكثرهم حملاً واتضاعاً واميلهم الى بساطة العيش وهو من زعماء الشيعة مثل بقية اهل بيته . واما اخوه عمرو الذي خلفه على ملكه الواسع فلم يخل من صفات طيبة ولكنه كان دون اخيه في البسالة والدراية الحربية والاستحفاف بملاذ هذه الدنيا . وكان من امر عمرو هذا انه ارسل الى السلطان العباسي كتاباً يظهر فيه الخضوع والاحترام ويطلب اليه ان يثبت في الولاية على بلاد فارس والعراق

العجمي وخراسان وسيستان وطبرستان او بمبارة اخرى مملكة الفرس القديمة
 فرضي السلطان عنه واصدر له امرًا بذلك وظل هذا الامير حاكمًا على تلك
 البلدان الواسعة وهو اقوى من صاحب بغداد وأكثر مالًا حتى قام عليه اهل
 خراسان وطلبوا من السلطان ان يرسل لهم واليًا غيره وكان الموفق اخو
 المعتمد هو القابض على ازمة الملك يومئذٍ فانتهز هذه الفرصة لانصاف بني
 الليث وعين واليًا غير عمرو على خراسان واستعد لمقاتلته بجيش عظيم فخاربه
 واتصر عليه واضطر عمرو الى الفرار فهرب الى سيستان وهي بلاده الاصلية
 وظل فيها زمانًا لم يشعنه ويجدد قوته حتى اجتمع لديه ما يريد فأعاد الكرة
 على بلاد خراسان واخضعها وذبج واليها وارسل رأسه الى بغداد ولكنه طلب
 الصفع والثبيت في مركزه القديم من السلطان فأتاه الامر على ما يريد
 وزادت املاكه عن الاول فأضيف اليها بلاد بلنج وما وراء النهر (نهر جيحون)
 وعظم قدر ابن الليث كثيرًا حتى انه فكر في عزل الملك العباسي وزار
 بغداد في جيش عظيم متظاهرًا بالشوق لرؤية صديقه فأحس السلطان بالامر
 واتخذ التدابير اللازمة وعمرو يظن انه غافل عنه ثم دخل عمرو بغداد باربعائة
 مقاتل من اشد ابطاله فلما صار الى سراي الملك رأى من القوم استعدادًا
 للبطش به فقاتل ومن معه وفر من المدينة على جواده بعد ان فقد احدى
 عينيهِ وأكثر اعوانه وعاد بعد ذلك عن بغداد ولم ينل مرامه

ولما رأى العباسيون مقاصد بني الليث او عزوا الى احد الامراء من نسل
 ملوك الفرس القدماء واسمه اسمعيل الساماني ان قام وشارك عمرو ونطق
 بمالكه فهجم اسمعيل على ما وراء النهر واغتصبها من عمال عمرو بعد ان كسرهم
 شرًا كسرة وعزم عمرو على مقاتلة هذا العدو بنفسه فجيش سبعين الفًا من الرجال

وذهب لمقاتلة خصمه وكان اسمعيل قد استعد لمقاتلته في عشرين الفا فقط من
 الابطال فلم ترعه كثرة العدد وظهر ورجاله بسالةً واقداماً غريبين تمكن بهما
 من الفوز على عمرو وجيوشه وحاول عمرو الفرار فكبا به جواده وتمكن الاعداء
 من أسره . وحدث بعد اسره ان احد العساكر كان يحضر له طعاماً في قصعة
 صغيرة ووضعها الى الارض فجاء كلبٌ ومد رأسه اليها ليأكل الطعام فلم
 يعد في وسمه اخراجه منها ففر بها يعوي وعمرو يتفرج عليه وغلب عليه الضحك
 حتى ذهل الواقفون حوله من امره وسألوه عما اضحكه في يوم اسره وذله
 فقال لم ان رئيس الطهارة في هذا الصباح كان يشكو من قلة الجمال لجل
 ادوات طعامي وعدتها ثلاثمائة جمل وها قد جاء المساء فأصبح هذا الكلب
 قادراً على حمل كل ما لي من الطعام وادواته . وارسل عمرو بعد كسرتيه الى
 بغداد فضرب عنقه فيها بأمر السلطان بعد ان حكم ٢٣ سنة واشتهر بحب
 الاطلاع على خفايا الذين كان يستخدمهم في بلاطه وفي ولاياته فجعل يشتري
 العبيد ويربهم حتى اذا شبوا اهداهم الى عماله وارصاهم بنقل كل ما يسمونه
 وما يرونه في بيوت مواليهم ففعلوا ذلك وظن الذين لا يعرفون الامر ان
 عمرو يقرأ الافكار وله اطلاع بعلم النيب . ولم تقم لبني الليث قائمة من بعد
 سقوط عمرو على ما ذكرنا

وصراً على بلاد ايران نحو مائة عام من بعد سقوط بني الليث الى قيام
 السلطان محمود الغزنوي لم يحدث فيها ما يذكر غير الخلاف المستمر بين حزبي
 ها الحزب الساماني والحزب الديلمي . وكان الامراء السامانيون يحكمون
 ولايات خراسان وسيستان وبلخ وما وراء النهر ولا يقرون بالسيادة
 للعباسيين . واما الديلميون وهم اهل كيلان فكانوا يتظاهرون بالخضوع لاصحاب

بغداد ويحكمون فارس والعراق وكرمان وخوزستان ولارستان وكان لبعضهم نفوذ كبير في بغداد جعل السلطنة الاسلامية في يده.

ولسنا نرى موجبا للاسهاب في تاريخ هاتين العائلتين وما جرى بينهما من الحروب. يكفي ان يقال ان اشهر افراد العائلة السامانية امير اسمه اسمعيل كان حاكما على بخارى من قبل اخيه الاكبر نصر واشتهر بالذكاء والاقدام بخاف منه اخوه وحاربه ولكنه كُسر في الحرب وأخذ أسيرا فلم يشأ اسمعيل ان يقتل أخاه وعااده الى الملك وظل هو اميرا على بخارى مدة حياة اخيه فتمكنت بذلك ربط الوداد بين الاخين. ثم تحارب اسمعيل وعمرو ابن الليث على ما تقدم ولما تم له النصر صار اميرا على خراسان وبلخ وسيستان وسمرقند وبخارى وخوارزم فانتقل اليه ملك ايران وعظم امره. وكان اسمعيل هذا على شاكلة يعقوب ابن الليث بطالا في الحروب عادلا في الاحكام لا تروق له زخارف الدنيا تخلفه على الملك ابنه احمد وسار على غير خطة والده وقتله بعض اعوانه بعد ان حكم سبعة اعوام ثم خلفه ابنه نصر وكان صغيرا في السن يوم توليه الا ان السعد رافقه فتمت المملكة في ايامه واتسعت انحاءها وعظم قدرها وظل الملوك من هذه العائلة يحكمونها حتى أخضعها السلطان محمود الغزنوي على ما يجي. واما العائلة الديلمية فكان افرادها يحكمون في أكثر اوقاتهم الولايات الشرقية من بلاد ايران القديمة ويعترفون بسيادة العباسيين ويصدرون الاحكام باسمهم ولهذا عظم نفوذهم في بغداد حتى صار امرؤهم حكام هذه المدينة وروساء الوزارات في اواخر ايام الدولة العباسية. وكانت الحروب كثيرة بينهم وبين السامانيين وغيرهم من الامراء الصغار الذين جزأهم ضعف الدولة العباسية في تلك الايام على الاستقلال بالامارات في اطراف السلطنة العربية الواسعة

الدولة الغزنوية

هنا عاد المؤرخون الى الاسهاب في تاريخ ايران من بعد ان مضى على البلاد مدة طويلة وهي في يد من ذكرنا من الامراء والملوك . واما اصل الدولة الغزنوية فهوان اميراً صغيراً من امراء هاتيك الايام واسمه سبكتكين جاهر بهدم رضاه عن تولي المنصور - من الامراء السامانية - زمام الملك بداعي صغره في السن وخاف على نفسه بعد ذلك فلجأ الى بلدة صغيرة اسمها غزني من بلاد الافغان بجوار كابل وتبعه بعض المقاتلين فارسل اليه المنصور من يحاربه ولم يشجع ولهذا عظم امره وعمل لنفسه اماره مستقلة عاصمتها مدينة غزني ثم جعل يوسع هذه الامارة ويزيدها حتى صارت تذكر بين الامارات المعروفة يومئذ ولما مات هذا الرجل خلفه ابنه اسحق وكان ضعيف الرأي عديم التدبير فلم تطل مدة حكمه ومات فانفتحت آراء الناس من بعده على تولية سبكتكين الاول الذي عرف بالحزم والبسالة واتساع المدارك وتقدمت بلاده في ايامه تقدماً عجبياً

وكان سبكتكين شديد الميل الى الفتح ومحاربة البلدان التي لم تقبل الاسلام فحول همه الى بلاد الهند وعمل على فتحها واخضاعها وحارب جيپول احد ملوكها فأخذ منه مدينة كابل وطارده الى بلاد البنجاب . ثم عاد عنه ريثما اراح جنوده واعاد عليه الكرة في السنة التالية فخضع جيپول له واهداه التحف الثمينة ورضي بدفع جزية سنوية له على ان يبقية حاكماً في بلاده ورضي سبكتكين بذلك الا ان ابنه محمود وهو اشهر سلاطين هذه الدولة كان

ينكر الاتفاق مع الكفار على شيء ما سوى الخضوع التام او الاسلام فلام
 اباه على هذا التساهل وعلم ملك الهند بذلك فاضمر الشر وعزم على الحيانة
 والغدر حتى اذا جاءه الجباة لقبض الجزية المتفق عليها امر بسجنهم وبعث الى
 كل الانحاء بطلب المعونة على سلطان غزني فاجتمع لديه جيش طام قيل انه
 بلغ ثلثمائة الف نفس عدداً واعاد صاحب غزني الكرة عليه فكسره شر كسرة
 وغنم منه الغنائم الوفرة وملك بلاد پيشاور ولنغام وهي في الشمال الغربي من
 بلاد الهند

ومات سبكتكين وقد اتفقت الآراء على مدح اعماله ما خلا العمل الاخير
 ذلك انه كان قد ولي ابنه محمود على بلاد خراسان في حياته وحول كل حبه
 الى ابنه الاصغر اسمعيل فاورثه الملك من بعده وضرب صفحاً عن محمود وحقه
 واهليته فلما علم محمود بالامر بعث الى اخيه يطلب منه التنازل له عن الملك
 ويعلمه باقتداره على اغتصابه منه فما رضي هذا الامير بذلك وتقدم محمود على
 غزني فاضم اليه اكثر امراء المدينة واكبرها لما اشتهر عنه من البسالة والحزم
 والقي القبض على اسمعيل فظل اسيراً الى آخر حياته واستبدت السلطان محمود
 بالامر وهو من اعظم ملوك الشرق له من الاعمال والمآثر ما يلا المجلدات
 نأتي على ذكر المشهور منها فقط

وكان السلطان محمود يقر بالسيادة للعباسيين دهاء منه مع ان قوته كانت
 اعظم من قوتهم ولطالما حاول الفاطميون جره الى الاعتراف لهم بالخلافة فلم
 يقبل. واشتهر هذا الملك العظيم بتغيرته الشديدة على الاسلام وولعه بالفتح ونشر
 الدين الحمدي في بلاد الهند وما يجاورها وحارب تلك البلاد مراراً نجح في
 المرة الاولى والثانية منها نجاحاً تاماً وصير كل بلاد البنجاب من املاكه وكان

جيبول الذي حارب والد محمود لم يزل حياً فرأى من الابن ما لم يره من الاب وعزم على الخلاص من الدنيا وقيل له انه اذا حرق نفسه حياً خلصت بلاده من الاعداء فتنازل عن الملك لابنه وحرق نفسه حياً ببلاد وما اقل الذين على شاكلة هذا الملك الهندي في تاريخ الآدميين . غير ان انونديال ابنه لم ينبع في محاربة محمود الغزني اكثر من ابيه فتقهقر امام الفاتح وترك له بلاد ملتان فضمت الى مملكة غزني وكان محمود على وشك امتلاك بقية الهند لولا ان يهاجم بلاده التتر ويضطر الى الرجوع عنها للمدافعة عن ملكه فعاد وحارب التتر وكسره شركسرة ومكث في عاصمة ملكه حيناً من الدهر ثم بلغه ان الهنود يجتمعون من كل ناحية تحت راية انونديال وقد عقدوا النية على محاربه وايقاف سيره في جيش كبيراً وسار لمحاربتهم فلما التقى الجيشان وجد السلطان محمود ان قوات الاعداء تزيد ثلثة اضعاف عن قوته وظل اربعين يوماً تجاهم لا يجرؤ ساكناً حتى ملوا الانتظار وهاجموه فقاتلهم بما عرف عنه وعن عساكره من البسالة ودام القتال يومين لم تعرف نتيجة الا في آخرها ذلك ان الفيل الذي كان انونديال عليه خاف وفر من ساحة القتال فظن الفريقان ان ملك الهنود رأى النصر للمسلمين وفرّ وتم بذلك النصر لجيش غزني فقتل من الهنود الوف كثيرة وفرّ الباقون وجيش السلطان محمود يضرب في اقصيتهم ونهب المسلمون خزائنهم العامرة واموالهم الوافرة وكسروا اصنامهم وخرّبوا معابدهم ونشروا راية الشمس مع النجوم (شكراً، الراية الايرانية القديمة) في أكثر الانحاء التي حلوا بها وعاد السلطان محمود الى غزو الهند فوجه همه في هذه المرة الى مدينة سومنات وهي يومئذ مقدسة عند الهنود اشتهر اهلها بالعكف على اصنامهم من

دون الله ومركزها الى شمالي مدينة دهلي تبعد عنها نحو سبعين ميلاً فأخضعها هذا الفاتح العظيم ولم يجسر احد من ملوك الهند على التعرض له واستولى على كل ما فيها من التحف الثمينة والاموال الطائلة وكسر صنمها المشهور وجاء بقطعها الى غزني فصنع منها درجاً يصعد عليه الى الجامع وطارت شهرة هذا الرجل العظيم في الآفاق فلم يعد له معاند يقوى على التصريح بالعدوان له . ثم زحف محمود على كشمير في السنة التالية فأخضعها ايضاً واعتنق كثيرون من اهلها مذهب الفاتحين وتحوّل عن بلاد الهند سنة واحدة ريثما اصالح احوال خوارزم ثم عاد اليها وقصد مدينة كنج ففتحها واستولى على كل ما فيها وتحوّل عنها الى امارة ميروت ففعل بها الذي فعله في غيرها وظلّ يتنقل في بلاد الهند ويخضع ممالكها واماراتها حتى امتلك سبعة عشر اقليم من الهند يقال لها ديهكنه على اصطلاح الهنود وصار ملكه ضخماً واسعاً وكبرت ثروته الى حدّ لم يسمع عن غيره من ملوك هاتيك الايام فأراد ان يتمتع بلذة النصر والثروة وعزم على السكون حيناً من الدهر وهو اول من سمى نفسه سلطاناً ولقب يمين السولة

وكان السلطان محمود شبع من الغزو والفتح فاستراح في عاصمته واهتم ببناء القصور والجوامع فشاد صروحاً نفيسة وزين مدينة غزنه باجمل البناءات وانفق عليها من الاموال الوفرة التي غنمها في غزواته الكثيرة وكان امره غزنه من اعوان السلطان وقواده قد جمعوا شيئاً كثيراً من الذهب والجواهر ايضاً فاقصدوا بسطانهم وبنوا القصور حتى اصبحت مدينة غزنه من أشهر مدن الشرق في تلك الايام وطار صيتها وصيت سلطانها في الآفاق وكان اجمل ما في المدينة الجامع العظيم الذي بناه السلطان محمود

وانفق عليه القناطير المقنطرة من المال وارسل خبر بنائه الى صاحب بغداد
ورئيسه الديني ففرح الملك العباسي بذلك واسم بتعظيم اسم السلطان محمود
والدعاء له في جوامع المملكة

واما كيفية فتح مدينة سومنات التي تقدم ذكرها فهو انه نفي الى هذا
الفتاح ان في المدينة المذكورة صنما عظيما وثروة هائلة فقصد المدينة ليفتحها
واحاط بها فرأى من غناها وقوة اهلها شيئا كثيرا وكان الهنود يظنون ان
المهم يسحق لهم قوات المسلمين بلا عناء فلما صار المسلمون على الابواب
واوشكوا ان يملكوا المدينة هاج الهنود وحاربوا محاربة الذي لا يطعم في الحياة
وكانوا يهاجمون ويدافعون والدموع في عيونهم لاعتقادهم ان الصنم الذي
كرموه كل تلك الاجيال غضب عليهم وتنحى عن مساعدتهم وافادهم ذلك
الاعتقاد في انه جعلهم لا يتمون للموت فردوا جنود المسلمين عنهم مرارا
وقتلوا منهم العدد العديد حتى رأى السلطان محمود ان العود بالسلامة
والاكتفاء بالغنائم السابقة أسلم عاقبة من محاصرة هذه المدينة فامر عساكره
بالرجوع وطرب الهنود لهذه الآخرة فأقبلوا على صنمهم يشكرونه على هذه
النعمة . وكان اهل سومنات قد بعثوا الى جيرانهم يطلبون المدد فبينما كان
جيش غزنه راجما عنها التقى بالمدد قادمًا وكان جيشًا جرارًا فاستعدَّ محمود
للقنال والنضال ونزل عن جواده فصلى الى ربه يطلب النصر على الكفار
ثم اعتلى صهوة جواده وانتضى سيفه الابتر وكره به على الاعداء كمن يريد
الموت واتدى عساكره به فبجمو هبوماً عنيفاً على الاده ونكوا بهم من
كل جانب وفرقوهم شذر مذر وانتصروا يومئذ انتصاراً ميبناً فأسكرتهم
لذة النصر وارادوا الرجوع الى المدينة لفتحها ونهب ما فيها وظاوعهم السلطان

على ذلك فأعاد الكرة على القوم بهمة زعزعت اركان تلك المدينة العظيمة
 وهدت من اهلها العزيمة فعولوا على الفرار والهزيمة ودخلها المسلمون فغنموا
 يومئذ أوفر غنيمة وجمعوا من نفيس التحف والمال والذهب شيئاً لا حد له
 ولا عد. ووصل السلطان محمود الى ذلك الضم الشهير وكان الشوق كثيراً
 في صدره الى تحطيمه والمناداة بالاسلام فتقدم اليه اعيان البلدة وكهنتها
 وقدموا له قدرًا طائلاً من المال ليترك لهم صنمهم على حاله فطمع اعوان
 محمود بهذا المال الكثير ورجوه ان يقبل طلبهم ويوزع المال على الذين جاهدوا
 معه فأطرق السلطان في الارض وفكر في الامر قليلاً ثم صرح بالاباء وقال
 انه جاء المدينة ليكسر صنمها لا لبيعه الى اهلها وقال هذه الجملة بالفارسية
 (محمود بت سكن است نه بت فروش) وجرّد سيفه فضرب به ذلك التمثال
 العظيم وامر من معه من الجنود ان يحطموه ففعلوا وبينما هم يكسرونه
 عثروا في جوفه على جواهر ولائى واموال كثيرة جداً تزيد عن المبلغ
 الذي عرضه الكهنة زيادة هائلة ففهم السلطان محمود حينئذ خائيتهم من ابتياعه
 وجمع كل التحف ثم امر الهنود بالحضور فحضروا لديه وفرض عليهم ذلك
 المال الذي عرضه عليه فجأؤوا به على سبيل الغرامة وكان الذي جمعه
 المسلمون من مدينة سومنات هذه اعظم مما نالوه في كل غزواتهم السابقة
 ومات السلطان محمود في سنة ٤٢١ هجرية الموافقة لسنة ١٠٣٠ مسيحية
 بعد ان اثار مراراً غير المرات التي ذكرناها على بلاد الهند وقد اكثر
 المؤرخون من ذكره وتعداد مناقبه واوصله البعض بمدائحهم الى أعلى
 الدرجات وهو بلا شك من اعظم سلاطين ايران واكبر ملوك الشرق.
 وكان فوق بسالته ودرايته في الحروب عادلاً له مهابة سيفه في القلوب وميل

شديد الى مقاصد المعتدي وان يكن اعز الناس عنده . يروى من هذا القبيل ان احد الناس شكوا اليه شريكاً بأبي منزله كل ليلة لقصد منكر ويحشى الفقير معارضة خوف بطشه فسأله السلطان ان صف لي هذا الامير ففعل الرجل وفهم السلطان ان المعتدي احد اولاده فصرف الشاكي على ان يحضر بنفسه في الليل الى منزل الرجل ويقتص من المعتدي يده . واختبأ السلطان في بيت الرجل في تلك الليلة حتى اذا جاء الامير ليقتضي مرامه على عادته استل محمود سيفه وقطع به الجاني دلوين وهو في خلال ذلك الفعل مغضض العينين . ثم فمخ عينيهِ ورأى المقتول فكبر وحمد الله وظهرت عليه لوائح البشر وسأله الرجل عن معني ذلك فقال اني كنت اظن الجاني احد اولادي ولم أشتأ ان أراه حياً بعد هذا الفعل الذميمة فلما فمخت الآن عيني لا رى هذا الاثيم علمت انه ليس من اولادي والحمد لله رب العالمين

ومن اشهر ما يذكر عن هذا السلطان العظيم ان شاعر الايرانيين الاكبر ومؤرخهم الموقر نريد به الفردوسي الشهير صاحب الشاهنامه المعروفة عاش في ايامه ونظم تاريخ الفرس من اول تشكيل سلطنتهم لغاية استيلاء العرب عليها في ستين الف بيت دون ان يكون فيه كلمة اجنبية وكان محمود يحسن اليه بالمبات والصلوات ولكنه قصر معه واعطاه ستون الف مثقال فضة بدلاً من ستين الف مثقال ذهب حسب الاتفاق بينهما وذلك لان وزيره حسن ميمندي كان سني المذهب والحكيم المذكور جمعفري المذهب وشيبي المشرب فعتب الفردوسي عليه ورفض الهدية وانزوى في مدينة مشهد (طوس) فلم يعد الى غزاه مدة حياته . وندم السلطان محمود بعد ذلك على تقديره فأرسل الى الفردوسي بنفس الهدايا والتحف الفاخرة ووصل الوفد الذي

جاء بها الى مشهد طوس يوم وفاة الفردوسي ودفنه فخرن عليه السلطان حزناً شديداً وعرضت الهدايا على ابنته من بعده فلم تقبلها
 وكان للسلطان محمود ابنان اكبرهما مسعود ولاءه والده على العراق وما يليه في مدة حياته وحرمة الملك فأوصى به من بعده الى ابنه الثاني محمد وكأنه كان يشعر بنتيجة فعله فسأل مسعوداً في احد الايام عن نيته في معاملة اخيه اذا صار الملك اليه واجابه الشاب انه سيعامله كما عامل هو (محمود) اخاه اسماعيل ولكن هذا لم يثن محموداً عن عزمه واورث السلطنة من بعده الى محمد فزحف مسعود عليه في الحال بجياله ورجله من بلاد العراق وقبل ان يصل غزنه ارسل اليه يطلب تسليم الملك ويسرض عليه شروطاً توافق الاثنين فلم يقبلها محمد وانتشب الحرب بين الاثنين ففاز فيها مسعود لانه كان بطلاً مغواراً مثل ابيه واسر محمد وسجن في مدينة غزنه بعد ان فقئت عيناه

وكان السلطان مسعود يجب الغزو ولكنه لم يتمكن من الفتح وضم الاقطار لانه قضى اوقاته في محاربة الممالك الهندية التي اخضعها ابوه واثارت من بعد وفاته تحاول الاستقلال فنجح في اخضاعها ولكن جد في ايامه ما لم يكن في الحسبان ذلك ان طائفة من التتر او الاتراك السليجوقيين تقدمت على البلاد في ايامه وذلك بدسيسة واغراء من بعض امراء العرب ببغداد فصالحها مسعود وعاونها ثم حاربها وتقهقر امام ابطالها فقام عليه جنوده وخطعوه ثم داروا على بعضهم البعض ينهبون ما اجتمع لديهم من التحف حتى غني قوم منهم وافتقر قوم آخرون . ولما هدأ روعهم وعرفوا خطاهم عزموا على اعادة الملك الى اولاد السلطان محمود ونادوا بمحمد ملكاً عليهم فلما جاؤوا اليه في

سجنه وهو لا يبصر واعلموه بالحكاية فرح بالخلاص ولكنه لم ينو قتل
 اخيه . ووقع مسعود في يد محمد بمد هذه الحوادث فاكتفى السلطان بسجنه
 واطهر له بعض الاكرام ولكن احد اولاد محمد قتل مسعوداً وهو في السجن
 بدون علم اخيه فزن محمد على اخيه حزناً مفرطاً وبعث الى ابن اخيه يعزیه
 على فقد والده ويبرأ من اثم قتله وكان ابن اخيه يومئذ حاكماً على بلخ فلم
 يصدق رواية عمه وزحف عليه فخاربه واتصر في الحرب واسر عمه وامر
 بقتله وقتل كل اولاده ما خلا واحداً وقبض على السلطنة في سنة ٤٣٣ هجرية
 وضاعت بلاد ايران من قبضة آل غزنه في ايام هذا السلطان فلما
 السلجوقيون وسوف يأتي ذكرهم في الفصل القادم وفي مدة الغزنويين
 ابتدأت المعارف والعلوم والآداب والفنون تترقى ببلاد ايران حتى صارت
 تضاهي ايام الكسريين . وكان فيها من الشعراء والفلاسفة ومن فطاحل العلماء
 نحو الاربعائة على باب السلطان محمود . وفي مدتهم تجدد ما اندرس من آثار
 الفرس القدماء وهم اول من لقبوا بلقب السلطان وكان من سبقهم من الملوك
 يسمون بالملك فقط . وهذه اسماء ملوك الدولة الغزنوية وتاريخ حكمهم :

السلطان سبكتكين	سنة ٣٦٥ هجرية الموافقة سنة ٩٧٦ . مسيحية
السلطان اسماعيل	سنة ٣٨٧ هجرية الموافقة سنة ٩٩٧ . مسيحية
السلطان محمود	سنة ٣٨٧ هجرية الموافقة سنة ٩٩٧ . مسيحية
السلطان محمد	سنة ٤٢١ هجرية الموافقة سنة ١٠٣٠ . مسيحية
السلطان مسعود	سنة ٤٢٢ هجرية الموافقة سنة ١٠٣١ . مسيحية
السلطان مدعود	سنة ٤٣٣ هجرية الموافقة سنة ١٠٤١ . مسيحية
السلطان مسعود	سنة ٤٤١ هجرية الموافقة سنة ١٠٤٩ . مسيحية

سنة ٤٤١ هجرية الموافقة سنة ١٠٤٩ مسيحية	السلطان علي
سنة ٤٤٣ هجرية الموافقة سنة ١٠٥٢ مسيحية	السلطان عبد الرشيد
سنة ٤٤٤ هجرية الموافقة سنة ١٠٥٢ مسيحية	السلطان فرخزاد
سنة ٤٥٠ هجرية الموافقة سنة ١٠٥٩ مسيحية	السلطان ابراهيم
سنة ٤٩٢ هجرية الموافقة سنة ١٠٩٨ مسيحية	السلطان مسعود
سنة ٥٠٨ هجرية الموافقة سنة ١١٠٤ مسيحية	السلطان ارسلان شاه
سنة ٥١٢ هجرية الموافقة سنة ١١٠٨ مسيحية	السلطان بهرام شاه
سنة ٥٤٧ هجرية الموافقة سنة ١١٠٢ مسيحية	السلطان خسرو شاه
سنة ٥٥٥ هجرية الموافقة سنة ١١٦٠ مسيحية	السلطان خسرو الثاني



الدولة السلجوقية

تنسب هذه الدولة الى سلجوق وهو احد امراء ماوراء النهر رحل
 بقبيلته الجرارة الى انحاء بلاد ايران في اوائل حكم الدولة الغزنوية ومات
 على مقربة من بخارى خلفه في رئاسة القبيلة ابنه ميكائيل وكان هذا الامير
 من الذين تعرفوا بالسلطان محمود ونالوا منه الاكرام الكثير ذلك لان هذا
 الفاتح العظيم سمع ان القوم في عدد الرمال يخرج منهم مائتا الف مقاتل فلاطفهم
 وجاملهم وكان على قول بعض المؤرخين يعرف ان آخرة دولته ستكون على يدهم
 واول من اعطى الاراضي الى هؤلاء السلطان مسعود وهو الذي
 حاربهم على ما تقدم وانكسر في الحرب فاستولوا بعد انتصارهم على بلاد
 خراسان وكان لهم قبل ذلك ارض واسعة على مقربة من نهر سيحون فعظم
 امرهم وتظاهر رئيسهم طغرل بك بالايه وعظمة الملك وجعل مدينة نيشابور
 قاعدة مملكته . وسمع طغرل بك بما صار اليه بنو العباس من الضعف فسار
 بجيشه الى بلاد العراق واخضعها وتقدم على الموصل فتحها ثم عاد عنها الى
 بغداد فقابله الملك العباسي بالاكرام الكثير واقره على السيادة واتفق الاثنان
 على ان يكون صاحب بغداد رئيساً دينياً للمسلمين وطغرل بك صاحب
 الملك وسر طغرل من هذا الاتفاق

ثم وجه طغرل بك همه الى مقاتلة الدولة الرومانية وقاعدتها يومئذ
 القسطنطينية فخاربا ولم ينبج كثيراً في نوال سراده منها غير انه ضم في
 تلك الاثناء معظم بلاد ما وراء الخزر والقفقاز الى مملكته وعظم قدره كثيراً

بين الوري وكان يظن ان الملك لا يستتب له ولا ولاده الا اذا هو تقرب من صاحب بغداد العباسي فزوج اخته للقاتم وهو يومئذ صاحب بغداد واقترن باخته، هذا الملك وهي في التسعين من عمرها ثم مات بعد ذلك بقليل وترك ملكه الواسع لابنه الب ارسلان . وكان ظفرل شجاعاً باسلاً في الحروب لا يطيب له عيش بغير الغزو وشن الغارة حاد الطبع بسيط في معيشته كريم في اخلاقه شديد التعلق بدين الاسلام يضطهد كل من خالف عقيدته وظل كل عمره يعترف بسيادة صاحب بغداد ويقر له بالخلافة

واما الب ارسلان (ومعنى اسمه الاسد الظافر) الذي خلف ظفرل بك فكان بطلاً صنديداً وسيداً مهاباً لم يقم في هذه الدولة السلجوقية رجل اعظم منه ولم يرو عنه شيء لا يعيبه غير تشديد الوطأة على المسيحيين في بلاد الجراكسة والارمن وكل بلاد اخرى اخضعها ولم تعتنق دينه وكان ذلك من شدة غيرته على الاسلام وميله الى انتشاره . ولكن هذه القسوة في معاملة اهل البلاد التي ذكرناها هيجت غضب الدولة الرومانية وكان امبراطور القسطنطينية يومئذ من اشهر ابطال زمانه واعظمهم قدراً واسمهُ رومانوس ديوجينس (وفي التواريخ الايرانية اورمانوس) هذا بدأ في الاستعداد لمقاتلة هذا البطل وكان الب ارسلان مثل ابيه ينوي ضم هذه المملكة الى املاكه فسبقه اورمانوس الى الحرب ونقدم بعساكره على ارمينية واذربايجان ولما التقى الجيشان رأى الب ارسلان ان قوته اقل بالشيء الكثير من قوة الرومانيين وعرض الصلح على امبراطورهم فرفض اورمانوس هذا الطلب واستعد الب ارسلان للقتال العنيف . ولما تحارب الجيشان تقهر الايرانيون ونقدم الرومانيون فأدخلوا في تلك الجيال وهم يطاردون الامعاء وانفرط

عقد نظامهم وعند ذلك هاج الدم في عروق الب ارسلان واسكرته خرة اليأس
فهبم بسيفه على الاعداء هجوم الاسد الكاسر وفعل رجاله فعله فتضعفت
احوال الرومانيين ولم يقووا على الوقوف في وجه الذين كانوا يقاتلونهم ولا
مطمع لهم في الحياة وتولاهم الرعب فكسروا شركسة وفروا من وجه القوم
التتر على كثرة عددهم وقتل العدد الوافر من ابطالهم واسر الامبراطور
اورمانوس بنفسه وكان الذي اسره ضابط خامل من ضباط الفرس تهدده
الب ارسلان في اليوم السابق بالعزل والتجريد على خموله ولم يعلم ان الذي
قبض عليه هو الامبراطور ولكنه جاء به الى مولاه فلما رأى الب ارسلان
اهتمام الرومانيين العظيم في انقاذ هذا الاسير وصرائحهم الكثير من بعده علم
ان اسيره اورمانوس وسأله عن ذلك فأجابه بالايجاب فأحله محلاً رفيحاً
وأكرمه أكراماً زائداً لانه رأى من اقدمه وبساتنه ما يذكر ويشكر وكان
يتودد اليه ويقول له اطلب ما تشاء فانا بطل واحب الابطال . ولكن
اورمانوس كان مقطب الجبين لا يسر باكرام الب ارسلان ولما سأله هذا
الفاتح مرة ماذا كنت تفعل بي لو انت اسرتني كما اسرتك قال اني كنت
اذيقك العذاب المهين فلم يغضب الب ارسلان من هذا ولا اظهر الكدر فدل
بذلك على شهامته ومروءته وسأل اسيره ماذا تظن اني سأفعل بك قال ان
كنت ظالماً فاقناني او محباً للفخر فخرني بالقيود الى عاصمة ملكك او كريماً
فاطلقني من الاسر فاجابه الفاتح اني كريم وامر بالافراج عنه فذهل اورمانوس
لهذه الشهامه الكبرى وشكر الب ارسلان شكراً خالصاً ووعد جزاء هذا
الاحسان ان يخلص له الوداد ويدفع اليه جزية عاماً بعد عام وسر الب
ارسلان بذلك فافترق البطلان واورمانوس ينوي القيام بوعده ولكن التقادير

لم تساعده على ذلك لانه وجد حين وصوله الى بلاده ان قومه خانوه وولوا غيره مكانه فخار في امره وخاف ان يتهمه الب ارسلان بالحيانة ولهذا جمع كل ما وصل الى يده من المال وارسله الى صديقه الباسل مع ايضاح الحال وسبب التقصير في اداء المطلوب كله فتأثر الب ارسلان لذلك وعزم على تعضيد صديقه وارجاع الملك اليه بقوة السيف وبينما هو يستعد لذلك بلغه ان الرومانيين سجنوا اورمانوس البطل وقتلوه فعدل عن عزمه ونوى للذين خانوا صديقه الشر

وعظم قدر الب ارسلان كثيرا في هذه المدة فكانت مملكته الواسعة ممتدة من حدود الشام الى صفاق نهر جيحون وامتلات خزائنه بالمال واجتمع تحت امره مائتا الف بطل من الذين قضا عمرهم في الحروب فقصد اخضاع بلاده الاصلية وهجم على خوارزم فاعترضه في طريقه امير صغير اسمه يوسف من التتر واخره زمانا طويلا عن المسير فلما ظفر به الب ارسلان عامله بالقسوة وامانه على ما بدا منه في حين ان الرجل لم يأت غير واجب الدفاع عن بلاده وردد على الب ارسلان بالكلام الغليظ فغضب الملك من ذلك وامر بقتل الرجل فهجم عليه الامير يوسف بختجره يريد قتله ورده الاعوان فامرهم الب ارسلان ان يتركوه ليقتله هو بيده وبينما هو يسدد ساعده ليرمية في كبده والابطال وقوف من حوله عاد يوسف الى المهجوم وطعن الب ارسلان في صدره طعنة كانت هي القاضية عليه . وبقي الب ارسلان مدة يتألم من جرحه قبل الوفاة وهو يلوم نفسه على ما بدا منه من عدم التدبير وقلة الحكمة في معاملة خصمه وخلف ملكه الواسع من بعده اليه ابنه ملك شاه . وكان الب ارسلان من اعظم الابطال واشهر القواد والناجمين

وكان يكرم العلماء وينشط العلم ويبني الجوامع وكان لحسن حظوه في ايامه وزير له شهرة فائقة اسمه الخواجه نظام الملك اعطي من مولاه السلطة التامة في تدبير امور الدولة وحكومتها فقام بخدمته خير قيام وتقدمت البلاد في مدته تقدماً عظيماً . ودفن الب ارسلان في مدينة مرو في بلاد خراسان ورسم على قبره عبارة هذه ترجمتها " يا ايها الذين رأيتم عظمة الب ارسلان تصل الى السماء تعالوا الى مرو وانظروها مدفونة في التراب " . واوصى الب ارسلان ابنه ملك شاه قبيل وفاته ان يبقی نظام الملك وزيراً واسف الناس لفقده اسفاً شديداً

ولما استتب الملك للملك شاه جعل همه الفتح واصلاح الشؤون فعارضه في اوائل حكمه عمه يريد اغتصاب الملك منه ولكنه لم ينجح فأخذ اسيراً وسجن في قلعة في بلاد خراسان وكان السلطان يريد ان يبقى على عمه ولكن حدث ان عساكره في تلك البلاد قاموا عليه يطالبونه بالتمأخر لم من الاجرة ويهددونه بخلعه وتنصيب عمه مكانه اذا هو لم يسرع الى تلبية طلبهم فارسل الوزير نظام الملك في الحال الى خراسان واتى بهم الملك سرّاً الى العاصمة ثم قتله فاصبح العصاة بلا رئيس وانفرط عقد الثورة وبذلك استراح السلطان من هذه المكيدة . ثم قام الامير طرسوس اخو السلطان بثورة اخرى وجمع من حوله رجالاً يجاهرون بعزمهم على اعطائه الملك فخاربه ملك شاه وانتصر عليه بغير عناء كبير ففر الامير من البلاد واستراح السلطان بعد ذلك من القلاقل

ثم وجه ملك شاه همه بعد هذا الى الفتح فنجح في ذلك اكثر من والده الهام فارسل الجيوش الجرارة على بلاد مصر والشام واخضع القطرين ثم بعث

بالمقاتلين الى بلاد بخارى وسمرقند و خوارزم وكشغر فأخضعها كلها ايضاً
 واتسعت مملكته اتساعاً هائلاً حتى صار هو السلطان المطلق على بلدان اسيا
 الواقعة ما بين البحر المتوسط وسور الصين ولم يكن في ايامه اعظم منه
 شأناً ولا اوفر ثروة ولا اختم سلطاناً وكان صاحب بغداد من آل عباس في
 يد هذا السلطان وتحت امره لا يملك غير اسم الخلافة وكل ما بقي من مهام
 الملك في الممالك الاسلامية في يد هذا السلطان السلجوقي

ويقول المؤرخون عن ملك شاه كل امر حميد وينسبون اليه كل
 فضيلة حتى قيل انه لما عصاه اخوه طرسوس وخرج من الجامع بعد الصلاة
 لتي وزيره نظام الملك فسأله ماذا طلبت من الله قال اني سألت الله ان
 ينصر مولاي السلطان على اخيه العاصي قال واما انا فاني سألت الله ان ينصره
 علي اذا كان هو افضل مني واليق للسلطنة . وهذا السلطان اول من اوجد
 المستشفى للامراض رسمياً في العالم واول من بني مدرسة علمية ببغداد وسماها
 (نظامية) حيث كانت تضاهي اعظم مدارس اوربا اليوم وآثارها باقية للآن
 ولكن تاريخه مقرون باثم عظيم مع كل ما يروى عن فضائله ذلك انه عزل
 الوزير العادل الحكيم نظام الملك الذي شاد له ولايته من قبله صروح
 الفخار وبني له سلطنة تفوق كل سلطنات ذلك الزمان والسبب في ذلك
 ان حظية ملك شاه كانت تريد ان تنصب ابنها الطفل على سير السلطنة
 من بعد ابيه وتحرم اكبر اولاد ملك شاه من هذا الحق فجعلت تهدم الطرق
 لذلك ودعت ان نظام الملك لا يوانتها عليه وطنقت تفكر في اسقاطه فساعدتها
 على ذلك الحساد والوشاة الذين يكثرون في كل بلاط وفي كل بلاد واقمت
 زوجها ان وزيره الحكيم قد استبد بالامر وجعل السلطنة له ولاولاده

واخصائيه وصنائعه واستمرت على مثل هذه التهمة حتى هيجت مخاوف السلطان وجعلته يفكر في عزل الوزير تخلصاً من سيطرته وزعماء منه بان ذلك يعود بالنفع عليه . واتفق ان السلطان اراد ان يوظف احد الرجال فارسله الى ابن نظام الملك وكان حاكماً على احدى الولايات فابى ابن الوزير توظيف الرجل لانه كان لا يليق للوظائف وعلم السلطان بذلك فاشتد غيظه وحنده وعزل الوالي في الحال ونصب مكانه ذلك الرجل الذي كان السبب في هذا الامر فلما رأى نظام الملك ان السلطان ينوي الاستبداد ويظهر الكره لعائلته قال كلاماً يشف عن اسفه وكدره وادى الامر الى عزله وهكذا انزوى الرجل العظيم الذي خدم السلطنة خدمات لا تقدر . ثم ان الوزير الذي حل محل نظام الملك كان يعلم ما لهذا الحكيم من الكفاة والاعتدال فخشي ان يعود الى مولاه ويرجع الى منصبه فارسل اليه غادراً قتله ولما انتشر نعيه في بلاد ايران وما يجاورها اشتد هياج الناس على القاتل وحزبهم على انقتول ودفنوه في مدينة اصفهان باكرام لا نظير له وسكبوا على ضريحه العبرات فاظهروا بذلك انهم يعرفون قيمة الرجل ويقدرونه حتى قدره .

ولم يعيش ملك شاه بعد هذا الوزير العظيم الا بضعة اشهر حاول في خلالها نقل مقر السلطنة الى بغداد لانه كان مغرمًا بالعيش في تلك المدينة فعارضة الخليفة ورجاه ان يتمهل في الامر ويصبر عشرة ايام ريثما يرى طريقة في الانتقال منها فاصله ملك شاه ذلك ولكن الموت عاجله قبل انقضاءها فمات مأسوفاً عليه في الثامنة والثلاثين من عمره بعد ان رقيت بلاده في ايامه اعلى درجات الثروة والعز ورتعت في مجبوحة الامن والسلام زماناً طويلاً فان هذا السلطان لم يجارب الا في اوائل ملكه واستراح في بتيه

الاعوام فنظم راصح وشاد المعابد والمدارس وقرب العلماء واهل الادب وأكثر
 لهم من الصلوات وفي ايامه اجتمع العارفون بالحساب والفلك والفوا التقويم
 الاسلامي المشهور باسم الجلاية نسبة الى جلال الدين وهو لقب ملك شاه عندهم
 ولما مات ملك شاه كثرت الخصام بين اولاده على الملك وكانت السلطنة
 خاتون طرخان حظية السلطان المتوفي التي اشرنا اليها قد تمكنت بدهائها
 من تصيب ابنها محمود محل والده مع انه كان اصغر اخوته ولم يبلغ سن
 الرشاد وكان بكر اولاد ملك شاه بقوي عزمه يوماً بعد يوم بمساعدة اولاد
 نظام الملك فلما اجتمع لديه جيش يكفي للقتال سار على اخيه وحاربه فاتصر
 عليه وقتله مع أمه وملك مكانه ولكنه لم يهنأ بالملك زماناً لان اخاه محمد
 بدأ ببنائاته ومعارضته وكان محمد هذا حاكماً على بلاد خراسان وما وراء
 النهر فساعدته الحظ بوفاة اخيه في بغداد . ولما بلغه الخبر زحف على هذه
 المدينة وتمكن من الانتصار على اياس ابن اخيه ومن حالفه واستتب له
 بذلك الملك . وكثرت الحروب والقتال في ايام السلطان محمد واشتهر عنه
 انه كان عضداً قوياً لجيوش المسلمين في الحروب الصليبية التي ثارت نيرانها
 في تلك الايام وامرها معروف . ولما مات خلفه ابنه محمود ولكن محموداً
 كان ضعيف الرأي فتغلب عليه عمه سنجار بن ملك شاه وجعله طوع امره
 وكان سنجار هذا ملكاً عظيماً مثل ابيه وجدته والآن توفي ابوه كان هو حاكماً
 على بلاد خراسان فلم يتدخل في اول الامر في الحروب والمشاكل التي
 اتينا على ذكرها بين اخوته حتى اذا رأى ان الاحوال تضعفت وصار
 يحشى على السلطنة من الخراب مدّ يده الى الملك واخذه لنفسه وجعل
 اولاد اخوته ولاية من تحت امره ثم شدد الوطأة على كل قسم من اقسام

السلطنة اظهر شيئاً من التمرد واعاد الى الصدور احترام الناس الاول لآل سلجوق والخضوع لدولتهم حتى انه ولى على سمرقند رجلاً من اوباش الناس كان سابقاً له في قصره وصار هذا الوالي يجيئ بغداد حيناً بعد حين ويقدم الشراب للسلطان وهو متردٍ برداء الامارة حتى شاع بين الناس ان سنجر عظم الى حد ان الملوك صارت تقدمه ونقف للخدمة بين يديه ولكن هو لم يتمتع بهذه النعمة زماناً فانه حارب غور خان صاحب بلاد التتر بعد هذا العز بقليل فكسر شركسة وقتل كل رجاله واضطر الى الفرار فظل زماناً محتبئاً في احقر مكان ولما تمكن من الخلاص قامت عليه ظانفة من التركان تعرف باسم قبيلة الغز وامتنعت عن اداء الجزية المقررة وتظاهرت بالمصيان فتقدم لمحاربتها وكسر في الحرب وأخذ اسيراً فاذاقه التركان كل انواع العذاب والموان ثم تمكن من الفرار ولكنه وجد البلاد باسوء حال وكثرت همومه واحزانه فمات من النغم والكدر وهو يعرف باسم السلطان العادل عند المؤرخين الايرانيين وله شهرة كبيرة في البأس والبسالة ايضاً ولكنه كان سيئ البخت تعيس الطالع

ولما مات سنجر شاه عاد القتال والحصام ما بين افراد العائلة على السلطنة وظلت البلاد من بعد موته اربعين عاماً على هذا الحال لا يعرف عنها غير المناوشة والحرب والسياسة والقلق حتى تمكن احد افراد العائلة السلجوقية وهو ظفرل الثالث من الاستبداد بالامر فما صدق ان صار هو الحاكم واطلق لنفسه السراح وتعلق على شرب الخمر وانتهاز فرص اللذة حتى احس بذلك حاكم خوارزم وتقدم عليه فخاربه واتصم عليه وقتله واخذ المملكة منه وكان ظفرل الثالث آخر ملوك السوالة السلجوقية واولهم ظفرل الاول ومدة حكم

هذه الدولة القوية ١٥٨ سنة. وانتشر السلجوقيون في مدة هذه الدولة انتشاراً كبيراً في سائر انحاء السلطنة واستقل بعض القواد منهم حالما ظهر لهم ضعف السلطان الذي حكموا في ايامه واشتهر من بين هذه العائلات السلالة السلجوقية التي حكمت بقونية وحلب ولما ذكر كثير في تاريخ الحروب الصليبية ولما سقط آل سلجوق وتولى الملك حاكم خوارزم ظن الناس ان دولة هذا الفاتح الجديد ستدوم زماناً وكان اسمه نكش وهو حفيد الساقى الذي كان يخدم سنجر وهو امير من امراء المملكة . ولكن ايام هذا المعتدي لم تطل لان ايامه كانت ايام السوء والخراب الهائل ايام ظهر الطاغية الشهير چنكيز خان الذي اباد الرجال بالالوف والوف الالوف ودمر الارض حيث سار وفتك بالدول في سائر الامصار وبلغ عدد قتلاه اربعة عشر مليوناً من البشر . وسوف يجيء ذكره في الفصل القادم

الدولة المغولية

ولما ضعفت الدولة السلجوقية بدأ الولاة يستقلون في امورهم شيئاً بعد شيء حتى اذا انقرضت الدولة المذكورة بعد وفاة طغرل الثالث جاهر معظم الحكام بالاستقلال واستبدوا بالاحكام زماناً الى ان خضعت البلاد للدولة المغولية على يد هلاكو حفيد چنكيز خان المشهور وليس في تاريخ هؤلاء الامراء ما يوجب الذكر فنتركهم وننتقدم الى ذكر چنكيز خان ومن خلفه على مملكة ايران . ويجدر بنا قبل التقدم الى ذلك ان نشير الى قوة عظيمة نشأت في بلاد ايران في ايام الدولة السلجوقية وامتد نفوذها امتداداً هائلاً

من بعد ايام السلطان سنجر وهي طائفة من الاسماعيلية او الباطنية يعرف
رئيسها باسم شيخ الجبل وله في تاريخ الشرق ذكر كثير وكان مؤسس هذه
الطائفة رجل اسمه حسن صباح رحل من ايران خوفاً من الوزير نظام
الملك في مدة السلطان الب ارسلان المشهور ولجأ الى قوم من الاسماعيلية
وهم من اصحاب الديانات الباطنية يعلمون بامامة اسماعيل بن الامام جعفر
الصادق بن الامام محمد يافر بن الامام زين العابدين بن الامام حسين
السبط الشهيد بكر بلاء . هؤلاء اضافوا حسن صباح مدة حتى اذا أمن على
نفسه من القتل بعد وفاة ملك شاه ونظام الملك جاء ايران وتمكن من امتلاك
قلعة سماها بقلعة الموت وهي على مقربة من قزوین ثم جعل يدعو الناس الى
آرائه ويعلمهم مبادئه فاجتمع عنده خلق كثير كان شعارهم الطاعة العمياء لهذا
الرئيس وتقدم الطائفة حتى انهم اوقعوا الرعب في قلوب الناس وقتلوا كل
من عاداهم سرّاً وبلغ عددهم نحو خمسين الفاً في ايام السلطان سنجر فقصده
محاربتهم وقطع دابرهم وبينما هو في الطرق افاق من نوم في احد الايام فرأى
خنجرًا شامكاً في الارض الى جانبه و عليه كتابة تحذره من عاقبة التقدم على
طائفة الحسينية (نسبة الى حسن صباح رئيسها) فعاد عنها ومن ذلك اليوم
اشتدت وطأة هذه الطغمة على البلاد وان الناس من جورها وكثر القتل بين
الذين لا يميلون اليها وفرضت الاموال على الناس لتقوم بمعاشها وابهة رئيسها
الذي صير نفسه ملكاً قوياً واورث الملك من بعده الى اولاده وحاول كل
سلاطين الدولة السلجوقية استئصال شأفة هذه الفئة الطاغية فلم يتمكنوا من
ذلك كما سيأتي

عنه اعم الامور التي تذكر عن ايران بعد انقراض الدولة السلجوقية

وقبل ابتداء الدولة المغولية. واما عن چنكيز خان الشهير الذي دمر الارض تدميراً وجاء ضربة من الله وسخطاً على بني آدم وفتك بالالوف والملايين فلا يمكننا الكلام عنه بالاسهاب لان تاريخه ليس من تاريخ ايران وان تكن هذه البلاد وكل ماسواها في المملكة الشرقية وقعت في قبضة يده وذاقت منه المرّ والاهوال . وكان چنكيز خان فوق قدرته الهائلة في الحرب رجلاً مدبراً حكيماً قسم بلاد التتر وغيرها من املاكه الى ممالك وسمى نفسه "خاقان" عليها كلها ووضع لها المنظمات المدنية والحربية الموافقة لها وكان عنده جيش من الاسود لا يقل في عدده عن ستمائة الف رجل لم يسترح مدة حكمه لحظة واحدة لانه كان يشغله في الصيد وغيره اذا لم يكن عليه حرب. وقد روى المؤرخون من المسلمين الشيء الكثير عن قسوة چنكيز خان وتوحشه وسوء معاملته للمسلمين وكان چنكيز وثنياً مثل بقية قومه التتر

ومات چنكيز خان في الثالثة والسبعين من عمره وقسم سلطنته الواسعة على اولاده الاربعة فأعطى اولم جوجي خان مملكة التتر الشمالية ومات هذا الامير بعد ابيه بأربعة اشهر فورثه ابنه باطو خان وهو الذي أخضع روسيا واثار الحرب العوان على بولاندا وبلغاريا والمجر وارضى الفلاخ والبغدان وكان ينوي فتح الاستانة فعاجلته المنية في الطريق . وورث اوكتاي خان (الابن الثاني من اولاد چنكيز خان) مملكة التتر الوسطى والصين الشمالية وسمى الخاقان بعد ابيه وكان ملكاً عادلاً حكيماً استراح الناس في ايامه من بعد ايام ابيه الهائلة . وورث تولي خان رابع ابناء چنكيز مملكة ايران وخراسان وكابل وما يجاورها ومات هذا الامير وله اولاد كثيرون اشهرهم هلاكو خان العظيم وهو الذي ملك بلاد ايران بعد ابيه وجده وتقدم على

بقية ما بقي للدولة العباسية فضمها الى املاكه واشتهر شهرة كبيرة في ايامه
واشتهر اعماله هلاكه خان اخضاع الطائفة الحسينية وقطع دابرها وهي
الطائفة السرية التي اوقعت الرعب في القلوب وعجز سلاطين الدولة
السلجوقية عن اخضاعها وكان في البلاد حكيم عاقل اسمه نصير الدين الطوسي
صاحب الالهيات والفلسفة الشهيرة علم به هلاكه خان فآكرمه ورفع مقامه
وكان يستشيرهُ في كل اموره حتى انه كان عازماً على اخضاع القسطنطينية
فاشار عليه نصير الدين بالتقدم على بغداد في اول الامر وابناً له بسقوط الدولة
العباسية فعمل هلاكه برأيه ونجح في الامر على ما تقدم فلما دخل هذا الفاتح
المغولي مدينة بغداد اسر المستعصم وهو يومئذ الخليفة العباسي وامر بقتله
وقتل ابنه ثم اطلق السراح لعساكره فداروا في المدينة يقتلون وينهبون
ويحربون معابد المسلمين لانهم كانوا من عباد الاوثان وقاسى اهل بغداد
المر من هلاكه ورجاله . ثم تقدم هلاكه على بلاد العرب وبلاد الشام
والعراق فاخضع الكل في سنة واحدة وورث سلطنة ايران العظيمة في هذا
الزمان القصير . وكان هلاكه ينوي الزحف على بلاد التتر واخضاعها
فحدث ان سيف الدين وهو يومئذ اشهر ممالك مصر كسر عساكره في بلاد
الشام فامتنع عن قصده واستراح في مدينة جميلة الموقع اسمها مراغه باذربايجان
جعلها عاصمة ملكه وجمع فيها العلماء واهل الادب وبنى المدارس والمراسد
الفلكية ولم تزل آثار المرصد ظاهرة على مقربة من موقع مدينة مراغه
ومات هلاكه بعد ان ذاق كل صنوف العز والهناء خلفه ابنه اباقا
على السلطنة وكان شجاعاً باسلاً وعكياً عادلاً جعل ممة اصلاح ما اخلت في
ايام والده والتعويض على الذين لحق بهم ضر من عساكره فرعت البلاد في

ايامه في مجبوحه الامن ولم يكدرها غير هجوم بعض امراء التتر من سلالة چنكيز على اطراف البلاد الشرقية بقصد الفتح والغزو وكان اباقا يرد المهاجمين ويكسر جيوشهم ثم يعود الى الاصلاح والعدل في الناس فاستحق منهم المدح الكثير

ولقي اباقا في آخر ايامه شيئاً كثيراً من دواعي الكدر فان جيوشه كسرت في بلاد الشام والدسائس كثرت في بلاطه ومات في آخر الامر مسموماً ويظن البعض ان الذي دسه له وزيره شمس الدين وكان هذا الوزير متمتعاً بالسلطة والنفوذ في ايام مولاه زمناً طويلاً فلما نجحت دسائس اعدائه ورأى ان السلطان على وشك ان يعزله وضع له السم في طعامه كما مر . وكان اباقا فاضلاً حكيماً اشتهر مثل بعض سلفائه بحب العلم والعلماء وعاش في ايام جلال الدين الشاعر الشهير بالروحي صاحب المثنوي والشيخ سعدي الشيرازي وهو من فحول العلماء . واقترب اباقا بانه ميخائيل فيلولوجس امبراطور القسطنطينية وكان يظهر ميلاً كبيراً الى دول النصرانية ويشهر الافرنج على العرب في الحروب الصليبية فاعتقد الناس من ذلك انه اعتنق الدين المسيحي ولكن هذا السلطان لم يتظاهر بدين من الاديان مدة حكمه وظل وثيقاً بالاسم الى آخر ايامه

وعند وفاة اباقا اجتمع امراء المغول وقوادهم وقرّ رأيهم على تنصيب نيكودار اخي اباقا مكانه . قيل ان هذا السلطان عمد على الطريقة الارثوذكسية يوم ولادته وسمي نقولا ولكنه وجد بعد استلام الملك ان السياسة تقضي عليه باعتناق الدين الاسلامي لان البلاد التي كان يحكمها اسلامية ففعل ذلك وسمي نفسه السلطان احمد خان وتظاهر بالكره الشديد

لطوائف المسيحيين حتى انه اصدر امراً بمنعهم من السكن في مملكة ايران
 وخرّب كنائسهم واضطهدهم اضطهاداً كبيراً . على ان ذلك لم يرق لامراء
 المغول واكبرهم لانهم وان كانوا لا يدينون بدين النصرانية الا ان الدول
 النصرانية كانت مصافية لهم ورأوا ان التضيق على القوم يعود بالخراب على
 المملكة فشكوا هذا السلطان الى قبلاي خان خاقان التتر وعلم السلطان
 نيكودار بذلك قبض على الذين اوصلوا الشكوى الى الخاقان وفي جملتهم
 اخوه وابن اخيه ارغون فقتل الاول وخلص الثاني بقيام الامراء على
 السلطان وخلصه واعدامه

وسمي ارغون سلطاناً بعد عمه على بلاد ايران ولكنه لم يشأ ان يعترف
 لنفسه بهذا المركز حتى جاءه التصريح به من خاقان التتر . ولم يحدث في ايام
 ارغون خان ما يستحق الذكر غير انه ارجع شمس الدين الى الوزارة ثم سمع
 كلام الوشاة وصدق انه دس لايه السم فأمر باعدامه ووظف غيره
 مكانه فلما أحس بقوة الوزير الجديد امر باعدامه ايضاً واستوزر مكانه يهودياً
 سمي نفسه سعد الدولة واشتهر هذا الوزير بالدهاء ودماثة الاخلاق وطلاوة
 الحديث وهو الذي انتصر للمسيحيين وبدأ باضطهاد المسلمين في مملكة ايران
 على صفة لم يسبقه اليها احد حتى انه خرب عدة جوامع ونهى المسلمين عن
 الدنو من قصر الملك وبدأت المخابرات بينه وبين البابا نقولا الرابع
 بخاف المسالمون العاقبة وظنوا ان جوامعهم ستصير كنائس وعقيدتهم ستلغى من
 الوجود ولكن معاونهم زالت ونفوسهم اطّأت بموت ارغون خان في ذلك
 الحين . وما صدقوا ان سموا برقاته حتى قاموا على وزيره اليهودي وقتلوه
 ومك بعد ارغون اخوه كيخا خان وكان في ايام اخيه حاكماً على

بلاد الاناطول فلما مات ارغون اجتمع امراء المغول على عادتهم وقرروا تسليم السلطنة اليه فاسرع في الحال الى تبريز وهي يومئذ عاصمة السلطنة فرحب به معظم القوم وحملوا النفس على الطائفة بقدميه وهم يظنون ان ايامه ستكون ايام السعد والرخاء فاطال الامر عليهم حتى علموا انهم اخطأوا في حسابهم ورأوا من هذا السلطان الجديد كسلاً وخمولاً وانفاساً في الشهوات لم يسبق له نظير حتى انه كان يتخطف بنات القوم من الطرق والبيوت ويتفق المال ويثقله اتلافاً على آيات حظه ففرغت خزائنه من النصار وشعر بالعوز وكان هذا العوز سبباً في اختراع غريب قادت اليه الحاجة و اشار به واحد من الموظفين اسمه عز الدين مظفر سمي بعد ذلك بالشرير على اختراعه هذا وهو استعمال الورق في المعاملات بدل النقود وكانت هذه الاوراق تصنع على نفس الطريقة التي تصنع بها الآن اوراق الدول وتداول البنوك الكبرى عليها رموز و اشارات صينية مجاملة لخاقان التتر والصين وعبارة "لا اله الا الله محمد رسول الله" من الجانبين ومن تحتها قيمة الورقة وامر من السلطان يحتم على الناس قبولها بالقيمة المطبوعة ويأمر بالخراب والعقاب الشديد على كل من يرفض قبولها واستعمالها . وكانت هذه الاوراق مستعملة في بلاد الصين من قبل ذلك الحين بستمائة سنة وهي تعد اليوم من اعظم معتمات الافرنج مع ان الفضل في ايجادها للصينيين ولهذا السلطان الايراني كما تقدم . على ان الاهالي كانوا يكرهون هذه الطريقة ويدعون على صاحبها بالخراب ولما عمت الشكوى منها اضطر السلطان الى الغامبا ولكنه لم يسترجع بذلك ثقة الاهالي وظلوا ناقلين عليه الى ان جاهر بايدو خان وهو حفيد هلاكو بالعصيان فانتصر له الاهالي وساعدوه على اسر السلطان وقتله

وصار الملك من بعد ذلك الى بايدو خان . ولكن بايدو خان لم يمتنع بالملك زماناً فانه مات بعد اشهر قليلة من استلامه الملك قتله غازان خان ابن ارغون وجلس مكانه على سرير السلطنة بعد ان استشار امراء السلطنة وقروا على انتخابه . وكانت مملكة ايران قد صارت الى قبضة هؤلاء الامراء من بعد ايام هلاكو خان فاراد هذا السلطان ان يعيد سلطة الملوك الى البلاد ويحيي نظامات چنكيز خان مرة اخرى فشرع في هذا الاصلاح الكبير وتهدد كل امير وكل كبير بالقتل اذا هو عارضة في آرائه ولم يرضخ لاوامره . ثم نشر السلطان قانوناً شاملاً ونظاماً عاماً للسلطنة اصلح فيه امور الزراعة وجباية الاموال وسن الشروط الموافقة للمال والقضاة والامراء والتجار والصناع وشاد الابنية العظيمة وبني مراكز لتوزيع البريد على الحكام والامراء وعامة الشعب على نسق مكاتب البوسطة في هذه الايام وقطع دابر اللصوص وقاطعي الطرق ووجد المقابس والموازن في المملكة واصدر من الاوامر والتعليمات ما دل على اقتدار عجيب وذكاء مفرط وهمة عالية وكانت كل هذه النظامات الجديدة مما يوجب تقدم البلاد وراحة الاهالي وزيادة القوة والنفوذ للحكومة وهي موافقة تامة لاحوال البلاد والساكنين فيها

واهم حروب غازان خان كانت في بلاد مصر وهو الذي تظاهر اكثر من سواه بحج الافرنج ومخالفتهم على العرب مع انه كان يدين بدين الاسلام وقضى معظم ايامه يحارب ملوك المسلمين ففقد الحب من صدور المسيحيين والمسلمين معاً . على ان اسلام غازان خان هذا افضى الى اعتناق مائة الف جندي من جنوده دين سلطانهم الجديد فقويت بذلك شوكة الاسلام في بلاده وهو اول من اقبل الاعتراف بسيادة خاقان التتر وعدل عن كتابة

اسم على النقود لانه كان يعتبره كافرًا فأدى ذلك الى هجوم التتر على خراسان ولكن سلطان ايران تمكن بداهه وزيره (نوروز) من ردهم ونجحت عساكره ايضا في بلاد الشام ولكنها مثلت في آخر الامر فآثر به ذلك وادى الى وفاته

وغازان خان هذا هو الذي بنى مدينة شنب غازان على مقربة من تبريز واشتهر بقصر قائمه وكثرة علومه ومعارفه . وخلفه على السلطنة اخوه السلطان محمد خدا بنده (عبد الله) ولم يحدث في ايامه من الحروب غير هجوم التتر على خراسان وردم وقيام اهل كيلان على عامله وعدم تمكن عساكره من كبح جماحهم . وخدا بنده اول من جاهر بميله الى الشيعيين وامر بتخليد اسم الائمة الاثني عشر وهو الذي بنى مدينة السلطانية التي صارت من بعد نشأتها عاصمة مملكة ايران

وخلفه على السلطنة ابنه ابوسعيد وكان صبيا في الثانية عشرة من عمره فتولى الامر في مدة قصوره الامير چوپان وزاد نفوذه زيادة هائلة لاسيما بعد ان تزوج هذا الوزير باخت السلطان . وجاهر تيمور طاش ابن الوزير بالعصيان وكان يومئذ واليا على بلاد الشام فتقدم الوزير لمحاربة ابنه وكان البعض يظنون ان في الامر حيلة فلما التقى العاصي بابيه ورأى ان قوته لا تقاوم بمنزل ما اجتمع لديه من جموع العصاة طلب الصفع من ابيه فصفع عنه واتي به اسيرا الى ابي سعيد فوثق السلطان من امانة وزيره الا انه حدث بينهما بعد ذلك ما كدر صفاء العيش ذلك انه كان تلوزير بنة بارعة الجمال فأحبها السلطان حبا مفرطاً ولم يشأ والدها ان يعطيها اليه لانها كانت مخطوبة للامير حسين وهو من قواد المغول فأصر السلطان على طلبه واضطر الوزير الى المجاهرة بالعصيان

فجأ به وانتصر عليه وقتل الوزير چوپان في الحرب فرأى الامير حسين ان ابا سعيد لا يقاوم وتنازل له عن عروسه فاقترن ابو سعيد بها وكان يكرمها ويحبيب سوؤها كل حياته ولولاها لما قامت لمائلة ابيها من بعده قائمة
 وقام اهل شروان على السلطان بعد هذه الامور فتوجه اليهم بنفسه ومرض ومات في الطريق فأعيدت جثته الى السلطانية على مقربة من غزوين ودُفن فيها مع آبائه واجداده وهو آخر ملوك الدولة المغولية العظيمة التي اسسها هلاكو في بلاد ايران وتقابل مع هذا السلطان الرحالة الشهير ما بن بطوطة بهمدان

وعادت بلاد ايران بعد ابي سعيد الى مثل ما عانتها في آخر كل دولة من الدول فكثرت فيها الاضطراب والانقسام واستولى كل امير على ولايته فجعل يحارب بقية الولايات باهلها حتى ظهر في اعلى الجوزاء نجم الامير تيمور الشهير فخضعت بلاد ايران وغيرها لهيئته وانتهى بذلك حكم الدولة المغولية الاولى



الامير تيمور وخلفاؤه

يذهب فريق كبير من المؤرخين الى ان تيمور من اعظم ملوك الارض من بعد يوليوس قيصر والاسكندر ولم على ذلك الادلة والاسانيد فلم يقم في الشرق اشهر من هذا الفاتح العظيم والقائد الغريب والملك القدير واصله من التتر مثل چنكيز خان كان شيخ قبيلة قوية فلما استولت الفوضى على البلاد من بعد وفاة چنكيز خان وابنه تقدم امير كشغر وبدخشان على ما وراء النهر وهي البلاد التي كان تيمور شيخاً فيها ففرّ عم تيمور من وجهه وهو يومئذ كبير القبيلة ولكن تيمور التجأ الى الفاتح واظهر له الود والاخلاص ونجح في هذه الحيلة لان امير كشغر عينه والياً من قبله على بلاده الاصلية فعد تيمور في مصاف الحكام الكبار من ذلك اليوم وبدأ نجمه في الصعود حتى بلغ به الاوج مع كثرة مالاته من المصائب والمتاعب. وغرب في امر تيمور انه كان لا يجشي الاهوال ولا يحسب للمتاعب حساباً وكلما اكثر الضيق عليه اكثر حزمه وقد روى عن نفسه في الكتاب الذي ألفه عن تاريخ حياته انه لما كان فارساً من الاصداء يوماً وقد اختبأ في بعض الكهوف رأى نملة صغيرة تحاول جهدها في رفع ثقل أكبر منها الى اعلى نملة فجعل يتأملها والحمل يتدحرج وتعود النملة اليه وهي لا تكمل ولا تمل حتى سقطت تسعة وستين مرة وهي لا تشي عن عزمها وفازت بايصال الحمل الى المحل المطلوب في المرة السبعين فتعلم تيمور الثبات منها وهو اشهر من اشتهر بهذه الصفة التي تلزم لكل عظيم وتحالف الامير تيمور مع الامير حسين حاكم ما وراء النهر وهو الذي مرّ

ذكرة في تاريخ السلطان ابي سعيد ققوي بهذا التحالف واتحدمع صديقه على الدفاع عن الوطن ورد كل هجم عن البلادين وتزوج اخت الامير حسين فلما قوي الامير تيمور وكثرت مطامعه كثر النفر بينه وبين حليفه ثم ماتت اخت الامير حسين فانقضت بذلك اسباب الوداد بين الاثنين فهدم الاثنان الى المحاربة وانتصر الامير حسين في اول الامر فظن الاكثرون ان تيمورا فشل وخذل وكانت مدينة (قرشي) الحصينة قد وقعت في قبضة اعداء تيمور وهي من املاكه فأظهر لقواده واعوانه عزمه على استرجاع المدينة مها كلفه الامر وواقفه على ذلك فانتخب ٢٤٣ بطلا من صناديد الرجال وتقدم بهم الى المدينة المذكورة بقصد ارجاعها بقوة الخيلة . ولما صار على مقربة منها علم انها من امنع مدن ذلك الزمان وان فيها الجنود العديدة وعلى مقربة منها ١٢ الف جندي من عساكر خصمه فلم تخفئه كثرة العساكر والمعدات وسار في الليل مع اثنين آخرين من رجاله الى وسط المدينة فتفقد مواقعها ورأى كل ما فيها وعابن محلا في سورها يمكن الصعود منه اليها ثم قفل راجعا واوصى ابطاله بعمل الجبال والسلام ففعلوا ذلك ثم تقدموا ليلا على المدينة والحرس لا يحسبون للشر حسابا فوضعوا السلام في المحل الذي عاينه تيمور وصعد منهم مائة الى داخل الحصون فقتلوا الحراس النائمين وفتحوا الابواب لتيمور وبقي ابطاله وهم لا يزيدون عن مائتين واربعين شخصا وعند ذلك امرهم تيمور ان يكثروا من الجلبة والغوغاء والصياح ما أمكن وان يتظاهروا بكثرة القوات والعدد فأفاق الجنود واهل المدينة فوجدوا القلعة في يدا اعدائهم وسمعوا لهم صياحا ودويا كبيرا فنظنوا ان الاعداء في عدد الرمال وفرّوا من المدينة خوفا على انفسهم فلم يعارضهم في الفرار حتى يومهم الجنود الواقعة على مقربة من المدينة بعظم قوته وتم له الامر على ما يريد .

ولكن اهل المدينة وقواد جيش الامير حسين عرفوا بعد ذلك بالامر على جليته فأخجنتهم قلة الذين فعلوا تلك الفعالم وعقدوا النية على استرجاع الحصن والمدينة فخاربوا تيمور ومن معه زمناً طويلاً ولم يفلحوا ثم رأى الاميران ان اطالة مدة الحرب بينهما تعرض البلاد للخطر فكفا عنها بمد اعطاء قرشي المذكورة الى الامير تيمور فتمكن بذلك من تحويل همه الى فتح البلدان الاخرى . ولكن المنافسة عادت بين الامير فخاربا وانتصر تيمور على خصمه وامر بقتله فاستراح من منافسته وظل هذا الفتح العظيم بعد ذلك ١١ سنة ينظم بلاده وقد جعل مدينة سمرقند عاصمتها وضم اليها خوارزم وكشغر ثم عزم على اخضاع خراسان فسلم اليه صاحبها بلا حرب ولا قتال وضرب تيمور عليها الاتاوة الفاحشة فأوقع اهلها كلهم في الفقر المدقع ثم خضعت قندهار وكابل لصولته فصارت اواسط اسيا كلها من املاكه . وفي السنة التالية ضم مازندران وسبستان وهي من الامارات القديمة التابعة لسلطنة ايران فعمد قدر هذا الرجل الكبير ونوى من ذلك اليوم ان يجعل السلطنة الايرانية كلها من املاكه .

ولم يلق تيمور عناء في اخضاع بلاد ايران لان حكامها من الولاة وسلالة هلاكو كانوا في تلك الايام قد اكثروا رذائلهم فخضعت البلاد لهذا الفتح العظيم من اقصاها الى اقصاها في اقل من سنة ما خلا مدينة اصفهان فانها قاومت زمناً ولما جاءها تيمور بنفسه خضعت له في الحال فعنى عن رجالها واكنه فرض عليهم غرامة رابية ينوب بها امثالهم فكثرت مصائبهم وفرغت من المال خزائهم وحدث ان حداذاً كان يضرب على طبل في احدى الليالي بقصد الطرب فظن الناس ان في الامر شرّاً وتألبت جماهيرهم في ساحات المدينة

وقام من بينهم اناس يشكون من ظلم القتر ويخرضون على مقاتلتهم فوافقهم
الاهالي وقاموا على عساكر تيمور وقتلوا ثلاثة آلاف رجل منهم في تلك الليلة ولما
جاء الصباح وعلم عقلاء القوم بغلظتهم لم يبقَ عندهم ريب في ان تيمور سينتقم من
مدينتهم انتقاماً هائلاً وتهدموا اليه يطلبون الصفح ويقدمون الخضوع لكل
اشارة يبدئها فأمر بردهم الى مدينتهم واحاطتها بالجنود وابلغهم انه عزم على قتل
كل من في اصفهان بلا استثناء فعظم الامر عندهم والحوا في الترجي والترضي
ولم يقد هذا غير اصرار الامير تيمور على عناده وعند ذلك عزم اهل
اصفهان على الدفاع وقد قطعوا املهم من الحياة فلم تكن شجاعتهم فتيلاً واعمل
العساكر القتل فيهم بعد ان فرض تيمور على كل واحد من رجاله رؤوساً
معلومة ولم يشفق على العاجزين والابرياء فقتلوا اهل اصفهان عن بكرة ابيهم
وجمعوا الرؤوس امام تيمور فزادت عن سبعين الف رأس ولم يرو ان مدينة
ذاقت الذي ذاقته اصفهان في تلك السنة وقتل اهلبا عن آخرهم مثل هؤلاء
المساكين . ومما يضحك التلكي ان المؤرخين يعظمون قدر هذا السلطان وينسبون
اليه كل فضيلة ويمدّدون عن شفقتهم ورأفتهم مع كل ماروي عنه من الأهوال
والفظائع . وبعد ذلك تقدم على بقية اجزاء السلطنة الايرانية فأخضعها واشتهر
ايما سار بالبأس والقوة والبطش الشديد وجمع كل ما في البلاد من المال
وفي السنة التالية قصد مدينة بغداد وضربها الى املاكه مع كل ما يليها من
البلدان الطيبة ثم ارسل عساكره الى بلاد التتر فاحضعت جانباً كبيراً منها
ووصلت الى حدود السور العظيم في بلاد الصين وتقدم القسم الآخر الى
الشمال فملك جزءاً كبيراً من روسيا وسيبيريا حتى ان مدينة (مسكو) وقعت في
قبضته وذاقت منه المر . وقد اشتهر بحصار (تكرت) وتمكنه من هدم حصونها

المائلة وهو الذي ملك مصر والشام وبلاد العراق وكل ما يليها وامر بحرق دمشق الشام فحُرث وخربت بعد ما قتل اهلها وندب امراءها واسر منها من أسر مثل غيرها من المدن التي هاجها هذا القائد الشهير . وملك ايضاً بلاد الجركس والاناطول والعرب وكل ما كان للسلطان محمود الغزنوي من قبله وزاد عليه الشيء الكثير في نواحي التتروفي جنوبي اوربا مما لم يزل فيه الآثار الكثيرة من ايامه

ولما اتسع نطاق المملكة وعظمت لشوكة الامير تيمور صاحب قران - وكان يعرف بهذا الاسم كل حياته - طمحت نفسه الى امتلاك جوهرة الممالك وسيدة البلدان اي بلاد الهند فشاور قواده واعوانه ولم يوافقوه على رأيه بدعوى ان عساكرهم تعتمد الخمول والتواني في بلاد حارة مثل الهند ولكن هذا الامير العظيم اقنعم بلزوم التقدم عليها فاطاعوه وقصد باربعائة الف بطل تلك الممالك الزاهية ولو شئنا تفصيل حركاته ووقائعهم في الهند لاقتضى ذلك كتابة المجلدات ولكننا نكتفي بالقول انه كان يفتح البلاد بعد البلاد والارض تلتى مقاليدها اليه حتى ملك معظم انحاء الهند ونال منها الغنائم الوفيرة . وكان معه في اواخر غزواته مائة الف اسير من الهنود فلما قدم على دهلي يريد محاصرتها وامتلاكها رأى ان الاسرى يغلبون ايدي عساكره ويتعبونهم فاصر باعدادهم كلهم في الحال واطاع رجاله الاصر فقتلوا مائة الف اسير في ذلك اليوم ولم ينبج واحد منهم لان تيمور اعلن ان الذي يمكن اسيراً من الفرار يقتل هو وآله وليس في التاريخ كلة حكاية مجزرة وقسوة تحكي هذه الحكاية المائلة

وبعد امتلاك الهند عاد الامير تيمور الى سمرقند عاصمتها ذلكم ريسرف

همه الى التنظيم والتحسين مدة ولكن هذه المدة لم تدم لان الرجل كان لا يطيق السكون والحمول فحول نظره الى العثمانيين وكانوا قد امتلكوا الاناطول واسسوا الدولة الحالية فخاربههم وانتصر عليهم في عدة مواقع آخرها موقعة (انقرا) وهي التي اسر فيها السلطان بايزيد وظل اسيراً في قبضة تيمور الى ان قضى عليه في القفص ووقعت البلاد في قبضة تيمور وكل مدينة قاومته رأت الخراب الاكبر مثل اصفهان وقد أصيبت مدينة ازمير بمثل هذا البلاء لانها لم تطع الفاتح في الحال فدمرها تيمور عن آخرها بعد حصار ١٥ يوماً وهي التي قويت ٧ سنوات على حصار الاتراك في ايام السلطان بايزيد

وبعد هذه الفتوحات تأمل الامير تيمور في بلدان الارض فرأى ان جعلها خضع لهيئته ما خلا بلاد الصين فشاور اعوانه في اخضاع الصين والتتر الصينية وهي التي كان يحكمها خلفاء چنكيز خان ووافقوه على رأيه فجمع جيشاً جراراً وسار لمحاربة تلك البلاد الضعفة في الحادية والسبعين من عمره ولكنه مرض في الطريق ومات بعد ان اوصى بالملك من بعده الى خفيده پير محمد جهانكير

وكان تيمور من اشهر قواد الارض ومن اعظم الرجال في علو همته وصبره على الشدائد ويعرف باسم تيمور لنگ اي الاعرج ولم يقم في الارض فاتح اعظم منه ولا عرف عن رجل الثبات على القتال مدة اثنين وخمسين سنة مثله بلا انقطاع . وكان تيمور مسلماً شيعياً يعضد الاسلام خلافاً لچنكيز خان واشتهر بجروبه اكثر من كل امير وسلطان ولو انصف المؤرخون لجعلوا شهرته الاولى في القسوة التي جاوزت حدود الطبع فلم يفعل فاتح باعدائه مثلاً فعل تيمور في اصفهان ودهلي ودمشق وازمير وانقره وغيرها ولم يقر قبله ولا بعده واحد اوقع

الوعب في القلوب مثله الأچنكيز خان

وكان پير محمد الذي اورثه تيمور الملك من بعده في قندهار يوم وفاة هذا الرجل العظيم فانتزخ خليل ميرزا فرصة بعده واغرى القواد على مبايعة الملك ونجح في ذلك لان خصمه مات بدسياسة احدوزرائه . وكان السلطان خليل هذا وهو ابن تيمور من اصحاب اللين والركة ولولا انه آتى خطأ كبيراً لكان حكمه سعيداً ولكنه عاق بجنب فتاة فتاة وصرف همه الى رضاها وحظها فانفق عليها جل ما جمعه تيمور من المال ونفيس التحف واوجب هذا قيام الامراء عليه فعزلوه وولوا مكانه السلطان شاه رخ وكان حليماً عادلاً سجين خليلاً في اول الامر ثم صفح عنه وجهله والياً على خراسان وارجع اليه حبيبتة التي نقيت من الاهانة والعذاب مدة سجنه ما لا يوصف . ومات خليل في خراسان بعد عوده الى الامارة بزمان قصير

وتمثل ابن تيمور بابن چنكيز فلم يطعم في الفتح والغزوسيا وان أباه ترك نصف الدنيا ملكاً له وما حارب الا بعض قبائل التركان التي هاجمت بلاده ثم جعل همه الاصلاح ونقير الامن واستيفاء اسباب الرفاهية لبلاده وحكم ٣٨ سنة على هذا المنوال ومات في الحادية والسبعين من عمره خلفه ابن الفخ بك العالم الرياضي الشهير واليه ينسب الزيج الفخ بكي للآن ولكن الدهر خانة حال صعوده على عرش السلطنة اذ قام عليه ابنه عبد اللطيف وقتله وجلس مكانه على ان الدهر انتقم من هذا الابن الغادر واماته عقيب استلامه ازمة الملك

ولم يقم بعد تيمور وابنه رجل يذكر فعادت الاحوال الى ما كانت عليه بعد وفاة چنكيز وهلاكوا واشهر من ولي الامر من آل تيمور بعد ذلك ابوسعيد

ابن حفيد الفاتح العظيم وكان لابي سعيد هذا احدى عشر ولداً اشهرهم بابر الشهير الذي رحل الى الهند فراراً من الاعداء وفاز بتأليف سلطنة هندية عظيمة لم يزل نسله يحكمها بالاسم الى هذا اليوم . وكثرت بعد ابي سعيد الثورات والقتال في بلاد ايران فانتهت دولة تيمور وآله في مدة ابي سعيد كما انتهت مدة الدولة المغولية الاولى او دولة چنكيز وآله في مدة سلطان آخر اسمه ابو سعيد وظلت مدة في ايدي الولاة لا تستقر على حال من القلق حتى صارت الى قبضة الدولة الصفوية وهي التي يجيء ذكرها في الفصل القادم

الدولة الصفوية

لم يبق في بلاد ايران دولة أشرف من هذه الدولة اصلاً ولا أطيب فرعاً ولا أكرم مبدأً فقد كانت العائلة الصفوية من عهد مؤسسها الشيخ صفي الدين عائلة علماء اعلام وائمة كرام واصحاب تقوى يوقرهم الانام وقبورهم تزار الآن مثل قبور الاولياء الكرام وكان لهذا الشيخ الفاضل اعوان يصدعون بأمره وهو لا يأمر بغير الطيب والاحسان وخلفه ابنه صدر الدين وعقبه من الاولياء مشاهير مثل خواجه علي وچنيد وچيدر من اشتهروا بالفضل والعلم والتقوى . وكان صدر الدين في ايام تيمور وقد اخذ له مقراً في مدينة اردبيل من اعمال اذربايجان مثل ابيه فزاره يوماً هذا البطل العظيم وسأله ان مر بما تريد أقضه في اقبال قال أريد منك ان تطلق سبيل الاسرى الذين أتيت بهم من بلاد الاتراك ففعل تيمور بأشارته وحفظ الاتراك هذا الجميل لصدر الدين

وعائلته وكانوا بعدئذ هم السبب في توليتها الملك كما سيجيء وليس في التاريخ ذكر امر يدل على الاقرار بالجميل بعد مرور الاجيال مثل هذا الامر واشهر ما يذكر عن خواجه علي انه حج الى القدس الشريف ومات فيه وخلفه حفيده جنيد فاجتمع لديه خلق كثير حتى خاف الاتراك شره وحارب احد رؤسائهم فاضطره الى الفرار الى ديار بكر حيث قابله حاكمها الامير حسن بالاكرايم وزوجه اخته . وقصد جنيد بعد ذلك بلاد شيروان فخاربه حاكمها وقتله خلفه السلطان حيدر وكان امير اوزون حسن حليفه فتقوى بنصرته على الاعداء وصار بالتدريج حاكماً على كل بلاد ايران في مدة السلطان ابي سعيد الذي مر ذكره ومات فدفن في اردبيل خلفه ابنه السلطان علي ولكن القلاقل كثرت في ايامه وظلت عائلة صفي الدين في خطر دائم يوماً تصعد الى الارجس ويوماً تنحط الى الخفوض حتى قام السلطان اسماعيل ابن السلطان علي وملك البلاد وهو في اعتبار المؤرخين اول ملوك الدولة الصفوية

ولا يعرف عن شاه اسماعيل في ايام صغره غير القليل . الا انه استلم قيادة الاعوان في الرابعة عشرة من عمره فخارب عدو عائلته حاكم شيروان وقتله ثم هجم عليه الاتراك والتركمان من ناحية الاناطول ففرق شملهم وانتصر على كل اعدائه فنودي به سلطاناً على مملكة ايران وما يتبعها وهو في الخامسة عشرة من عمره . وكان اسماعيل صوفياً مثل افراد عائلته وليس له اعداء واعوانه كثر فرأى بعد الامعان ان يدخل مذهب الشيعة الاثنا عشرة الجعفرية الى ايران ويجعلها مذهب السلطنة ففعل ذلك وفاز بمراده ولم يلق معارضة تذكر لان الايرانيين عدوا هذا الانفصال عن بقية المسلمين استقلالاً

لم وفضلوا مذهب القائلين بمكرّم الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
ومن ذلك اليوم صارت بلاد ايران مقر الشيعة بين المسلمين

وعصت خراسان وبلغ وغيرها من الولايات امر السلطان اسماعيل
في بدء حكمه على عاداتها فخارها كلها واتصر عليها وامتد نفوذ هذا السلطان
امتداداً عظيماً حتى رزق عدواً كبيراً لم يقدر عليه هو السلطان سليم العثماني
الشهير قصد بلاد ايران بخيله ورجله البالغ عددها مئة وخمسين الفا ومائتي
مدفع وذلك بغتة دون مخابرات دولية معمولة لدى الحكومات وقام اسماعيل
لمحاربه بكل ما لديه من القوة وهو يومئذ يهدان يطلب الصيد والقنص ودافع
عن بلاده في چالدران بخمسة عشر الف نفس باذربايجان فتقهتر امامه وكسر
شركسة مع انه اظهر في الحرب بسالة غريبة وكان الاتراك يجاربون
بالمدافع والايرونيون بالسلاح القديم غير ان اتصارات الاتراك لم يؤثر في ايران
لانهم اضطروا الى الرجوع في الشتاء لشدة البرد وقلة الزاد ولكن اسماعيل
ظل حزيناً من بعد تلك الكسرة الى آخر ايامه ويروى انه لم يضحك من بعد
ذلك اليوم ولم يترك لبس السواد ايضاً. ولما مات السلطان سليم تقدم اسماعيل
على بلاد الاتراك لتلاخذه بالنار فأخضع بلاد الجركس وهي يومئذ تابعة
للترك وعاد عنها فخرج على اردبيل ليزور قبور اجداده ففقد نجبته هناك
ودفن فيها مأسوفاً عليه

وملك تهماسب بعد ابيه اسماعيل على ايران وهو في العاشرة من عمره
فانتهزت بلاد خراسان هذه الفرصة للعصيان على عاداتها واخضعها بغير عناء
كثير ثم وقعت المنازعات بين فئات الاتراك اللذين ساعدوا هذه الدولة على
الملك وكثر الخصام بين طائفتين منهم فلانحاز تهماسب الى احدهما ونجحت

الآخري فطلبت القبض عليه وعند ذلك هاج الدم في عروقه واستغاث بروية جنوده واعوانه الايرانيين فأغاثوه وتقدموا معه لمحاربة هؤلاء الاتراك فنكروا بهم واذاقوهم البلاء الاكبر واتصروا عليهم انتصاراً تاماً . وتقدم السلطان سليمان التركي على بلاد ايران لملك اذربايجان والعراق وبغداد وغيرها من الاراضي الغربية التي كانت لايران وعاد في آخر الامر الى الاستانة ظافراً منصوراً من بعد ما فك باهالي البلاد فتكاً ذريعاً يحاكي تعدي قيور وچنكيز فلما علم تهاسب برجوعه جمع جيشاً كبيراً وتقدم به على بلاد الاتراك وملك ارمينيا وما يجاورها ولكنه اضطر أيضاً الى الرجوع لما بلغه ان القلاقل كثرت في بلاده بسبب قيام قبائل ازبك من التتر على حكومته في الشرق بايعاز من السلطان العثماني وعصيان اخيه القاص ميرزا وهو الذي التجأ الى السلطان سليمان التركي واتفق معه على اقتسام ايران وكان لهذا الامير اعوان كثيرين في ايران نخشي تهاسب العاقبة سيما بعد ان فتح جيش الاتراك تبريز وتقدم على السلطانية ولكن التقادير سلمت ايران بخصام القاص والسلطان العثماني وفرار الاول ورجوع الثاني من بعد ان فقد معونة اعوان الامير الايراني وفر القاص الى ديار بكر فقبض عليه حاكمها وسلمه الى اخيه فأمر باعدامه وقضى تهاسب كل ايامه في محاربة الاتراك من ناحية والتتر من ناحية اخرى وجعل مدينة قزوين عاصمة ملكه ومات في الرابعة والستين من عمره بعد ان حكم نحو ٥٣ سنة وكان فظناً حكيماً شديد الميل الى الاسلام على الطريقة الشيعية وهو اول من زاره سفراء الافرنج من ملوك ايران في ايام الدول الاسلامية جاءه انكليزي اسمه جنكسن من قبل الملكة اليصابات ملكة انكلترا يومئذ فسأله حال وقوع نظره عليه بعد

ان ظلّ يستأذن بالمشول لديه ستة اشهر هل انت مسلم او كافر قال اني لست مسلماً ولا كافراً بل انا نصراني قال ليس بي من حاجة الي مغابرة الذين على غير ديني فرُح في سبيلك وخرج الرجل وقد تبعه ايراني يرش الرمل من ورائه في القصر حتى يعرف محل وقع اقدامه وينظف الدار بعد خروجه

وكان لتهاسب اولاد كثيرون ابعد اكثرهم عنه مدة حياته او عينهم في الولايات القاصية ما خلا حيدر ميرزا وهو ابنه الثالث ابقاءه عنده واطهر له الميل الكثير فاستولى هذا الامير على خزائن ابيه وعرشه ولكنه لم يحسن التدبير فضاع منه الملك بعد حين بدسياسة امرأة ظنّ فيها الامانة فعملت على قتله وهي اخت امير قبيلة جركس وكان اخوها ميالا الى اسماعيل ميرزا رابع ابناء تهاسب فاستولى اسماعيل على الملك بمساعدته من بعد اخيه ولم تطل ايام حكمه التي قضاهما في اتباع الشهوات حتى قام اهل خراسان ونادوا بمحمد ميرزا سلطاناً عليهم وكان هو اكبر اولاد تهاسب وبه ضعف في النظر اوجب اهماله وتعيينه والياً على خراسان عدّ بثبابة النفي فأرسل اسماعيل امرأاً يقتل محمد ميرزا واولاده وفي جملةهم عباس ميرزا وهو اصغر اولاد محمد وكان بالاسم حاكم خراسان فنجوا بطريقة غريبة ذلك ان الجلاّد لم يشأ اعدامهم في شهر رمضان وقبل ان ينصرم الشهر جاءت الاخبار بوفاة السلطان فنجما محمد ميرزا ونجما معه الطفل عباس وهو الذي صاّر بعدئذ أشهر ملوك هذه السولة كما سيجيء

وكان السلطان محمد ضعيف الرأي قليل الادراك يعلم ذلك من نفسه ففوض الامر اثنى ورير ع قل اسمه سليمان ورأى منه كل ما يجحد في اول الامر ولكن هذا الوزير شدد الوطأة على بعض القبائل التي ثارت على السلطان ودخل رؤساؤها على ميرزا محمد فقالوا له انهم يريدون تسليم الوزير

او يخرّبون السلطنة بخاف السلطان شرم وسلمهم وزيره فقتلوه ثم شق اهل
خراسان الطاعة ونادوا بالامير عباس سلطاناً عليهم فقصدهم السلطان وحاربهم
على غير جدوى. وانتهاز الاتراك هذه الفرصة فهاجموا البلاد تحت قيادة البطل
الشهير عثمان باشا وملكوا اذربايجان وما يليها بعد مقاتلات عنيفة فعاد السلطان
محمد عن خراسان وبدأ بمناوشتهم ولحسن حظهم مات عثمان باشا فارتد
الاتراك بعد ان نالوا الغنائم من البلدان التي ملكوها وكان حمزه ميرزا ابن
السلطان محمد اميراً باسلاً اقتنى اثر الاتراك وفعل الامور الكثيرة في بلادهم
فلم يعد يمكن لهم العود الى مهاجمة ايران وحفظ مقام ابيه زمناً طويلاً فاجله
الغادرون بايعاز من السلطان العثماني بطعنة من يد قاتل في وسط غرفه
قضت عليه واسقطت مقام ابيه في الحال فتقدم ابنه عباس من خراسان
على قزوین وما يجاورها وملكها وكان عباس في سن الصبا وهو يومئذ آله في
يد رؤساء القبائل الذين جعلوا تعزيده واسطة لاعلاء كلمتهم ومنفعة انفسهم.
وقتل السلطان محمد في اثناء الاضطراب فنودي بهاس شاه سلطاناً على
ايران يوم كانت مشاكها أكثر من ان تعد واضطرب الي عقد الصلح مع
الاتراك حتى يتفرغ لمحاربة التتر ونقرير سلطته في البلاد فبعد ان أخضع قبائل
ازبك التي كانت تشن الغارة على خراسان حيناً بعد حين وجه همه الى
اسقاط كلمة الذين رفعوه الى العرش وحدث ان الخلاف كثير بين اولئك
الرؤساء وقاموا على بعضهم البعض فقتل بعضهم في الحرب وامر عباس بقتل
الباقين منهم فصار هو الحاكم المطلق في البلاد من بعدهم
وبعد ان فرغ عباس من اخضاع الثائرين في بلاده اظهر الانفة للاتراك
فبدأت جيوشهم تجميع على حدود ايران واسرع هو الى ملاقاتهم بخمسين

الف مقاتل وكان عدد الاتراك يومئذ مائة الف ولكن النصر تم لعباس شاه
 بحسن تدبيره وارتداد الاتراك بالخسارة عن ارضه . وحدث في خلال حروبه
 مع الاتراك انه كان يتجسس ويتنصت للاخبار مع نفر من اعوانه فراّم ضباط
 من الاتراك ودعواهم الى مناولة الطعام وهم لا يعرفون ضيوفهم فقبل شاه عباس
 الدعوة واكل في معسكر الاتراك وهو يظهر الطرب والسرور ثم دعا اولئك
 الضباط من اعدائه الى زيارة معسكر الايرانيين ومناولة الطعام عندهم فقال
 الاتراك انهم يتمنون ذلك من صميم الفؤاد حتى يقع نظرهم على عباس شاه
 الذي نال كل تلك الشهرة وهو شاب في اول العمر وجاء القوم الى معسكر
 الايرانيين فلحظ الاتراك حينئذ من اكرام اعدائهم لمضيفهم الشاب انه هو
 عباس بعينه وسره انهم علموا ذلك ثم اكثر من اكرامهم واولم لهم الولايم وردم
 الى اخوانهم فعظمت مهابته في قلوبهم وقلوب بقية الاتراك وظلوا كل مدة
 حياته يجلون مقامه ويعتبرونه اعظم ملوك زمانه

وعادت قبائل التتر الى مهاجمة خراسان فارس شاه عباس عليها جيشا ردها
 وادبها تأديبا . وحدث في اثناء القتال ان المنجمين رأوا ما زين لهم ان السلطان
 سيقع في خطر عظيم فاعتزل شاه عباس الملك في الحال وانقطع في قصره الى
 التأمل حتى يقال انه مثل بقية الناس ولا يصيبه ضرر . وجاء اعوانه برجل
 من الفقراء اسمه يوسفي نصبوه سلطانا واعطوه السلطة المطلقة مدة ثلاثة ايام
 فأمر ونهى ولم يعص احد الناس له في خلال الايام الثلاثة امرا حتى اذا
 انقضت قاموا عليه وقتلوه شر قتلة وأعيد عباس الى منصبه الخطير وقد
 اطمانت النفوس وحكم المنجمون ان قد زال الخطر . فلما هدا روع الناس
 بدأ عباس يفتكر في نهاوند وتبريز وتفليس وغيرها من المدائن الايرانية التي

اختلسها الاتراك وعزم على استرجاعها فجمع العساكر ورأى في الحال انه
ينقصهم التدريب والنظام لانه رأى ان عساكر الاتراك كانت أنظم من عساكره
وجاء ايران لحسن حفظه في ذلك العام اثنان من اكابر الانكليز (هما السر
انتوني شرلي واخوه السر روبرت شرلي) وكان اكبر الاخين قد جاء المشرق
ليساعد احد الامراء في حربه مع عساكر البابا فوصل محله بعد انقضاء الامر
ولم يشاء الرجوع الى بلاده بدون ان يترك له ذكراً . وعرج على ايران مع
رفقائه وهم خمسون فارساً من اصحاب البسالة واليسار فأمر عباس باستقبالهم
وأكرامهم وقربهم منه واجزل لهم المطايا واستشار السر انتوني كبيرهم في امر
الحرب مع الاتراك فأشار عليه بتعليم جنوده مبادئ العلوم العسكرية وبمخالفة
دول اوربا على الاتراك فرضي شاه عباس بقوله واثدبه سفيراً لينوب عنه امام
حكومات اوربا في عقد الصلح واعطاه فرماناً بذلك يدل على ثقته التامة بهذا
الشريف الانكليزي . وظل السر روبرت شرلي في قزوين يدرّب عساكر
عباس شاه ويعلمهم ما يلزمهم لائقان فن الحرب فكان ذلك سبباً في انتصارهم
على الاتراك

وسافر السر انتوني شرلي بهيمته فنجح فيها ووجد معظم دول اوربا ميالة
الى مخالفة ايران على الاتراك . ثم ان عباس شاه تساهل تساهلاً لم يسبق له
نظير مع الافرنج والمسيحيين اجمالاً واصدر منشوراً الى رعاياه يقول لهم فيه
ان النصرارى اصدقاءه وحلفاء بلاده وانه يأمرهم باحترامهم وأكرامهم أين
حلوا . وفتح مين بلاده لتجار الافرنج واوصى ألا تؤخذ الرسوم على بضعتهم
وألا يتعرض لهم احد الحكام او الاهالي بسوء وهو اول من فعل مثل هذا
من سلاطين المسلمين في بلاد ايران

ولما تمت هذه الامور واستعد الجيش الايراني للملاقاة الاترك زحف عباس شاه بـعساكره على نهاوند فدك حصونها دكاً واخذها من الاترك وعد ذلك من اعظم اعماله . ثم تقدم على تبريز وتفليس وغيرها من الانحاء الشمالية فخارب الاترك فيها مع ان عساكرهم كانت تقدر بضعفي عدد عساكره وكسرم شركسة وملك تلك البلاد منهم ووقع الرعب في قلوبهم . وظل عباس شاه من بعد تلك المواقع يرد شيئاً بعد شيء مما اخذه الاترك من مملكة ايران القديمة حتى استرجع كل بلاد اذربايجان وشطوط بحر قزوين وبلاد الجراكسة وبنغداد والموصل وديار بكر وكردستان وكل ما يليها

وجعل عباس شاه اصفهان قاعدة ملكه وقرراً لامن في البلاد ونظم احوالها واحسن التدبير في كل امورها من بعد نصراته المتواليه على التتر والاتراك حتى خبط البلاد في ايامه خطوة واسعة في سبيل العظمة والتقدم سيما بعد ان كثرت متاجر الافرنج في ايران وكثرت رد التجار والسائحين منهم على بلاده . وكانت علاقته طيبة مع كل الدول الاوربية ومع سلطات الهند ايضا ولم يحارب احدى الدول الافرنجية الا مرة ذلك ان الهولانديين انشأوا مستعمرة زاهية زاهرة في جزيرة كمبرون في خليج العجم وكان عباس شاه يسمع بها وبكثرة موارد اليسار فيها فلم يرق له ان تكون لسولة غريبة وهي في مياه بلاده ولكن جزيرة (ارموس) التي عمرها البورتغاليون وجملوها مقر تجارتهم في الشرق فاقتها في النمو وكثرة العامل فوجه عباس شاه همه الى امتلاكها واتفق مع حكومة الهند الانكليزية وهي يومئذ في بد شركة تجارية على اخراج البورتغاليين منها واعطاهم امتيازات تجارية واعانة مالية عاماً بعد عام وتم له الامر على ما يريد فان الشركة الانكليزية جاءت له بسفن اوصلت

عساكره الى الجزيرة فدمروها تدميراً وخرّبوا معاملها واخرجوا البورتغاليين منها وملكها عباس ولكن اهل ايران لم يحسنوا ادارة ما فيها من المعامل فخربت واقفرت الجزيرة ولم يستفد السلطان ولا الانكليز من هذا العمل. وكثر التواد بين الانكليز وحكومة ايران في ايام الشاه عباس حتى ان انكلترا ارسلت سفيراً الى ايران لقي من سلطانها كل حفاوة واکرام. وشاد عباس شاه الصروح الفخيمة وزين المدائن وامر بالعدل وترك ما يخلد له الذكر من الآثار العظيمة في البلاد منها آثاره في اصفهان التي ليس لها مثيل في بلاد الشرق وهو من اعظم سلاطين المشرق واشهر ملوك ايران لم يقم فيها واحد اهتم اهتمامه باصلاح شؤونها ولم شعثها واقامة الآثار فيها حتى ان الاهالي يطلقون عليه اسم عباس شاه الكبير ويظنون الآن ان كل ما في ايران من الآثار القديمة بني في ايامه

غير ان شاه عباس اشهر بالقسوة الهائلة ايضاً اشتهاره بالحكمة والبسالة وحب التقدم لبلاده فقد كان يشدد الوطأة على الولاة والامراء الذين تبدو منهم هفوة توجب العقاب ولكنه اشهر ايضاً بملاينته لقوم من الارمن رحلوا الى بلاده وكانوا اصحاب المتاجر والصنائع فيها فاظهر بذلك اقتداره العجيب وبعد نظره لان هؤلاء القوم كانوا واسطة جلب الثروة الى بلاده. وهو الذي بنى لم مدينة في ضواحي اصفهان عاصمة ملكه المسماة بجلفا وانعم عليهم بكل التفات كبير. واشتهر اكثر من ذلك بحسن معاملته للمسيحيين من كافة الاجناس فقد كان السر روبرت شرلي الذي مر ذكره من اعظم المقربين اليه حتى صار بيته ملاذ الغرباء من سائر الاقطار. وانعم عليه عباس شاه بفتاة چركسية رزق منها اولاداً وكان عباس شاه عراب اولم وليس في التاريخ دليل اكبر من هذا

على التساهل في حرية الاديان . واشتهر عباس شاه ايضاً بفتنة من الجنود انشأها ونظمها على نسق جديد لتكون على شاكلة الانكشارية عند الاتراك وقرب هذه الجنود فلاشى بذلك سطوة الجنود القديمة التي تعاضل شرها وكثر ضررها

ولكن اشهر ما يقال عن عباس شاه الكبير غير ايهاله السلطنة الى اعلى درجات العز هو انه كان من اقصى اهل الارض على اولاده واهل بيته . وقد كان لهذا السلطان العظيم اربعة اولاد هم قره العين وكان ولعاً بهم مغرمًا بهلاعبتهم الى ان شبوا وصار يرى الناس يعظمونهم حسب عادتهم في تكريم الامراء فداخلته الشكوك وبدأ يخاف من اولاده وسيء معاملتهم ثم مات في مدينة فرح آباد في السنة السبعين من عمره بعد ان حكم السلطنة ٤٣ سنة وكان من يوم ولايته حاكمًا على خراسان وهو من اعظم ملوك ايران واشهرهم واعدلهم واستلم شاه صفي الثاني زمام الملك من بعد عباس الكبير وهو حفيد هذا السلطان العظيم وملك ١٤ سنة وكان ظالمًا هاتياً سفاكًا للدماء لاه له غير الاشتغال بقتل الابرياء حتى لم يبق لكبير او امير في كل بلاد ايران امان على نفسه في مدة هذا الظالم وقتل من اعضاء العائلة المالكة ما بين نساء ورجال حوالي ثلثين شخصًا بلا ذنب يعرف غير خوف هذا الظالم منهم . وانتهز الاعداء فرصة موت عباس فعاد قبائل التتر الى الهجوم على خراسان ونهب اموالها ولكن جيوش هذا السلطان ردتهم خاسرين . ونقدم السلطان مراد الشماني على آذربايجان بجيش عظيم وملك تبريز ونواحيها . وقامت بلاد كيلان على شاه صفي فنجح في ردها الى الطاعة واظهر في الحرب شيئًا من البسالة ولكن الامر الذي اشتهر فيه شاه صفي هو الفتك بامراء بلاده وقوادها وقتل الرجل بلا موجب

حتى ان بعض المؤرخين يذهبون الى انه كان يفعل ذلك عن سياسة اخذها عن والده هي انه يهلك الاكابر الذين يخشى بأسهم ويولي مكانهم اناساً من عبيده ومماليكه . وانعمس هذا الملك الخامل في الشهوات وسلم الادارة كلها الى وزرائه الذين كان يأمر بقتلهم لاقبل علة ثم مات في مدينة كاشان وخلفه ابنه عباس الثاني وهو في العاشرة من عمره .

وتولى الامر في مدة صغر هذا السلطان الوزراء وكانوا من اصحاب العقل والذمة واشتهروا بالفضائل والتقوى فأمروا بابطال شرب الخمر من القصر وشددوا في عقاب الذين يسكرون وكان السكر رذيلة عمت في ايام عباس شاه وحفيده . وأعطى الناس حرية الاديان الى درجة لم يسبق لها نظير في ما مرّ وتمتع الاوربيون بنعمة السلطان فكان تجارهم يحضرون مجلسه ويروون الامور عنه ومعظم ما قيل عن تاريخ ايران من بعد ايام عباس شاه منقول عن كتب الافرنج . ولما بلغ عباس الثاني اشده تولى الامر بيده فأفرط في التمتع باللذات وعاد الى المسكر فارتكب الهفوات الكثيرة واسقط مقام الملك ولكنه لم يصل الى درجة ابيه في ذلك وكان وديعاً طيب القلب لم يأت امرًا نكراً الا في مدة استيلاء الخمر على عقله . واسترجع الايرانيون في ايام هذا الملك مدينة كندهار وكان صفي شاه قد اضاعها في ايامه المعيبة . وظهر عباس الثاني سياسة واقداراً في معاملة قبائل التتر التي كانت تغزو خراسان عاماً بعد عام ذلك ان احد الامراء من القوم التجأ اليه فأكرمه عباس وانعم عليه بالمال الكثير ونصره على خصمه فجعله واهل بيته عبيداً للدولة الصفوية واراح البلاد من غزواتهم مدة طويلة . وعقد عباس الصلح مع الاتراك من اول حكمه فلم تحدث الحرب بين البلادين كل مدة ملكه السعيد . وتمت

التاجر وتقدمت العلوم والصنائع ورتعت البلاد في مجبوحة الامن والراحة كل ايام هذا الملك ونقاطر الافرنج على البلاد وجاءها سفراء الهند والدول الاوربية من كل صوب بنفيس الهدايا وكانت علاقة الدولة الايرانية حسنة مع كل هذه الدول واعمالها في رواج ونجاح . ومات عباس الثاني في الرابعة والثلاثين من عمره بعد ان حكم ايران نحو ٢٥ سنة كانت كلها اعوام صفاء ورخاء لم تر البلاد افضل منها . ولم يكن لعباس عيب غير الافراط في شرب الخمر بعض الاحيان الا ان ذلك لم يؤثر في بلاده ولم يتعب منه غير بعض الاخصاء . واشتهر عباس الثاني بشيء من القسوة في معاملة الوزراء والقواد وبالشفقة والحنو الكثيرين في معاملته الفقراء والبسطاء من الاهالي وفي احترام الاجانب واعتبار حرية الاديان الى درجة لم ترو عن غيره من ملوك هذه الدولة العظيمة

وكان لعباس الثاني ابنان احدهما صفي ميرزا والثاني حمزه ميرزا وهو يومئذ طفل في السابعة من عمره فلما توفي هذا السلطان عقد اكابر سلطنته مجلساً واقروا فيه على تنصيب حمزه ميرزا الصغير بدعوى ان صفي ميرزا كان فاقد البصر لا يليق للملك والصحيح انهم ارادوا بذلك ان يكون السلطان في قبضة يدهم فسمع بذلك خصي اسمه مبارك آغا كان هو الموكل بتربية حمزه ميرزا وظن الناس ان ارتقاء مولاه الى سرير الملك احب الامور اليه الا ان هذا الخصي اظهر مروءة وشهامة تحت ما لطائفة الخصيان من العيوب ذلك انه اجتمع بهؤلاء الاشرف وخطب فيهم خطاباً بليغاً بالغاً منتهى الفصاحة والحماسة واظهر لهم انهم حادوا عن جادة الحق والانصاف واتوا ما لا يرضي الله ولا يوافق العدل في قرارهم هذا وانه لا يسلم معهم بهذا الظلم وحرمان ولي

العهد من السلطنة بلا داعٍ غير حب الاستيلاء على عقل الملك . ثم حذرهم من العواقب واعلمهم انهم اذا لم ينقضوا قرارهم اضطروه الى خنق الطفل وقتل نفسه من بعد ذلك فيصير الملك الى صاحبه الشرعي وينتقم صفي ميرزا من كل امير خانة . وانسحب مبارك آغا بعد ذلك من الجلسة فذهل الامراء لهذا الامر ذهولاً وخافوا العاقبة ثم قام رئيس الوزراء فخطب فيهم بما معناه ان صفي ميرزا ليس بفاقد البصر كما كانوا يتوهمون فهم مضطرون شرماً الى تسليمه الملك ووافقه البااقون على ذلك فانتهت الدسيسة ورتقي هذا الامير عرش اجداده العظام بسعي احد الخصيان وشهامته فاراد ان يكافئه في الحال ورفض الخصي المناصب حتى لا يزاحم الامراء عليها وافضل ما يروى عن هذا السلطان انه لم ينتقم من الاشراف على خيانتهم وديستهم هذه

واتخذ صفي ميرزا يوم رقي عرش السلطنة اسم شاه سليمان ولم يحدث في ايامه ما يوجب الذكر غير انه كان خاملاً ضعيف الرأي واعياً بالانفاس في اللذات والشهوات شأن كل امير ربي في قصور الحرم مثله وعلم الناس منه ذلك فصاروا يتقربون منه باهداء الخمر والمسكرات وعادت القلاقل في ايامه والثورات على اطراف المملكة لم يردھا غير حكمة علي قلي خان وزيره الحكيم وكان هذا الوزير جليل القدر مهاباً كثير الفضائل شديد التقوى نهى السلطان عن شرب المسكر مراراً فلم ينته . وحدث ان السلطان سليمان هذا كان في احد الايام يسكر فجاء بوزيره الجليل وامره بالجلوس بين الندماء والاشترارک معهم في السكر فرفض الوزير الامر واصرّ السلطان على انفاذه حتى انه ناوله شيئاً من الافيون بيده فاضطرّ الشيخ الى الطاعة واخذ الافيون فسكر منه ووقع الى الارض وقد فقد الشعور وفرح السلطان والندماء بحاله

هذا فجعلوا يسرون ويطربون ثم جاؤوا بهوسي وحلقوا ذقنه وهو لا يشعر بذلك فلما افاق وعلم ان الذي اصابه بأمر الملك أشد غيظه وترك الوزارة فأرسل اليه السلطان بدعوه مراراً وهو لا يطيع الامر ويؤثر القتل على العود الى مجلسة هذا السلطان حتى وقعت البلاد في الاضطراب ورأى الوزير ان الذمة توجب عليه اعطاء الرأي فعاد الى السلطان فقام له السلطان هاشماً باشاً واقسم لديه انه لن يعاطي المسكر بعد ذلك ولكنه حث بأيمانه وعاد الى سابق اموره . غير ان البلاد كانت ناجحة في ايامه وسارت في سبيل الارتقاء وعاش الاهالي في الهناء والراحة زماناً طويلاً وكثر اختلاطهم بالافرنج من سائر الاجناس . ومات السلطان سليمان في الثالثة والاربعين من عمره خلفه ابنه حسين شاه

وكان السلطان حسين طيب القلب سليم النية كثير الفضائل شديد التمسك بدينه فأمر حال صعوده بإبطال السكر وكسر آنية الخمر التي وجدها في قصوره وقرب المشايخ والعلماء فاعطاهم المناصب العالية وحرّم الامراء والقواد منها ولم يكن له هم غير العيش في الراحة والصفاء فظلت البلاد عشرين عاماً في ايامه متمعة بالراحة وقد كانت ايران في عزّ ومأمن من بوائق الايام حتى ايام هذا السلطان الذي كانت فضائله واسطة في امانة البسالة والشهامة من صدور الايرانيين وادت الى سقوط دولتهم ووقوع بلادهم في قبضة شرذمة من البرابرة واهل الغلظة حين امتلكها الافغان بقوة يسيرة كما سيجيء في الفصل القادم وكان السلطان حسين آخر ملوك المولوية الصفوية الشيبوية

الغارة الافغانية

افغانستان بلاد جبلية الى الجهة الشرقية من ايران متاخمة لنهر الهند
المسي (پنجاب) وقد كانت في أكثر الاحيان تابعة لاحدى الممالك
العظيمة المجاورتين لها ولم تستقل بنفسها الا في ما ندر . واهلها يختلفون في
شكلم وهيئتهم عن الامم الهندية واليرانية يذهب أكثر مؤرخي الاسلام ان
اصلهم يهود من الذين سبهم نبوخذ ناصر الى بابل ثم اراد ابعادهم الى اقصى
ممالك فارسهم الى هذه البلاد القاصية ولكن ذلك غير مثبت بالادلة بل هم
بقايا قوم البرثة وبلادهم قطعة اصلية من ولاية خراسان

وكان الافغانيون في ايام عباس شاه وما بعده قسامين او حزيين هما
الحزب الفليجائي والحزب الابدالي ولما ملكهم هذا الفاتح العظيم لم يرمهم مقاومة
تذكر الى ان اشتدت وطأة الحاكم الذي عينه عليهم فذهب احد امراء الابدالية
واسمه سدو الى اصفهان ليلقي امر بلادهم الى عباس شاه ويحاول انتقاذها من
ظلم الولاة وحظي بمقابلة هذا السلطان العظيم فشرح له حكاية بلادهم ورجاه
ان يخلصها من يد الظالمين ووعد برضوخ الاهالي بلا معارضة لكل حاكم
يوليهم عليهم على شرط ان يكون من اهل الانصاف والذمة فسمع عباس شكواه
وامر بانصاف بلادهم ثم سر من فصاحة سدو في المقابلات الاخرى ومن
نبالة مقاصده فعينه والياً على افغانستان واعطاه فرماناً بذلك جعله في مقام
الامراء المستقلين تحت سيادة سلاطين ايران وفرح اهل افغانستان بذلك
فرحاً عظيماً جعلوا طاعة سدو واولاده من بعده فرضاً واجب الاداء عليهم وهم

الى الآن يعتبرون السدوزية او نسل سدو من اهل الكرامات الذين لا تمد يد
السوء اليهم ولا تجوز معاقبتهم او الانتقام منهم على جنائيه وان تكن جنائيه القتل
بنفسها وساد السلام على بلاد الافغان كل مديّة عباس شاه الطويلة ولكن القلاقل
كثرت من بعده بسبب الحروب التي توصل شرها بين سلاطين الهند وايران
على امتلاك هذه الامارة وكان اهله يميلون الى الايرانيين اكثر من الهنود
ولكنهم يجتهدون ما امكن في حفظ استقلالهم من الطرفين

واما الغليجانية من اهل افغانستان فكانوا اشديا من الابدالية الى الاستقلال
وهم الذين استوطنوا كندهار وما يليها من تلك البلاد وظلوا يعاندون الدولة
الايرانية حتى حار وزراء ايران في امرهم وقرّ رأيهم في ايام السلاطن
حسين الذي ذكرناه وهو آخر سلاطين الدولة الصفوية على تعيين وال
شديد العزم كثير الاقدام ليحكم بلادهم فانتدبوا لذلك كركين خان وكان
اميرا باسلا مقداما لا نظير له بين قواد تلك الايام وهو مسيحي وكان والي
كرجستان او بلاد الكرج فحاول الاستقلال بتلك الامارة ولم ينجح ثم اعتنق
الدين الاسلامي فصنع حسين شاه عنه وعينه لهذه الوظيفة في افغانستان لما
عرف عن اقدامه وشهرته في الدراية والجرأة . فتقدم كركين خان على هذه
البلاد بمشرين الف مقاتل من الايرانيين ونفقة من ابطال اهل بلاده وكان
لقدومه ابهة وهيبة جعلت الرضوخ لامره محتما فلم تبدُ اقل معارضة من الافغانيين
في الخضوع له ولكنه اساء معاملتهم في الحال واعتبرهم كلهم من العصاة
والمارقين فأطلق السراح لساكره ومن معه في ابتزاز المال منهم وظلمهم فاستغاث
الاهالي من ظلم هذا الوالي بالسلطان وبعثوا بالوفود من مشايخهم الى اصفهان
ليعرضوا حال البلاد وما صارت اليه على حسين شاه ووجد هؤلاء البندوبون

ان الوصول الى السلطان من أعسر الامور ولكنهم تمكنوا في آخر الامر من نوال بغيتهم وكان اصحاب كركين خان قد سبقوهم الى القصر وافهموا السلطان امورا غيرت افكاره فيهم فلما سمع شكواهم اجابهم بما معناه انهم عصاة كاذبون وان ثقته بالوالي عظيمة وتهددهم بكل عقاب صارم اذا عادوا الى مثل هذا التشكي فعاد المندوبون الى بلادهم وقد امتلأت صدورهم حنقا وغيظا وبسطوا الامر لاخوانهم فكثرت الحقد وتعاضم الشر وعزم الافغانيون من ذلك اليوم على الخلاص من ايران وحكومتها

ولما علم كركين خان بما كان من الاهالي وقيامهم للشكوى عليه عزم على البطش بهم والانتقام منهم فوجه همه في اول الامر الى اذلال امراءهم واكابرهم وكان اشهر اسيادهم يومئذ الامير ويس وكان شابا جميل الملامح كثير الزقة والذكاء وهو من أشهر عائلات الافغان يعد عندهم حاكم كندهار الشرعي والناس كلهم يجلون قدره لما اتصف به من حميد الخصال وما ظهر من اقتداره وقوة تدبيره فعزم كركين على التخلص منه لانه كان زعيم القوم وله بأس وسطوة عظيمة فقبض عليه في احدى الليالي بدعوى تأمره على سلامة السلطنة وارسله مكبلا بالقيود الى اصفهان وكتب الى السلطان يقول ان هذا الامير هو زعيم العصاة والذين يدبرون للمملكة المكاييد وانه مادام في اصفهان فلا خوف على البلاد من اعوانه واما اذا عاد الى افغانستان فلا بد من الثورة العظيمة . واخطأ كركين بارساله هذا الامير البارع الذكي الى اصفهان لان الامير ويس تمكن بدعائه من معرفة الاحوال حال وصوله الى اصفهان ورأى ان المقربين الى السلطان قسما قسم يميل الى كركين خان وقسم عليه فاتفق في الحال مع اعداء كركين وتمكن بواسطتهم من اكتساب نفوذ عظيم وقرب

كثير من السلطان . وتمكن الامير ويس من مقابلة السلطان بعد ان استمال
الوزراء بالرشوة او باللفظ فبسط له حكاية كركين وظلمة وشكى من الشكوى
بما اصابه واصاب اهل بلاده .

وكان ويس فصيحاً طلق الهيا فسمِعَ حسين شاه واستماله اليه وصار هذا
الامير الافغاني من اشهر المقربين الى السلطان بدلاً من ان يكون اسيراً يعامل
معاملة الاعداء والمبغضين ومن ثم اخذ هذا الامير في تدبير ما يريد وكان في
اول الامر يفكر في الاستقلال بامارة بلاده ولو انه شاء ذلك لتمكن من
مراده بما نال من الخطوة ولكنه كان سريع النظر بعيدة فلحظ ان بلاد
ايران صارت متداعية الى السقوط وان الدولة الصفوية هربت وعود من
ذلك الحين على السعي في قلب المولة وامتلاك ايران وبدأ بكركين خان
فطفق يسعى على قتله او خلعه ولكنه لم يستعجل في الامر وكان كثير التأني
في اعماله حكيماً في تدبيره فخطر له انه لا يقوى على مثل ما يريد بغير
الدعوى الدينية وطلب من حسين شاه ان يسمح له بزيارة مكة المكرمة
بعلة الشوق الى اداء فريضة الحج وهو ينوي غير ذلك وغاب عن السلطان
حسين ما يضره هذا الامير فاذن له بما يريد حتى اذا وصل الافغاني الى
استامبول واجتمع بالوزراء والعلماء وشرح لهم الحالة وما يقاسونه اهل السنة
من العناء كل ذلك دهاء منه ليأخذ فتوى شرعية لباحة دم الفرس ورفع
نير بيعتهم عن اعناقهم فجمع في الامر ثم رحل الى مكة المكرمة واجتمع باكابر
السادة والعلماء من اهل السنة فيها فاقنوا له ان الشيعة لا يليقون بالاحكام
وانه يجب خلعهم واخفى الامير ويس هذه الفتوى معه الى حين اللزوم ثم عاد
الى اصفهان وهو موقن بالظفر ولكن لا يعلم غيره ما في ضميره هذا سر نجاح

هذا الامير لان بلاده في تلك الايام كانت مأهولة بأهل السنة وهم في غاية التعصب وما عدا تلك الولاية عموم الايرانيين كانوا على مذهب الشيعة الاثني عشرية الجعفرية

ولما وصل الامير ويس اصفهان ساعدته التقادير على ما يريد ذلك ان قيصر الروس عين يومئذ سفيراً له في اصفهان اسمه اسرايل اوربي عينه بطرس الاكبر لهذه الوظيفة لانه كان ارمنياً من اصحاب الاطلاع على احوال الممالك الشرقية وله معرفة باللغة الايرانية وغيرها فجاز هذا السفير بابهة عظيمة ومعه الاعوان يعدون بالآلاف واشاع في الحال انه من ابناء ملوك ارمينيا القدماء وكان الايرانيون يومئذ يحسبون لدولة الروس ومطامع بطرس الاكبر حساباً فهاجم امر هذا السفير وشاع بينهم انه سيصير ملكاً فخافوا ان يصير ملك بلادهم ووصلت الاشاعة الى الامير ويس فسر بها سروراً زائداً وقام في الحال الى السلطان حسين وقد اظهر الاهتمام العظيم وقال له ان قيصر الروس ينوي ضم هذه البلاد الى املاكه وان اهل گرجستان وارمينيا يساعدونه على ذلك بدليل ان هذا السفير ارمني وهو من ابناء الملوك يشتب الى گرگين خان واصله نصراني وان گرگين مفتي يفكر في الاستقلال والعود الى بلاده حاكماً واميراً وبدأ يسرد للسلطان حسين الادلة على ذلك ويبين له قوة گرگين وغاياته حتى صدق السلطان كل تلك الحكاية واوجس خوفاً من گرگين وتدابيره فعزم على خلعهم في الحال ولكنه خاف عاقبة التهور فشاور وزراءه فأشاروا عليه بارجاع الامير ويس الى افغانستان وجعله رقيباً على گرگين وقبل السلطان بهذا الرأي الساقط فأوعز الى ويس بالقيام الى وطنه وقام ويس وصدرة قد امتلاً فرحاً وحبوراً على حين انه كان يظهر

عدم الرضى من هذا الامر
ولما وصل ويس الى كندهار وعرف كركين خان بالحكاية بلغ الغيظ
منه مبلغاً عظيماً حتى انه عول على الفتك به في الحال ولو ادى ذلك الى
اوخم العواقب . وكان للامير ويس ابنة بارعة في الجمال نادرة المثال فسمع
كركين بآيات جمالها وتمنى ان تكون زوجته له فخطر في باله ان يقترن
بالفتاة قسراً فينال منها غايته وينزل اباه وبعث الى الامير ويس امراً لا يقبل
الرد ولا التردد مفاده ان يرسل اليه ابنته في الحال فعظم الامر على الامير
 واجتمع باهل طائفته واكابر عشيرته وبسط لهم الحكاية فاجوا وماجوا واكثروا
من التهديد والوعيد سيما وان اهل افغانستان يغارون غيرة هائلة على العرض
ويعتبرون البنات الاحرار فانفتت آراؤهم على البطش بالحاكم الذي اراد
اذلال اميرهم وهتك عرضه واقسموا اغلظ الاقسام انهم يموتون في سبيل الدفاع
عن اميرهم وابنته ولكن الامير اوصاهم بالتمقل والصبر وافهمهم انه ينوي الانتقام
من هذا الحاكم ومن كل واحد سواه من اعداء بلادهم غير انه يأتي الامور
بعد التبصر والتروي فعاهدوه على الولاة واقسموا له بالخبز والملح وبالقرآن
الشريف وبالطلاق ايضاً انهم يثبتون على ولايته حتى يموت الكل عن آخرهم
ثم صرفهم وهو يوصيهم بالحرص وكتمان السر وبعث الاعوان في كل جهة يخبر
اهل بلاده بعزمه ويوصي ابطالهم بالتجهر في نواحي كندهار والترص ريثما يرى
ما الذي يكون من كركين خان بعد ذلك الامر فلم تمض ايام حتى ارسل
اليه الوالي امراً ثانياً ما سال الصبية مع التهديد والوعيد فاطهر ويس الطاعة
واخفي الكمد وصرف اعوان كركين على ان الصبية تصل في ذلك المساء .
وكان في قصر هذا الامير خادمة تشبه ابنته في جمالها وقامتها وهي من منتها

فألْبَسَهَا الملباس الفاخرة وامرها ان تدعي انها ابنته وتقترب بالوالي ولا تبوح بالسر فرضيت الخادمة بهذا النصيب وهي لا تعلم ما الذي يتم من ورائه ثم ارسلها الامير ويس بأخضر الحلل وابهة عظيمة الى بيت الوالي وزفت الى كركين ففرح بها فرحاً كبيراً وسره أيضاً رضوخ ويس لامره فأظهر الرضى عنه وقربه ولم يمض إلا القليل حتى صار الامير ويس من اخضاء كركين واصحابه يجتمع به كل يوم ويتحدث معه في الامور الهامة . وظل على ذلك زماناً وكركين لا يحسب للشر حساباً ولما احس ويس باتمام الامر دعا خصمه الى وليمة فاخرة في احدى جنائنه ودعا معه الاخضاء والاعوان من الحكام الذين كان الافغانيون يكرهونهم فقبلوا الدعوة وجاؤوا الحديقة واكلوا وشربوا وطربوا حتى اذا دارت الخمرة في الرؤوس اشار ويس الى اصحابه بالذي كان ينويه وكان قد احاط البلدة كلها بأعوانه وجاء بنخبة من الابطال فاخفاهم في انحاء الحديقة فلما سكر الوالي ومن معه وصدرت لهم الاشارة من ويس هجموا على ضيوفهم وقتلوهم عن آخرهم ثم تردوا بلباس المقتولين وذهبوا ايلاً الى سراي الحكومة وقلعتها فدخلوها والحراس يظنونهم كركين واصحابه ثم نادوا في اعوانهم من كانوا في كندهار وحولها فأعملوا السيف في عساكر السلطان حسين وقتلوا اكثرهم في مدة يومين ثم شرعوا يقتل من استوطنوا في الولاية من الفرس ومن تمذهب من الافغانيين بمذهب الشيعة وكانوا جمهوراً غفيراً وهكذا تم انسلاخ افغانستان عن بلاد ايران وبدأ امراء هذه البلاد الصغيرة يفكرون في ضم بلاد ايران الى امارتهم ولم ينبج من كل جيش كركين غير ستائة چركسي اتوا المعجزات في محاربة اهل افغانستان ومكافتهم حتى تمكنوا من الفرار الى بلاد خراسان

وبدا ويس بعد ذلك باتخاذ الطرق التي تمكنه من حفظ مقامه واستقلال
بلاده حتى انه نادى في قومه بمرضهم على النخوة والبسالة وصرح لكل من
اراد العود منهم الى الخضوع لحكم الايرانيين ان يرحل عن البلاد بلا معارضة
ثم انه احسن معاملة الاهالي والغرباء الساكنين في مدينة كندهار وما يليها
وجعل يستعد للهجوم على بلاد ايران. فلما بلغ السلطان حسين وحاشيته ما كان
من امره تردوا في اشهار الحرب ثم ارسلوا الى الامير سفيراً بالبحضه على ترك
العداء فلما وصل السفير الى كندهار التي القبض عليه حتى يوسع الخرق بين
ايران وافغانستان ويمنع السفير من مواجهة الاهالي وتدير الدسائس. وكان
ويس قد نشر على الناس تلك الفتاوي التي جاء بها من مكة والتسطنطينية ضد
الشيعيين وزعمائهم فلما علم اهل البلاط في اصفهان بذلك وبسجنه للسفير ارسلوا
اليه سفير آخر كان صديقه ورافقه في سياحته الى الحجاز هو محمد خان حاكم
هرات فلما وصل هذا المعتمد الى ويس رأى منه العزم التام على العدوان وخاطبه
الامير بما معناه ان لو لم تكن صديقاً لي لاذقتك المذاب الميهن على هذه
الرسالة التي جئت بها الي فانك تعرض علينا ان نعود الى الرق والخضوع
لنير الايرانيين ولكن اعلم ان سيوفنا سلت للحرب وهي لا ترد الى غمدها
حتى تكون مملكة ايران كلها في قبضتنا ثم اتى القبض عليه وسجنه ولكنه لم يسيء
معاملته

ولما رأى السلطان حسين واعوانه ان لا بد من القتال اوعزوا الى حاكم
خراسان ان يبدأ بمقاتلة الافغانين فصعد الحاكم بالامر ولكنه لقي باللم يكن
في الحساب من جرأة الاعداء واستعدادهم للحرب وكسر في موقعة جرت له
معهم وبلغ الخبر اصفهان فامر السلطان بجمع كل قوات السلطنة وجيش جيشاً

عظيماً جعله تحت قيادة خسرو خان والي كرجستان وهو ابن اخي كركين خان الذي قتله ويس على ما مرّ وكان هذا الوالي بطالاً مقداماً يتمنى محاربة الافغانين حتى ينتقم منهم على قتل عمه . ونقدّم هذا الجيش الجرار على مواقع الافغانين فطردهم منها وبان له وجه النصر فزحف على مدينة كندهار وحاصرها زماناً حتى اذا احسّ اهلها بقرب الخطر عرضوا التسليم لساكر السلطان على ان تعفظ ارواحهم واملاكهم فلم يرض خسرو خان بذلك وامرهم ان يسلموا بلا شرط فكبر عليهم ذلك ورأوا ان الايرانيين ينوون اعدامهم عن آخرهم وهاج الدم في عروقهم فجددت قوتهم وعاشت ارواحهم بعد اليأس ودافعوا عن مدينتهم دفاع الابطال ثم جعلوا يهجمون على المحاصرين من كل جانب ويضيقون عليهم حتى اضطرّ خسرو خان الى الانسحاب ولحظ الافغانيون منه ذلك فتأثروه وحاربوه حرباً عنيفة كان النصر في آخرها لهم وقتل في هذه المعركة خسرو خان و ٢٥ الفاً من رجاله .

ثم ارسل السلطان جيشاً آخر لمقاتلة الافغانين تحت قيادة محمد رستم خان فاصابه ما اصاب الجيوش السابقة واستقلّ ويس استقلالاً تاماً بامارة كندهار وبين هو يستعد للتقدم على امتلاك بلاد ايران عاجلته المنية فخن الافغانيون عليه حزناً مفرطاً وله عندهم شهرة في البسالة والفظنة يذكرونه بها الى هذا اليوم

وكان لويس ولدان اكبرها في الثامنة عشرة من عمره يوم وفاة هذا الامير فاختمت الامارة منها عمها الامير عبد الله وكان جباناً فاسقاً يختلف عن اخيه في كل امر فما عتم ان استلم زمام الامر حتى بدأ بمخابرة اصفهان في اعادة الامارة الى حكم السلطان حسين وعارضة قومه في ذلك

معارضة شديدة فلم يرجع عن قصده وارسل نواباً من قبله الى عاصمة ايران
لعرض شروط المصالحة واهمها ان تعود الولاية الى الخضوع لاوامر
الدولة الايرانية على شرط ان ترفع عنها الجزية التي كان عمال السلطان
يتقاضونها من كندهار كل عام وان لا ترسل جيوش اجنبية الى الامارة وان
يعترف السلطان الامير عبد الله ولاولاده من بعده بالامارة على كندهار .
فعظم الامر على اكابر الافغانيين من جرى ذلك ورأوا ان مطامعهم في
الاستقلال بعد ان ذاقوا حلاوته وفي الفتح والامتلاك قد ضاعت من سوء
نصرف هذا الامير واجتمع بعضهم على الشاب محمود وهو بكر اولاد ويس
فاتفقوا معه على الجاهرة بالعصيان والمناداة به اميراً على كندهار قبل ان
تعود البلاد الى قبضة اهل ايران وكان محمود عاقلاً نجيباً وباسلاً مقداماً
فتروى في الامر على صغر سنه وصرف قومه على ان ينظر في الحكاية ثم انتخب
اربعة بطال من اصدقائه واخبرهم بعزمه على قتل عمه فوافقوه على ذلك
وذهبوا في احد الليالي الى قصره فعرفهم الحجاب ورأوا الامير محمود معهم
فلم يعارضوهم في الدخول ودخل هؤلاء الرجال على عبد الله فوجدوه
خالي البال وقتلوه في الحال ثم امروا رجال الموسيقى ان تعزف باللحن
الاميري والامير محمود واقف في وسطهم ونادوا به حاكماً عليهم فلما عرف
الاهالي بالذي تم سروا به سروراً زائداً وايدوا محمود على سرير الامارة
وبذلك عاد الافغانيون الى افكارهم الاولى وقدر لهم ان يفوزوا بتحقيق
الاماني على يد الامير محمود

وابتداً محمود حكمه على كندهار وسلطنة ايران في اسوأ حال فانها كانت
مثال الفساد والضعف وقد استولى حب الترف والتحول على اهله وحدث

يومئذ ان الاكراد قاموا على الدولة في بلاد العراق بايمازمن العثمانيين وان قبائل التتر الازبكية المشهورة هادت الى شن الغارة على خراسان طمعا في النزو والنهب وان القسم الآخر من افغانستان نريد به هرات وما يليها قام ايضا على عساكر السلطان وقوي امير هرات واسمه يومئذ اسد الله حتى انه صار اعظم من امير كندهار واضطرت حكومة ايران يومئذ ان تترك الاعداء وشأنهم وتحول همها الى اخضاع هذا الامير وقومه وهم الافغانيون الابدالية فجدت جيشا لا يقل عن ثلثين الف مقاتل تحت قيادة صفي قولي خان وارسلته لمقاتلة اسد الله فلاقاه اسد الله بجمسة عشر الفا وقاتله قتالا هائلا في معركة دامت من شروق الشمس الى غروبها ولولا ان يحدث امر غريب لاتصر الايرانيون على خصمهم وامتلكوا هرات ولكن الاقدار ساعدت الافغانيين على طريقة غريبة ذلك ان جيش ايران كان فيه حوالي عشرين مدفعا من المدافع المعروفة في تلك الايام فحدث عند غروب الشمس ان فرقة من خيالة الايرانيين وصلوا الى موضع كان الافغانيون فيه في اول النهار فظنهم رفاقهم من الاعداء وبدأوا يرمونهم بالقتال حتى قتلوا عددا كبيرا منهم ولما عرفوا بخطائهم قامت الصيحة ونسبت الخيانة الى فريق المدفعية فكثرت الخلاف ووقع الفشل في صفوف الايرانيين وانتزح الافغانيون تلك الفرصة فجهموا بكل قوتهم على جيش السلطان وفرقوه ايدي سبا وملكوا منه كل الزاد والذخيرة والمدافع وقتلوا قائد الجيش الايراني وابنه وثمانية آلاف رجل غيرها وقتل من الافغانيين ثلثة آلاف رجل ولكن النصر كان تاما في جانبهم

وقام العرب ايضا في نواجي خليج العجم على دولة ايران و حاربوا

عساكرها وحدث يومئذ في بلاط السلطان الشيء الكثير من الدسائس من ذلك ان وزيره فتح علي خان كان عاقلاً كثير الامانة ففسدهُ الناس على ما نعلم واتحد شيخ المشايخ ورئيس الاطباء على الوشاية به وجاءوا في احد الليالي الى غرفة السلطان وقد اظهروا الاهتمام الكثير فأيقظوه من نومه واخبروه ان وزيره قد اتحد مع الاعداء على تسليم البلاد لم وخلع السلطان وقتله واتوا بالادلة على ذلك فصدقهم السلطان وخاف على نفسه وامر في الحال بالقبض على الوزير فقبضوا عليه وفتقوا عينيه وكانت هذه العادة شائعة في الدوائر العالية في ايران يومئذ يفتق الامير او الكبير عيني خصمه حتى يمنعه من مزاحمته ويصيره عالة لا قدرة له على شيء ثم بلغ السلطان ان الوزير لم يقترف ذنباً فامر بعقد مجلس لمحاكمته واظهار الحق ودافع الوزير عن نفسه بالفصاحة واتى بالادلة المقتنعة على خيانة الذين وشوا به فرأى حسين شاه انه اساء التصرف وظلم وزيره وبكى من اجل ذلك بكاءً مرّاً. وكثرت امثال هذه الدسيسة في ذلك الحين

هذا هو الزمان الذي اختاره محمود صاحب كندهار وفتح ايران لهجوم على هذه السلطنة وهذه هي الاحوال التي ساعدته على نوال بغيته. وتقدم محمود بجيشه عن طريق الصحراء فوصل مدينة كرمان وبدأ بمحاصرتها ولكن السعد لم يساعده يومئذ لان جيش ايران وصل لاثانة المدينة تحت قيادة البطل الشهير لطف علي خان وهو اخو الوزير الذي مر ذكره فخارب محموداً وانتصر عليه واضطر الامير الافغاني الى الفرار والعود الى بلاده.

ثم دخل جيش السلطان مدينة كرمان فأساء معاملة الاهالي واكثر

من الظلم والقمح حتى تمنى الاهالي لو يعود الافغانيون اليهم ويملكون مدينتهم .
وعاد لطف علي خان بعد هذا النصر الى شيراز ونواحيها ليحيش جيشاً كبيراً
يقا تل به اعداء السلطنة فأطلق السراح لساكره في نهب الاهالي وظلمهم على
صادته وشكاه الناس الى السلطان فأمر بوزله ولم تقم للجيش الايراني قائمة
من بعد عزل هذا البطل

واما محمود فانه اقام اشهرًا قليلة في مدينة كندهار لم في خلالها شعث
جيشه وزاد قوائمه وجمع الذخائر والمؤن ثم زحف على بلاد ايران بجيش لا
يقل عن عشرين الف مقاتل في الشهر الاول من سنة ١٧٢١ عن طريق
الصحراء ايضاً وسمع الايرانيون بقدومه فامت قلوبهم من الخوف وحدث
يومئذ ان الشمس كسفت وكثر احمرارها مدة ايام فأول الناس ذلك
الى سخط الاله عليهم وكثرت مخاوفهم ودار الواعظون بينهم يحضونهم على
التقوى وترك المعاصي حتى يتحول غضب السماء عنهم وانبأ المنجمون ان
مدينة اصفهان ستخرب بالنار او بالزلزلة عن قريب وصدق الناس هذه
النبوة وخرج السلطان حسين بحريمه وخصيانه من المدينة فسكن في المضارب
في ضواحيها وفضل الاكابر والاشراف فعله وكثرت هواجس الناس وبلا بلهم
حتى ذلت نفوسهم وصغرت انفسهم وجاءهم خبر تقدم محمود بجيشه الجديد
ضغناً على ابالة فلم يبق ريب في صدور العارفين ان النصر سيتم للافغانيين
وان دولة الايرانيين دالت

ولما صار محمود على مسافة اربعة ايام من اصفهان ولم يقاومه في سيره
مقاوم ارسل اليه السلطان حسين رسولا يعرض عليه المال الكثير والمصالحة
على شرط ان يعود الى بلاده فلم يعجز محمود لقول هذا السفير وظل

سائراً في سبيله وليس في طول البلاد وعرضها رجل يشهر السلاح في وجه رجاله حتى صار على ابواب اصفهان واستعد لمحاصرتها والمهجوم عليها مع انه لم يكن معه شيء من ادوات الحصار ولكن ضعف الحكومة الايرانية وعجزها عن مقاومتها سهل له كل امر صعب وكثرة الدسائس في بلاط السلطان مع ما كانت البلاد فيه من الخطر المبين مهدت للامير الافغاني طرق النصر

واصفهان مدينة كبيرة واقعة على ضفاف نهر شبير اسمه نهر زائنده رود كانت يومئذ كثيرة الابراج والحصون محاطة بسور منيع والى جانبها الضواحي الجميلة مثل بلدة عباس اباد وبلدة جلفا وهي مستعمرة للارمن انشأها عباس شاه للصناع واصحاب الحرف من الارمن وانهم عليها بالامتيازات الكثيرة . وكان في اصفهان جيش لا يقل عدده عن خمسين الف مقاتل كامل العدة والسلاح ولولا ان تكون الحكومة الايرانية يومئذ في ضعف وفساد هائلين لما امكن للجيش الافغاني على قلة العدد والسلاح وعدم وجود آلات الحصار معه ان يهاجم هذه العاصمة الشهيرة . وخاف السلطان حسين خوفاً شديداً من وصول محمود الى ابواب عاصمته فجمع الوزراء والاعيان واستشارهم في الامر فأشار عليه محمد قلي خان بالامتناع داخل الاسوار ومحاربة الافغانين بالصبر الى ان يضجر رجالهم او يقتل بعضهم على طول المدة ويعودون عن المدينة وعزز رأيه بالادلة على ضعف الافغانين في الحصار وقوتهم في الهجوم والحرب بالسلاح الابيض وكان مصيباً في رأيه الا ان والي بلاد العرب من الامراء المحيطين بحسين شاه رأى غير هذا الرأي وقام في المجلس محرصاً للقوم على البسالة والقتال يذم في الذي يقول باتخاذ خطة الدفاع والتساهل مع

الافغانيين الى هذا الحد واحتد الامير في كلامه واثار بالاسراع في مهاجمة القادمين والتنكيل بهم وقطع دارهم فهاج الدم من كلامه في عروق الحاضرين ووافقوه على رأيه فاعتمد السلطان على الخروج بعسكره لطره المعتدين وكان معظم رجاله من اهل اصفهان قوماً اعتادوا البطالة والترف ولا يمكن لهم الوقوف في وجه ابطال محمود المعروفين بالتفاني في سبيل الانتصار على العدو الذي ظلمهم زماناً طويلاً

ولما اتفق راي السلطان واعوانه على الهجوم اتى حسين شاه امراً اضاع عليه الامل بالنصر ذلك انه قسم الجيش قسمين جعل قائد احدهما وزيره محمد قلي خان وجعل قائد القسم الثاني والي بلاد العرب وكان الاثنان خصمان فتشائم العقلاء من هذا الامر وصحّ ظنهم لان المعركة انجبت عن انكسار الايرانيين شر كسرة وكان جيش السلطان كثير الزخارف والاهبة وجيش الافغانيين بلا زينة غير الزماح والسيوف فلما ابتداء القتال هجم الافغانيون هجوماً عنيفاً على قسم الوزير الايراني وشتتوا شمله ودار بعض فرسانهم من وراء المعسكر الايراني فوجدوا ٢٥ مدفعاً نتأهب لاطلاق القنابل عليهم فاكبوا على الرجال في الحال وقتلوهم واستولوا على المدافع وصوبوها الى جيش ايران فأطلقوا منها بعض القنابل فقتلت عدداً من جيش السلطان ولما لحظ الايرانيون ذلك ذعروا وتفرقوا فتبعهم جيش محمود من كل جانب ونهبوا منهم ذهباً كثيراً وغنموا مالا وافراً لم يروا مثله من قبل ذلك اليوم ففرحوا به وسموا ان في اصفهان اصعاف اصعاف هذا القدر يصير اليهم اذا هم فتحوا المدينة فصموا النية على القتال المستمر الى ان تقع اصفهان في قبضة يدهم ونال محمود غاية ما يتمنى بعد ذلك

ولم يبقَ لدى محمود غير اخضاع العاصمة والجلوس على السلطان حسين .
 واما جيش ايران فتمتفرق بعد هذه المعركة وعاد كل قائد منهم الى بلاده
 الاصلية فلم يبقَ عند السلطان حسين غير المتجندين من اهل اصفهان وكانوا
 كما تقدم لا يصلحون لمقاتلة ابطال افغانستان

ووقع الرعب في قلوب الاهالي الايرانيين حتى انحلت عزائمهم وخارت
 قواهم فعمد السلطان حسين الى جمع الاشراف واستشارتهم في الامر وكان
 من رأيه الرحيل عن اصفهان الى جهة امنع حيث يمكن اجتماع الانصار
 والاعوان حوله ووافقته العقلاء ما خلا والي جزيرة العرب فانه هزأ بهذا القصد
 وعده خيانة و اشار بالحرب والقتال فانصاع السلطان لرأيه وكان البعض
 يظنون ان هذا الامير العربي خائن متفق سراً مع امير الافغان على قلب
 الدولة والذي سيذكر من فعاله بعد هذا يؤيد القول بخيانتيه . ثم ابتداءً
 الحصار الشديد ووقع اعظمه على ضواحي مدينة اصفهان وفي مقدمتها بلدة
 جلفا الارمنية وكان اهل هذه القرية يريدون الاخلاص لدولة ايران ومقاتلة
 الافغانيين ما استطاعوا مع كل مارأوا من وزراء السلطان حسين من الاحتقار
 فجمعوا قواهم وبدأوا بحاربة الاهداء وارسلوا يطلبون المدد من والي العرب
 الذي كان وقتئذ القائد العام للجيوش فلم ينجدهم ولهذا تمكن الافغانيون من
 فتح بلدتهم بعد ان قتلوا العدد الكثير منهم فلما رأى الارمن ان القتال لا يفيد
 سلوا للعدو على شرط ان يدفعوا اليه غرامة حربية وخمسين فتاة من عذارى
 قومهم الارمن وكان هؤلاء القوم يغارون غير شديدة على عرضهم ويمتازون عن
 جيرانهم الايرانيين بالعفة والاجتهاد فكبر عليهم هذا الشرط وما قاموا به الا
 لان سلامتهم لتوقف عليه . ورأى الامير محمود وامراؤه الذين وزعت عليهم

الفتيات ان الامر كبير جداً على القوم من هذه الفضيحة وان بعض هؤلاء
الفتيات انتحرنَ تخلصاً من العار وان اهلنَّ اقلنوا البر بالصياح والنواح
فردوهنَّ الى اهلنَّ واطهروا ان الخير موجود في الفطرة الطبيعية وانهم لم
يعدموا الشرف وحسن الخصال

وظلَّ الحصار والامير الافغاني مثل بجمرة النصر لا يدري ماذا يفعل
ولا يأمر بشيء حتى ان بعض الايرانيين طمعوا فيه وعادوا الى مناوشة قومه
فاسترجعوا شيئاً من السلاح الذي فقده وحمود لا يدري ماذا يفعل حتى
افاق من ذهوله يوم علم ان خصياً من خصيان السلطان حسين واسمه احمد
آغا اثار على فرقة من جيشه وحطمها وطرده الافغانيين من بعض المواقع تخاف
العاقبة وحسب ان العز لا يدوم له فخبر السلطان حسين في الصلح وطلب
ان تكون بلاد كندهار وكرمان وخراسان ملكاً له ولاولاده من بعده
وان يعطى خمسين الف تومان (خمسة وعشرين الف جنيه) فيعود عن المدينة
ويخطب ابنة السلطان ويصير حليفه . فلما جاء الرسول الى حضرة السلطان
اشار عليه قومه برفض الطلب لانهم املوا بالفوز من بعد ما ظهر من بسالة
احمد آغا والذين حاربوا معه فعاد الرسول بالخينة الى مولاه ومن ذلك
الحين ابتدأت مصائب اصفهان لان محموداً عوّل على ايصال الاذى اليها
بكل واسطة ممكنة واصرَّ على اخضاعها وقتل كل من فيها

وبعد هذا تشاور محمود واعوانه في الامر فقرروا اتلاف كل المزروعات
والقرى والمائر الهيطة باصفهان من كل جانب حتى يتعذر وصول المدد
والزاد اليها او يستحيل وبدأ الافغانيون بهذا العمل الشنيع فخرّبوا في ايام قليلة
كل ما صنعه الايرانيون في الوف من السنين واصبحت تلك الديار قاعاً

صفتاً تدل على الويل والشروع ولم تنزل آثار ذلك الخراب المائل ظاهرة في
 ضواحي اصفهان الى هذا اليوم . ولما رأى اهالي البلاد هذا فروا من اماكنهم
 وقصد بعضهم الانحاء القاصية والبعض لإذ بمدينة اصفهان ففتح لهم السلطان
 ابوابها ظناً منه بأن كثرة العدد يفيد في الحصار وتزيد قوة ولكنه علم بعد
 هذا انه زاد مركزه صعوبة وضعفاً بقبولهم . وشدد الافغان بعد هذا بالحصار
 وتقدموا على اصفهان من كل جانب ولم يبق في وجههم معاند غير أهل قرية
 صغيرة هي اصفهانك كانت على مقربة من العاصمة . هؤلاء القوم اظهروا
 بسالة واقداماً غريبين حتى انهم هجموا على قافلة افغانية كانت تنقل الزاد
 الى جيش محمود وملكوها فلما علم الامير الافغاني بذلك ارسل عليهم فرقة
 من جنوده لتقطع دابرهم وتقتلهم عن آخرهم وكان اهل اصفهانك على
 استعداد لمقاتلتهم فكسروهم شر كسرة ورأى محمود ذلك فسار بنفسه واكابر
 اعوانه للانتقام من هؤلاء الاشداء ولكنه لقي من بسالتهم ما لم يكن يخطر له
 ببال واضطر الى التهتري بعد ان قتل عدد كبير من رجاله واسر عمه واخوه
 وابن عمه في ساعة واحدة وفر المحاربون بهؤلاء الاسرى فلم يكن لمحمود ان
 يخلصهم ورأى بعد الامعات الكثير انه اذا لم يسرع الى انقاذ اقاربه
 ذبحهم اعداؤه عن آخرهم فاستغاث بعدوه السلطان حسين ورجاه ان يأمر
 الاهالي بالافراج عن هؤلاء الاسرى وفرح السلطان فرحاً لا يوصف بذلك
 لانه كان يؤمل ان يكون هذا سبباً في خلاصه وخلاص اصفهان من الضيق فبعث
 بالوامر الى اهالي القرية يأمرهم بالافراج عن الاسرى ولكن اوامره وصلت
 بعد ان قضى الامر وضربت اسناب الافغانيين فاشدد اسف السلطان حسين
 وغضب الامير محمود حتى ان الامير اسر رجاله يقتل كل اسير في قبضتهم

وضيق على اهالي اصفهانك بكل قوته حتى اضطروهم الى الفرار وقتل كل من وقع في يده منهم

واراد اهل اصفهان بعد الذي سمعوه عن اهل قرية اصفهانك والذي رأوه من شهر من بسالة احمد اغا ونجاحه في طرد الافغانين ان يهبوا للحرب ويجاهدوا في رد الاعداء عن مدينتهم وكان السلطان هذه المرة على رأيهم الا ان قائد العساكر وهو العربي الذي ذكرناه غير مرة ظل يحاول ويماطل ويمتلق الاسباب والحيل لمنع القتال حتى خمدت شجاعة الاهالي وعدلوا عن المطالبة بالحرب فرأى السلطان منهم ذلك وغير رأيه فمكث في مدينته منتظرا نتيجة الحصار وارسل ابنه تهااسب ميرزا الى قزوین حتى يجمع له العساكر ويشير الاهالي على الافغانين فتمكن هذا الامير من الفرار الى تلك الانحاء وجاهد على قدر استطاعته في استجلاب الخواطر وانهاض الهمم فرأى من الناس فتورا ونفورا وعلم ان دولة ابيه زالت وكتب اليه بذلك مشيرا عليه بترك اصفهان وكان السلطان حسين يفكر في ذلك الا ان الامر صار مستحيلا ساعة اراد السلطان اتمامه

وكثر الضيق والجوع في اصفهان وانقطع عنها الزاد من الخارج انقطاعا تاما فعاد الاهالي الى الالحاح على السلطان باخراجهم خارج الاسوار لمحاربة الاعداء ولم يجب طلبهم ولكنهم رأوا انهم اذا لم يموتوا في ساحة القتال ماتوا في مدينتهم جوعا فاصروا على القتال وتجهروا حول قصر السلطان يصيحون ويصنبون ويقولون هات لنا السلاح ومر العساكر ان ترافقتنا الى محاربة الاعداء فامرهم بالانصراف ولم ينصرفوا واضطروا الى امر حراسه ان يطلقوا النار عليهم فعظم الخطب وكان الاهالي على وشك ان يهجموا على السراي ومن

فيها ويغزبوا دولتهم بايديهم بدل ان يخرّبها الافغانيون لولا ان يمدارك احمد
 آغا الذي مر ذكره الامر بجهته وينقذ سلطانه بشجاعته وامانه ذلك انه
 نهى بعض الحراس عن اطلاق النار على الناس ووقف بين جمهور منهم وصاح
 بهم ان هيا بنا لمحاربة الافغانيين فعرفه القوم وداروا به من كل جانب وتبعوه
 الى خارج الاسوار فجمعوا على الافغانيين هجوماً عنيفاً وتكلموا بفريق كبير منهم
 وردوهم عن بعض المواقع وغنموا منهم سلاحاً وزادوا لولا قلة عددهم لتمكنوا
 من طردهم وانتقاذ المدينة منهم . ومن اغرب امور هذا التاريخ ان الوالي
 العربي لم يرق له عمل احمد آغا هذا فوشى به للسلطان واقامه ان هذا البطل
 الامين اتى امراً قريباً وصدقته السلطان على عادته فوبخ احمد آغا توبيخاً عنيفاً
 على صنيعه وانذره بالعقاب في حين ان الاهالي عن بكرة ابيهم كانوا يملفون
 باسمه ويشكرونه على بسائه وامانه . ورأى الجصي ما كان من مولاه فلم يفه
 ببنت شفة ولكنه سار الى منزله توتاً وبات ليلته فلما قام الناس في الصباح
 الثاني جاءوا اليه ليرأس جماعة منهم تريد القتال فرأوه ميتاً في سريره وعلموا
 انه تجرع السم عمداً مما لحق به من الغيظ بسبب تكدير مولاه له بعد احياؤه
 همم الاهالي وانتصاره على الاعداء مرتين فشق خبر موته على الاهالي واظهروا
 تأثيراً خارقاً للمادة

وكان بعضهم يريد الهجوم على سراي السلطان وقتله مع ذلك الوالي
 العربي اخذاً بشار احمد آغا فردهم العقلاء ومن ذلك الحين لم يعد لاهل
 اصفهان امل بالخلاص واشتد عليهم الضيق والجوع اشتداداً هائلاً حتى انهم
 صاروا يشترون الرغيف بموالي الف غرش ولما نفذ الخبز كله جعلوا يقتاتون
 بلحوم الحيوانات فاكلوها عن آخرها فعمدوا الى جنود الاشجار وبدأ بعضهم

ياكل بعضاً حتى ان الاب كان يقتل ابنه والام ولدها طلباً للقوت ووصل
 الاهالي كلهم الى درجة الجنون التي تعرف عن الناس في ساعة الجوع الهائل
 وكثر اكل الآدميين للآدميين وزاد عدد القتلى والموتى عن كل حد حتى امتلأ
 النهر بالجثث ووهنت القوى وضاعت العقول واستولى الجنون والذهول على
 المدينة — كل هذا والامير محمود يطيل الحصار وهو عالم بالنتيجة حتى رأى
 السلطان حسين واعوانه ان العناد بعد الذي تم لا يفيد وعزم السلطان على
 التسليم فليس السواد حداً على عزه الزائل ودار سيفه المدينة بأعوانه وهم
 مثله لابسون السواد من قمة الراس الى اخص القدم يودع الاهالي وبعضهم
 ويبشرهم بقرب الفرج لانه عزم على التسليم للاعداء وكان الناس مع كل ما
 اصابهم من الاهوال التي تفقد الرشديتة يتهربون سلطانهم واستقلالهم ولا يرضون
 لملكهم بهذا الذل فكبر الامر عليهم واكثروا من البكاء والنحيب ولكنهم رأوا
 ان التسليم اولى بهم من الموت جوعاً وبهذا قضى الامر

وفي اليوم التالي جاءت الرسل تخبر الامير محمود بعزم السلطان على
 التسليم فجلس في قصر من جملة القصور التي ملكها في ضواحي اصفهان ينتظر
 وصول السلطان حسين فلما وصل استقبله بالخيلاء والفتور وخاطبه السلطان
 حسين بما معناه "يا ولدي — ان اله الكائنات لا يريد ان املك زماناً
 اكثر من هذا وقد جاءت ساعة صعودك على عرش ايران فانا اتنازل لك
 عنه وعن السلطنة جعل الله حكمك سعيداً". ثم نزع السلطان العمامة الملوكة
 من رأسه ووضعها على رأس الامير محمود وقال له ان حكمت "احكم بسلام"
 فتأثر الامير الافغاني لهذا المنظر الذي يخطر الفؤاد وطيب قلب السلطان
 حسين فوعد باعتباره اعتبار الابن لايه وباصلاح حال الرعية ولبس التاج

في حضرة السلطان المتنازل واكبر دولته وهكذا انتهت ايام الدولة الصفوية
وكان ذلك في ٢٢ اكتوبر سنة ١٧٢٢ . وحكم السلطان حسين ٢٨ سنة
وهو من اشهر ملوك ايران بسلامة النية وضعف الرأي هكذا نتيجة الافراط
في الاشفاق في الملك

ولم يحكم ايران من الافغان غير اثنين هما محمود اشرف الذي
خلفه ولكن مدة حكمها كانت مملوءة بالحوادث الخطيرة التي تستحق
الذكر . وكان محمود قاسي القلب متقلب الطبع ولكنه اظهر في اوائل
حكمه على ايران فطنة ورغبة في اصلاح حال الرعية لم ينتظرها الناس منه .
ولما دخل اصفهان بعد ذلك الحصار الطويل جعل همه الاول انقاذ اهله
المساكين من غائلة الجوع فسهل طرق المواصلة والتجارة وبعث الجنود في البلاد
تحت الناس على جلب الحنطة والماشية الى المدينة حتى زال الضيق منها وعادت
الى سابق حالها فشكره الاهالي على هذا الصنيع وافر الشكر . ثم جعل يهتم
في اصلاح حال الحكومة وتسليمها الى اعوانه مع ابقاء ثقة الاهالي به وبقومه
فرأى بعد الامعان الكثير انه يضاف من الموظفين الايرانيين ويجشى ان
ينقلبوا عليه ولكنه لا يأمن عاقبة الخلل اذا هو ولي اهل بلاده المناصب الكبيرة
لعدم خبرتهم في الاحكام وجهلهم حاجات ايران ولهذا ابقى كل موظف ايراني
في عمله وعين معه افغانياً من اعوانه بصفة مساعد او مراقب فضمن بذلك
امانة الافغانيين وخبرة الايرانيين في الاحكام واظهر اقتداراً كبيراً في هذا
الترتيب المهم .

واظهر محمود كرهه لاصحاب الدسائس والخائنين الذين ساعدوه على
النصر لانه ظن انهم يخونونه كما خانوا حسين شاه من قبله فنكس بهم واقصاهم

كلهم مع انهم كانوا الواسطة في فوزه ولم يبق على احد منهم غير الوالي العربي ولكنه جرده من رتبته وقل اهميته ففرح اهل ايران لصنيعه هذا ومالوا اليه لانهم كانوا يكرهون اولئك الخائنين . وظهر محمود اعتباراً كبيراً لوزير السلطان حسين وهو الرجل العاقل الامين محمد قلي خان الذي ابى الخضوع للفتح الافغاني الا على شرط ان لا يضطر الى محاربة بهاسب ميرزا ابن مولاه السلطان حسين ورضي محمود بهذا الشرط وظهر الاعجاب به . وتساهل محمود مع الاوروبيين ايضاً فاطلق الحرية للاديان مثل غيره من ملوك ايران وساعد تجار الاجانب على بناء العامل فكسب بذلك تعلقهم به وهكذا ابتداءً حكم هذا الامير الافغاني والناس ولعة به ولكنه انتهى على غير ذلك كما سيجي .

على ان الصفاء لم يدم لمحمود الا اشراً قليلة لانه ما عتم ان جلس على العرش حتى وصلت بلاده كوكبة من الفرسان مرسله من قيصر الروس بطرس الاكبر لطلب التمويض عما لحق ببعض الروسيين من الالهانة والخسائر في شمالي البلاد فاجاب محمود هؤلاء الرسل ان لا قدرة له على مقاصد قبائل التتر على ما يقولون عنها فعادت بهذا الجواب الى مولاها وظهر بطرس الاكبر غيظاً وميلاً الى الفتح ومحاربة الافغانيين وتقدم على انحاء بحر قزوين فملك بعضها . وبينما محمود يستعد لتجريد الحملة على الروس بلغه خبر اعظم واهم هو ان سلطان الاتراك سمع بالذي اصاب ايران فاراد انتهاز الفرصة للانتقام من تلك البلاد وضم بعض ولاياتها الى سلطنته وخاف محمود خوفاً شديداً من ذلك وكان كل هذا لم يكف الامير الافغاني حتى قامت بعض المدن وجاهرت بالمصيان

فأمر الأمير في أمره وضاعت الدنيا في وجهه لان الذين كانوا حوله من الافغانيين لم يزيدوا عن خمسة عشر الف مقاتل ولاح له ان اهل اصفهان يريدون التدرب به والانضمام الى اعدائه فجعل يفكر في الخلاص منهم قبل سنوهم ودعا اكبرهم الى وليمة حضرها ثلاثمائة من اشرافهم فلما جلسوا في مواضعهم هجم الافغانيون عليهم باشارة محمود وقتلوه عن آخرهم وعرضوا جثثهم في احدى ساحات المدينة حتى يرهبوا بقية اهلها. ثم جمع محمود اولاد هؤلاء الاشراف وذبحهم ايضاً عن آخرهم وكان في معيته ثلاثة آلاف رجل من جيش السلطان حسين فأولم لهم ايضاً وليمة وامر قومه بالمجوم عليهم على حين غرة فقتلوه عن آخرهم. كل ذلك حتى يرهب الايرانيين ويقلل عدد الذين يخاف منهم في ايران فيمكن له على حسب ظنه ان يتقدم بعد ذلك الى مقاتلة غيرهم من الاعداء وهو لا يحسب للفيانة في مدينة اصفهان حساباً. وامر محمود رجاله ايضاً ان يقتلوا كل واحد كان في خدمة السلطان حسين فكثرت القتل والذبح واضطر سكان المدينة الى تركها فافترت من اصحابها وخلا الجو فيها للافغانيين

وكان محموداً تعب من التظاهر بالعدل والرأفة فعدل عن سيره الاول وظلم الناس ظلماً هائلاً حتى لم يعد يهناً له عيش بغير القتل والمجازر ووقع أكثر هذا الظلم على اهل اصفهان وما يجاورها حتى انه وصل الى الاجانب الذين كان لهم التعامل في تلك الانحاء مثل الانكليز والهولانديين والهنود وغيرهم

فلما افترت اصفهان من اهلها جاء محمود بقبائل من الاكراد واسكنها تلك المنازل الخالية وهو يومئذ الفوز بواسطتها وجند معظم رجال

الاکراد الذين اسكنهم المدينة وحارب بهم بعض مدن العراق فاخضعها
وقتل من قدر على قتله فيها وهو يزعم ان هذه المذابح خير واسطة للخلاص
من اعدائه. وارسل هذا الفاتح قسماً من جيشه على مدينة شيراز فاخضعها بعد
عناء كبير واعمل السيف في اهلها ثم تقدم بنفسه على بعض الانحاء المجاورة
لجزيرة العرب فعاد عنها خائباً مدحوراً ولم يشأ عند عودته ان يدخل
عاصمته على هذه الصفة فدخلها في الليل متنكراً او جعل ينتظر قدوم النجيدات
من بلاده الاصلية وهي التي قضى مدة وجوده في ايران ينتظرها فوصلت
في آخر الامر وخيبت آمال محمود لان العدد كان قليلاً والهمة فاترة وكان
اعداؤه قد اشاعوا في بلاده اخبار جورهم وظلمهم واتهموه بالليل الى تغيير
اعتقاده وغير هذا من الامور التي اضرت به واخرت الافغانيين
عن نجاته

واشتهر بعد ذلك ان رؤساء الجيش الافغاني غير راضين عن محمود
واشهرهم يومئذ اشرف ابن عم محمود واحد اصحاب النفوذ الكبير بين قومه .
فلما احس محمود بذلك استرضى قريبه اشرف وجعله ولي عهد السلطنة
ووارث ملكه من بعده ولكنه لم يسترح بهذا من القلق والمهم فصار معظم
خوفه من جيشه واهل بلاده لا من الايرانيين الذين هالم ظلمه وقطعت فعاله
قلوبهم حتى قيل ان الجندي الواحد من الافغانيين كان يسوق الخمسة
والعشرة امانه من اهل اصفهان سوق الانعام للذبح ولا يجسر اهل هذه المدينة
على الاعتراض . واما بنية الايرانيين فاظهروا بسالة واقداماً كثيرين خلافاً
لاهل مدينة اصفهان ولعل السبب في ذلك ان اهل هذه المدينة اعتادوا
الترف في مدة الدولة السابقة ونسوا امور القتال

واشتد القلق والجزع على محمود حتى اعترى هذا الفاتح الهوس او انه
اصيب بمس من الجنون فبزل جسمه وغارت عيناه وانقلبت سمته وتغيرت
اطواره ولم يعد يمكن له الراحة ليلاً ولا نهاراً وصار القنك بالابرياء اقرب
الامور اليه حتى صار حكمه مصيبة كبرى على الذين تحت امره . وحدث
انه سمع في تلك الاثناء بان احد اولاد السلطان السابق (حسين شاه) فرّ
من اصفهان فاشتد خوفه وحقده الى درجة الجنون المفرط حتى انه امر
بجمع حسين شاه واولاده كلهم في احدى الحدائق وكانوا يزيدون عن اربعين
اميراً فلما صاروا في ذلك الملح احاطهم بالجنود وتقدم بنفسه والسيف مشهور
في يده فجعل يقتل اولئك الابرياء ويقطع اجسامهم ومنظر والدم حسين
شاه يفتت الاكباد والاعوان من حوله يشفقون ويسخطون على تلك القسوة
الوحشية وهو هائج لا يكتفي بالقتل وشرب الدماء حتى قتل الامراء عن
آخرهم بيده ولم يبق منهم غير طفلين صغيرين فرّا الى والدهما حسين شاه
ليخلصا من القتل فامسك ذلك السلطان المنكود الحظ بالولدين وظلها بيديه
وهو يرجو محموداً ان يقتله قبل ان يقتلها فلم يصغ ذلك الظالم الجنون لقوله
وطعن احد الولدين بمجنجه فتلقى السلطان حسين الطعنة بيده وسال دمه
فصاح من الم الجرح والم الحزن الكثير وكانما محموداً افاق من جنونه لما رأى
ما اصاب حسين شاه الذي ربي على اعتباره واكرامه فرجع عن غيه وابقى
الولدين في عداد الاحياء

وكان تأثير هذا الفعل المرعب المائل شديداً جداً فاوصل محموداً الى
آخر درجات الجنون الخطر ولم يبق امل بشفاؤه لانه صار يبيح ويضرب نفسه
كل يوم ولم يعد يعي على شيء فكثرت صلوات الناس الى الله من اجله حتى

ان الافغانيين رجوا جيرانهم من المسيحيين واليهود ان يعاونوهم في الصلاة فلم يجد كل ذلك نفعا. فلما رأى اعوانه ذلك وكانوا يرون ان تهاسب ميرزا ابن الشاه حسين الذي ذكرنا خبر فراره من اصفهان عزم على مهاجمتهم اجتمعوا وقرروا تنصيب اشرف على عرش ايران بدل محمود لئلا تضعف احوالهم فقبل اشرف السلطنة وامر في الحال بقتل محمود لانه كان يكرهه كرها شديداً وقيل ان ام محمود امرت بخنقه في سريره تخفيفاً لآلامه التي صارت لا تطاق في آخر ايامه. ولم يصب ظالم بمنزل ما أصيب هذا الطاغية الافغاني من العذاب المهائل والالم المميت. وحكم هذا الفاتح السلطنة الايرانية ثلاثة اعوام فقط ولم يفتح ايران ملك من قبله بجيش صغير واستعداد قليل مثله وكان السبب الاكبر في فوزه انجلال الدولة الصفوية وضعفها في ايام السلطان حسين وامتياز الافغانيين على اهل اصفهان في البسالة وكثرة الانقسام والفساس في بلاد ايران. ومات محمود في سنة ١٧٢٥

وكان تهاسب ميرزا ابن السلطان حسين يسعى من يوم فراره من اصفهان برد الملك الى عائلته فلم ينجح في اول الامر وكان على وشك الانزواء حتى اذا علم بتقدم الاتراك على بلاد ايران في ايام محمود الافغاني وسمع بهجوم الروس من ناحية اخرى خطر له ان يوالي هاتين الدولتين وان يوافقهما على ابتلاع ما تريدان من السلطنة على شرط ان تسعيا برد الباقي منها اليه فخابر سلطان الاتراك ولم يفلح في الامر واما اسماعيل بك سفيره في بطرسبرج فنجح وعقد باسم مولاه معاهدة مع القيصر مؤداهما ان تنازل ايران عن ولاياتها الشمالية لروسيا وفي جملتها دربند وداغستان وشيروان وكيلان ومازندران واستراباد وان يسعى قيصر الروس لقاء ذلك في طرد الافغانيين

من ايران وردھا الى العائلة الصفویة . وكان الاتراك وقتئذٍ يفتخون
 البلدان المجاورة لاملاكهم ويضيفون الولايات الايرانية الى املاكهم ففتحوا
 بلاد كردستان وخوى وٲحچوان واپروان ومراغة وارمينيا ومعظم اذربايجان .
 وتفرد اهل تبريز في وسط هذه الحروب ببسالة واقدام عجبين لم يسمع باعظم
 منها في تاريخ ايران فان هؤلاء الابطال مع قلة عددهم وخلو مدينتهم من
 القلاع والحصون تمكنوا من رد الاتراك على اعقابهم وقتل الغدد الوافر منهم
 فحاول قائد جيش الاتراك دخول مدينتهم مراراً ولم ينجح ولهذا فرّ بن
 بقي من جيشه فتمقبه اهل تبريز ونكلوا بالالوف من رجاله . ولما بلغ اهل
 تبريز ان بقية جيش الاتراك هذه جعلت همها الانتقام من اهل اذربايجان
 على ما لقيت من الكسر امام مدينتهم قصدوا الاعداء ليردوهم عن مواطنهم
 ففرح الاتراك بذلك لانهم كانوا يظنون ان التبريزيين سعوا الى حثهم بظلمهم
 بمثل هذا البعد عن مدينتهم وهجموا عليهم بثمانين الف محارب فاهلكهم
 التبريزيون عن آخرهم وعادوا الى مدينتهم غانمين . فلما بلغت هذه الاخبار
 مسامع اهل الدولة في الاستانة قاموا لها وقعدوا وارسلوا جيشاً جراراً لا يقل
 عن مائة وخمسين الفا من ابطال الحرب لمقاتلة اهل تبريز وقتلهم فلما علم القوم
 بذلك نقلوا عيالهم وامتعهم الى جبال گيلان وظلّ الرجال داخل اسوار
 المدينة للدفاع والحرب فلما جاءهم الاتراك وكانوا اضعاف عددهم ومعهم ما لا
 يوجد في تبريز من الاسلحة والمدافع اظهر الايرانيون بسالتهم الاعتيادية في
 الدفاع وقتلوا من اعدائهم خلقاً كثيراً ولكنهم لم يروا الى النصر سبيلاً مع
 مثل هذا العدو الكبير بعد ان حصروا ستة اشهر فرضوا بعد الحصار بالتسليم
 على شرط ان يسمح لهم الاتراك بالرحيل من مدينتهم مع عيالهم وامتعهم فقبل

الباشا التركي بذلك وجاز هؤلاء الابطال في وسط الأعداء متقلدين السلاح وهم راحلون عن مدينتهم بعد ان قتل منهم فيها نحو ثلثين الفاً في مدة الحرب الاخيرة وقتل من الاتراك مثل هذا العدد ايضاً

كل هذا حدث في ايام محمود بينما كان الروس يملكون الاراضي الشمالية على ما قدمنا وكانت روسيا وتركيا متفقتان على تقسيم ايران على هذه الصفة وترك القليل الباقي منها لتهايب ميرزا هذا اذ ارضي بذلك واما اذ هو لم يرض فكان الاتفاق ان يوضع على عرش ايران ملك آخر من عائلته . وانفقت الدولتان ايضاً على مقاومة الافغانيين وطردهم من ايران

فلما رقي اشرف عرش ايران ظنّ أعوانه من الافغانيين انه يقوى بمحنته المهدودة على التخلص من تلك المتاعب والتغلب على جميع الأعداء وكانت تقتم به عزيمة . واما هو فكان يفضي اولئك الاعوان ويظن بهم سوءاً اكثر من سائر اعدائه وجعل همه الاول التخلص منهم فقتل بعض اكابرهم وقوادهم في الحال لانهم اخلصوا الولاء لابن عمه محمود من قبله وكان في جملة الذين قتلهم جماعة من الذين ساعدوه على ارتقاء العرش والذين جمعوا الشيء الكثير من ثروة ايران فضمّ ما لهم الى ماله وظنّ انه استراح بذلك من القلاقل والدسائس الداخلية . وسرّ اهل اصفهان من بطش اشرف باصحابه وقتله لجماعته الظالمين فلما آس هذا منهم بدأ يستعمل الحيل لاستمالتهم واسترضائهم واعان انه ساخط على محمود وغيره من الذين اظهروا القسوة والتوحش في معاملة الايرانيين ثم انه استدعى السلطان حسين وعرض عليه رد الملك اليه ففهم حسين شاه انها حيلة لاكتساب رضى القوم وامتنع عن قبول الملك شاكرًا فضل اشرف . وكان اشرف قبيل

ارتقائه يخابر تهاسب ميرزا ابن السلطان حسين في امر الصلح ويدعوه
 للقدوم الى اصفهان ففرح تهاسب ميرزا بهذا الخلاف بين اعدائه وقبل
 دعوة اشرف فقام قاصداً اصفهان وبلغه في الطريق ان محموداً قتل وان
 اشرف خانته على السلطنة فزاد فرحه لان الوفود كانت تأتیه كل يوم من
 الامير الجديد تدعوه الى زيارته. وكاد اشرف ان ينجح في حيلته ويقبض
 على تهاسب ميرزا باهون سبيل لولا ان يسرع بعض الصادقين الى تهاسب
 ويعلمه بنية اشرف وكيفية معاملته للذين يخشى مزاحمتهم فارتد الامير الايراني
 على الاعتقاد الى مازندران وعاد الى السعي في تأليف جيش يجارب له
 الافغانيين

وجعل اشرف همه الخلاص من عداء الروس والاتراك بعد ان فتك
 بن فتك من قومه وعمد في ذلك الى الحيلة والسياسة فارسل الرسل الى
 الاستانة ليطلب المخابرة في الصلح وبث بين علماء الاستانة شكوى العلماء
 السنيين من محاربة دولة الاسلام التركية لدولة اسلامية اخرى واتحادها مع
 دولة نصرانية على خرابها ومن تفضيل السلطان التركي للعائلة الصفوية وهي
 شيعية على العائلة الافغانية وهي سنية مثله ومثل قومه. فتمسك علماء الاستانة
 بهذا الرأي واقفلوا حكومتهم بالمجاهرة فيه حتى رأت الحكومة التركية ان
 عدائها لاشرف وقومه ستجر عليها المتاعب ولكنها لم تعدل عن مقاصدها في
 محاربة الافغانيين وادعت ان سبب الحرب هو عدم انقياد محمود واشرف
 الى سيادة السلطان الدينية على جميع المسلمين وعدم اعترافهم له بالخلافة
 وعلى هذا وجد اشرف ان كل مساعيه لم تجدي نفعاً وان الحرب مع
 الاتراك لا بد منها. وسمع بعد قليل ان جيشاً كبيراً من الاعداء قادم لمحاربه

والاستيلاء على عاصمته فبنى حصناً كبيراً في وسط اصفهان نقل اليه حائلته وذخائره وعزم على نقل كل الافغانيين اليه في ساعة الشدة ثم امر بتدمير كل القرى المحيطة باصفهان حتى يصعب على الاتراك الوصول اليها ومهاجمتها. ولما قرب الاتراك من اصفهان استعد اشرف للقتال وكانت احدى فرقه قد انفردت عن بقية الجيش فعلم بها اشرف وهاجها بكل قوته وقتل كل افرادها ولكنه رأى منهم بسالة هائلة فعاد الى دس الدسائس ونقل الى العساكر التركية ومن كان معها من الاكراد ان صنيع الحكومة التركية حرام مناب للشرع الشريف لان الافغانيين مسلمون سنيون مثل الاتراك والسلطان يجارهم لغير داع غير نصره النصارى والشييعين عليهم قال اليه معظم الاكراد وفريق كبير من الاتراك حتى انهم عولوا على عدم مقاتلته. ثم ارسل اشرف وفداً من المشايخ الذين جلهم الشيب الى وسط المعسكر التركي ليقابلوا القائد ويخبروه في الكف عن القتال فدخل هؤلاء المشايخ معسكر الاتراك وهيئة السكينة والوقار عليهم وخطبوا الباشا التركي في شأن ما تقدم والناس من حولهم يسمعون فأجابهم احمد باشا - وهو قائد جيش الاتراك - انه جاء ليجارهم بامر مولاة سلطان المسلمين لان امراء الافغان لا يعتبرونه رئيساً دينياً عليهم ولم يسمع لم قولاً. وحدث ان نداء المؤذن قرع الاسماع وقتئذ فقام المشايخ الافغانيون للصلاة وصلوا مع الاتراك وهم يظهرون التقوى ويطلبون الى الله بصوت عالٍ ان يمنع الحرب من بين المسلمين وان يهدي القلوب الى الاتحاد ولا يجعل خراب المسلمين على يد المسلمين فاثرت هيئتهم تأثيراً كبيراً في جنود الدولة التركية وتبعهم جمع غفير من الاكراد والاتراك يعدونهم بالامتناع عن محاربتهم فرأى احمد باشا ان هذا الروح سوف يسري بين

جنوده واسرع الى ابتداء القتال في الحال وكانت قوته تقرب من ستين الف مقاتل وسبعين مدفعا ولم يكن مع الامير الافغاني اكثر من نصف هذا العدد ولكن المعركة انجحت عن انتصار الافغانيين وتقهقر الاتراك وكان في امكان اشرف ان يقتل عدداً كبيراً من اعدائه ويطردهم من البلاد طرداً بعد تلك المعركة ولكنه استعمل الحكمة المعروفة عنه ونهى رجاله عن الفتك بالاسرى ومطاردة الفارين بدعوى انهم اخوان لهم في الدين وان اللوم في الحرب على الروساء لا على الجنود والحقيقة انه كان يعلم قوة الاتراك ويخشى بأسهم وكان يريد التفرغ من محاربتهم او الاتحاد معهم لمحاربة الروس فاقى ما يأتيه اصحاب الفطنة في مثل هذه الاحوال

وفر القائد التركي الى كرامانشاه ومنها الى بغداد بعد ان ترك كل مدافعه وذخائره الحربية غنيمة للاعداء فارسل اليه اشرف يقول انه لا يريد اغتنام مال المسلمين ويرغب في ارجاع ما لديه من مال الاتراك ما خلا السلاح اذا اراد احمد باشا استرجاعها فبعث اليه احمد باشا من يستلم ذلك وقام اشرف بوعده واطلق سبيل الاسرى وهو يظهر لهم الاخاء واستمال قلوبهم بذلك حتى عم اعتباره وحبته بين جنود الاتراك ورأت الدولة العثمانية ان رجالها لا يقدمون بعد كل ذلك على محاربة اشرف فاضطرت الى عقد الصلح معه على ان يرضى اشرف باستيلاء الاتراك على الاراضي التي فتحوها في مدة السلطان محمود ويعترف بالخلافة للسلطان التركي وان يقر السلطان له بالملك على ايران ويمتنع عن محاربتهم او معالفة الروس عليه ولم يمكن ان يعقد صلح اكثر من هذا نفعاً للافغانيين . ففاز اشرف بمنتهى وظهر للملأ انه امتاز نلى اهل زمانه بالدهاء والذكاء كما انه تفرد في الاقدام والبسالة

كل هذا وتهاسب ميرزا لم ينفك عن السعي وراء ارجاع الملك الى عائلته وكان السعد اراد خدمته فسخر له اثنين من مشاهير الرجال ومن رؤساء العشائر هما فتح علي خان الذي هو جد العائلة المالكة في ايران الآن ونادر قلي خان والثاني هو نادر شاه الذي صار من اعظم ملوك الزمان وسوف يأتي ذكره وذكر حكمه على ايران بعد هذا . وتمكن تهاسب ميرزا من فتح مدينة نيشابور بقوة نادر قائده الباسل ومن ثم زادت قوته وعظمت آماله فارس هذا القائد الشهير لاخضاع خراسان وما يجاورها من البلدان فاحضنها بعد ان قتل خصمه فتح علي خان اغتيالاً ولم يعاقبه تهاسب شاه على هذا الصنيع لانه كان سيفه القاطع . ثم اخضع مدينة هرات ومدينة مشهد وعظمت قوة تهاسب شاه بعد ذلك ولكن القوة الحقيقية كلها كانت في يد نادر فلما سمع اشرف بذلك وكان قد انتهى من حرب الاتراك وعقد الصلح معهم علم ان الخطر كله صار من هذه الناحية فجمع كل قوته وهي يومئذ لا تزيد عن ثلثين الف محارب نصفهم من الافغانيين واستعد للمعاربة تهاسب شاه والبطش به غير انه اتى امراً اضاع منه الملك ودل على غير ما اشتهر عنه من الحكمة والذكاء ذلك انه لما خرج للقتال ورأى ان جنوده لا تكفي لحفظ المدن الكبرى والهجوم وضع في كل مدينة حرساً قليلاً والعدد واظهر خوفه من الاهالي فامر الرجال منهم بالابتعاد عن هذه المدن مدة الحرب او يعاقبون بالقتل فاضطر رجال الايرانيين الى ترك مدنهم وعيالهم واعمالهم ولم يروا امامهم غير الانضمام الى جيش تهاسب شاه ونادر وكانوا هم السبب في سقوط اشرف لانهم حاربوا مع قواد بلادهم حرب المستنقل المدافع عن نفسه واهله وماله . ونقدم اشرف بباقي رجاله الى خراسان فالتقى بنادر ورجالهم على مقربة

من مدينة دامغان وتعارب الفريقان حرباً عنيفةً دامت عدة ساعات كان النصر في آخرها تاماً للايرانيين وفرّ الافغانيون بعد ان قتل منهم عدد غفير وفقدوا كل ذخائرهم ومعظم اسلحتهم وقصدوا مدينة اصفهان حيث جمع اشرف ذخائره وعائلته في الحصن الذي بناه وكان ذلك في ٢ اكتوبر سنة ١٧٢٩ ولما رأى تهماسب شاه ان النصر تمّ له ولم يبقَ عنده ريب في ان الملك عاد الى هائلته اراد الاسراع الى مدينة اصفهان وكان يؤكد ان كل الايرانيين يساهدونه على الخلاص من اشرف وقومه لانهم كانوا يفدون عليه الوفا كل يوم . غير ان نادر كان ينوي النيات البعيدة التي حقت بها الايام بعد هذا ولم يجارب الافغانيين الا ليهد السبيل لنفسه حتى يرقى عرش ايران يخاف ان تعظم سطوة تهماسب شاه ويشتد تعلق الناس به اذا هو دخل اصفهان بعد ذلك النصر فيعسر عليه اتمام ذاباته ولهذا اقنع مولاة بكل حيلة ان يبقى في موضعه وتقدم هو (نادر) الى اصفهان لمحاربة العدو حتى اذا طرده منها بعث اليه بالخبر وتقدم تهماسب شاه الى عاصمة آبائه واجداده . فرضي تهماسب شاه بهذا على كره منه وتقدم نادر على اصفهان فوجد ان امتلاكها بعد الذي تمّ ليس بالامر السهل . ولم يطل عليه الحال حتى علم ان الافغانيين ينوون الفرار ولكنه لم يسمع الى قطع الطرق عليهم فتمكن اشرف وقومه من ترك اصفهان بما معهم من المال والذخائر وكانوا ينوون قتل اهل اصفهان عن آخرهم قبل هذا الفرار فلم يمكن لم ذلك غير ان اشرف اقترب ائماً فظيماً هو انه قتل السلطان حسين قبل فراره فسوّد ذكره بهذا الفعل الشنيع ومات السلطان حسين المسكين بعد ان رأى من المصائب وسوء البخت ما لم يره ملك من ملوك ايران قبله

ودخل نادر مدينة اصفهان فوجد الخراب فيها كثيراً والويل اكثر وتوارد عليه الايرانيون من كل جانب يهتفون بالنصر وهم في حال يرثى لها من الذل والويل فملهم على الطمأنينة وشرع في البحث عن تخلف في المدينة من الافغانيين فقتلهم ما خلا بعض الذين اشتهروا بالانصاف وحب المسالمة منهم وسمع تهاسب شاه بوقوع اصفهان في قبضة رجاله فاسرع اليها ودخلها عقيب فرار الافغانيين منها فرأى آثار الظلم والقسوة بادية في كل مكان وعلى كل وجه وبكى لمصاب قومه وكان يظن ان عائلته كلها انقرضت فلقي والدته حية وكانت قد تنكرت مدة وجود الافغانيين وخدمت اعيانهم خدمة الجوارى فلم يعلموا بها وابقوها حية حتى اذا عاد ابنها الى اصفهان جاءت اليه وعانقته وفرحت به وكان فرح تهاسب بقاء والدته عظيماً

ثم تقدم نادر وراء الفارين من الاعداء فلحق بهم في مدينة شيراز وحاصرم ولما خابروه في الصلح لم يسمع لهم قولاً فانقسم الافغانيون بامر اشرف الى عدة فرق وفرت كل فرقة من ناحية وكان اكثرهم يقتلون النساء والعاجزين منهم حتى لا يقوا سيفي يد الايرانيين . وهب الايرانيون في وجه هؤلاء الفارين من كل ناحية حتى قتلوا اكثرهم واذاقوهم البلاء الاكبر وكان اشرف على وشك الوصول الى بلاده لولا ان يقوم عليه بعض البلخييين في الطريق ويضطروه الى الفرار بنفسه ولكن هذا الامير القليل الحظ ظل يدور وحده في القفار حتى عثر به واحد من اهل بلوخستان وعرفه فقتله في الحال وارسل رأسه وجوهرة كبيرة وجدت معه الى تهاسب شاه في اصفهان وبذلك تلاشت قوة الافغانيين وسقطت دولتهم بعد ان حكمت ايران حوالي ثمانية اعوام وذلك عام ١٧٢٩

نادر شاه

قلنا فيما مرّ انه لما طرد الافغانيون من ايران وعاد الملك الى قبضة
تهاسب شاه صارت القوة كلها الى يد نادر قلى قائد جيش ايران وبطلها
الباسل الذي طرد الاعداء وطارت شهرته في كل الانحاء حتى لم يبق لها سب
غير الاسم واما القوة كلها فكانت في يد نادر لاسيما من بعد ان هادت
اصفهان الى قبضة الايرانيين وعين نادر حاكماً على خراسان وخوارزم
وسيدستان وكرمان وهي اكبر ولايات السلطنة الايرانية . واعطي نادر القوة
لصك النقود باسمه وجمع الجيوش تحت رايته فلم يبق في بلاد ايران جندي
يريد الانتظام في العسكرية الا تحت قيادته وظهر للملاء انه سوف يصير سلطان
ايران بالاسم والفعل يوماً وكان هو يسعى الى ذلك ولكنه تأخر عن انفاذ
رغائبه حتى تجيء الساعة المناسبة

واما اصل نادر فمن عشيرة الافشار في بلاد خراسان وكان والده من عامة
الناس وظل هذا الرجل العظيم الى آخر ايامه لا يذكر اصله الحثير ولا يدعي
الشرف ولا يريد التباهي بغير القوة والبسالة حتى انه لما سأل بعض يوماً من
حاشية سلطان المندحين فتح دلهي عاصمة المند عن حسبه ونسبه حتى يسلموا بزواج
ابنه لابنة سلطانهم حسب هادتهم قال الذين جاؤا اليه بهذا السؤال اخبروا
هو لاه القوم ان ابني نادر شاه ابن السيف ابن السيف الى الجيل السبعين .
ولد هذا الرجل العظيم في ١١ نوفمبر سنة ١٦٨٧ فلما شب رأى بلاده
في حالة الفوضى من ضعف الحكومة وهجوم قبائل التتر عليها حيناً بعد حين
على مارويتنا في الفصول السابقة من هذا التاريخ فصارت الاحوال ثقيل

عليه وهو يوماً يؤخذ اسيراً ويوماً يخدم عمال السلطان ويوماً ينظم فرقةً من اللصوص تسطو على البلاد وتنهب الاموال حتى اشتهر امره مثل اكثر اللصوص المشهورين واستدعاه حاكم خراسان اليه بجلاءه ولقي منه الاكرام واستعان به الحاكم على محاربة النتر مدة ثم ظهرت منه امور اوجبت خلعه من وظيفته واهانته فصعب ذلك على نادر وعاد الى حاله الاول فانشأ عصبة من اللصوص جعل الرجال ينضمون اليها الوقاً حتى صار هدد جيشه نيف وثلاثة آلاف محارب وخافت الحكومة سطوته فسمي بعض افاربه في ضم قوته الى قوة تهااسب ميرزا يوم كان هذا الامير يحاول طرد الافغانيين من بلاد ايران وتم الامر على ذلك فصار نادر من ذلك اليوم اعظم اعوان تهااسب ميرزا وكان منه ما كان مما سردنا بعضه في الفصل السابق

وظل هذا البطل يتربص سنوح الفرصة لخلع تهااسب والجلوس على عرش ايران حتى تم له ذلك بواسطة الحرب مع الاتراك ذلك ان الاتراك كانوا في ذلك الحين يحاربون الانحاء الغربية من ايران وقد استولوا على قسم عظيم منها كما مر فتقدم نادر لمحاربتهم والتقى بجموعهم في انحاء تبريز واردبيل ففرقها وحطمها وانتصر عليها انتصاراً تاماً ثم تقدم منها الى مدينة اروان وبدأ بمحاصرتها بجلاءه ساحة الحصار خبر من اخيه في خراسان يقول له ان الافغانيين شنوا الغارة على البلاد وان الثورة عمت انحاءها. ولما كانت خراسان من الولايات الخاصة به اضطر الى الاسراع اليها ومقاصة الجانين فيها فترك الاتراك في مواضعهم وسار الى خراسان فنكل بالافغانيين واعاد الراحة الى تلك البلاد. ولما كان نادر في الحرب مع الافغانيين في خراسان زين البعض تهااسب ان يزحف على الاتراك ويحاربهم ويتم الذي شرع فيه نادر من

امر طردهم فسمع رأي القائلين به من اهل اصفهان وقام في الحال بن لديه الى ساحة القتال واعاد الكرة على جيوش الاتراك ولكنه لم يكن من اصحاب الدراية والقيادة فكسر شركسرة وخسر كل الذي رجحه نادر في الحروب السابقة حتى انه اضطر الى عقد الصلح مع والي بغداد على ان يترك للاتراك الأراضي الواقعة وراء نهر اركس ولم يشترط على الاتراك رد الاسرى الايرانيين الذين كانوا في قبضتهم. فلما رجع نادر من حرب خراسان وسمع بهذا الصلح المريب استشاط غيظاً وبعث الى تهماسب شاه يوبخه على القبول به وارسل الكنب الى كل الحكام في الولايات يعلمهم بانه لا يرضى لبلاده وقومه مثل هذا الصلح وانه عازم على محاربة الاتراك ومصالحتهم على شروط انب من هذه او اخضاعهم وطلب مساعدة الحكام فهاج بهذا المنشور الخواطر على تهماسب ميرزا ولاح له من ذلك انه صار على وشك الوصول الى العرش. ثم تقدم نادر الى مدينة اصفهان وحالما وقع نظره على مولاة السلطان تهماسب شاه بدأ يوبخه على مسمع من الخدام والاعوان ثم تظاهر بالصفح عما فات ودعا السلطان الى وليمة في حديقة قصره فاجاب السلطان الدعوة في ذلك المساء فالتقى نادر القبض عليه ونفاه الى خراسان بعلة عدم كفايته وولي مكانه عباس ميرزا ابنه وهو يومئذ طفل صغير. كل ذلك لانه كان يخاف عاقبة التمدي الظاهر واختلاس الملك قبل ان تستعد الافكار لذلك استعداداً تاماً.

ولما تم اتوبح الطفل عباس شاه واقام نادر نفسه وصياً عليه زحف بكل قوته لمحاربة الأتراك في بغداد فوصل اليها وجعل يحاصرها وكان على وشك ان يفقها لولا ان اتصل نبذة من الاتراك تمعت قيادة احد مشيريم وترده عنها وكان جيش الاتراك يزيد عن جيشه زيادة كبرى في العدد والعدة

فتقهقرا الايرانيون مع ان نادراً فعل فعال الابطال واضطر هذا البطل العظيم الى الرجوع عن بغداد ونواحيها بعد ان دامت المعركة ثمانى ساعات وتفرق الايرانيون ايدي سبا وبلغ عدد قتلاهم ٤٠ الفاً

ولم يؤثر هذا الفشل الكبير بنادر شاه بل انه زاد همته وشده عزيمته فانه حال وصوله الى همدان شرع في لم شعثه واذفع الرواتب الى عساكره ومواساة اهل المصايب منهم وتشجيع الباقين وحضهم على اخذ الثار فاجتمع لديه خلق كثير وبدأ ينظم الجنود الجديدة ويديرها وهو ينوي البطش بالاتراك حتى اذا جاءت الساعة وتبع الاتراك بكل هذا الاستعداد ارسلوا جيشاً عظيماً لمحاربتهم تحت قيادة المشير توبال عثمان باشا وكان بطلاً مغواراً الا ان الحظ لم يساعده لان نادراً التقى بطلائع جيشه فزمرها ووصل المنهزمون الى مركز الجيش والاييرانيون يطاردونهم حتى اذا التقى الجيشان وانتشبت القتال فاز الايرانيون فوزاً عظيماً وقتل من الاتراك عدد عظيم وفي جملةهم قائد الحملة وجاء به قاتله الى نادر شاه فظهر هذا الرجل العظيم مروءة الابطال وظهر كل احترام لجثة خصمه الباسل وبذلك عظم قدره ولم يبق له معاند في كل ايران من بعد هذا السير العظيم

وعقد نادر الصلح مع والي بغداد بعد هذه الحرب ثم زحف على بعض الولايات الثائرة في جنوب ايران ليغضها وتم له ذلك ولكنه علم حال انتصاره على الثائرين ان سلطان الاتراك ابي التسلیم بالصلح على ما اتاه والي بغداد مع نادر فارسل جيشاً آخر تحت قيادة عبد الله باشا لمحاربتهم والنفوز عليه . فلما تحقق نادر هذا الخبر عاد بكل قوته الى محاربة الاتراك والتقى بجموعهم في سهول ارمينيا وكان الاتراك اكثر عدداً من رجاله فقام نادر في قومه

مريضاً لم على الجهاد وبذل المستطاع ثم هجم على الاعداء هجوم الاسد الكاسر واستمر القتال مدة طويلة وجيش ايران يبطش بالاعداء ايها حول نادر وجهه حتى عم الرعب قلوب الاتراك بعد ان قتل منهم اربعة عشر الف وبدأوا بالتقهقر فوصل بعض الايرانيين الى عبد الله باشا وقتلوه وكان نادر يظن ان القتال انتهى بذلك فلما ثبت له ان قوة الاتراك لم تنزل عظيمة وانهم معولون على النزال رفع رأس عبد الله باشا على حربته ليراه الكمل فتحقق الاتراك ان قائدهم قتل فذعروا وفروا وكان انتصار الايرانيين عليهم عظيماً واستولى نادر بعد هذا على مدينتي كنجه و تفليس وجميع بلاد القوقاس ثم عقد صلحاً مع الاتراك من مقتضاه اعادة ايروان والقارص وكافة الاملاك الايرانية السابقة الى سلطان ايران واضطر الاتراك الى القبول بالمعاهدة التي عقدها مع والي بغداد وجئنا على ذكرها . وعاد هذا الفاتح العظيم بعد النصر الى اصفهان سالماً فانما فكان لدخوله يوم عظيم احتفل به الايرانيون احتفالاً باهراً

ولما انتهى نادر من كل هذا عول على جعل نفسه ملكاً لايران بالاسم والفعل ايضاً وكان الطفل عباس شاه الذي اقامه شاهاً قد مات فارسل نادر الكتب الى كبراء ايران وامرائها يدعوهم الى حضور الاحتفال بيوم النوروز المشهور فجاء منهم نحو مائة الف رجل في صحراء (مغان) باذر بايجان ولما تكامل عددهم وانقضى دور الاحتفال قام نادر بين جموعهم واعلنهم بوفاة ملكهم عباس وطلب اليهم ان ينتخبوا لم ملكاً غيره . يقدر على حفظ كرامة المملكة متظاهراً بالتعب من ادارة الاحكام والميل الى الراحة بعد ان اراح البلاد من الافغانيين والاتراك والروس وانسحب الى خيمته ليتداول الامراء في غيابه . ولم يمض الا القليل حتى بعث الامراء يطلبونه واعلنوه انهم اجمعوا

على تنصيبه ملكاً دون سواه فظاهر بعدم الرضى وتمنع كثيراً حتى انه ظل شهراً كاملاً يأبى قبول هذا الشرف العظيم الى ان علم ان الافكار كلها استمدت لما يريد بجاهر بالقبول ولكنه اشترط على اهل بلاده لقاء ذلك ان يتحدثوا قلباً وقالباً مع السنيين وشدد في ذلك فتبعه بعض الناس ولم ير مقاومة في هذا الامر وعلى ذلك توج نادر شاه ملكاً في ايران باحتفال كبير وصدر منه امر مطول يدعو فيه اهل ايران الى استعمال السلاح وتعلم المعارف والمواخاة مع السنيين وذلك في شهر صفر سنة ١١٤٩ الموافق سنة ١٧٣٦ مسيحية

واما غاية نادر شاه من هذا التغيير فكانت الخلاص من المائلة الصفوية لان جدها اسمعيل شاه ادخل المبادئ الشيعية الى ايران كما تقدم ولعله كان يريد التقرب من السنيين في الانحاء الاخرى وتسهيل الفتح وضم الممالك على نفسه حتى اتى هذا الامر الغريب . ولكنه لم ينجح في هذا المشروع الا نجاحاً ظاهراً وقتياً وظل الايرانيون على اعتقادهم المعروف ودخل نادرشاه مدينة اصفهان بعد ثويجه بابهة كبرى وبدأ يستعد لفتح الممالك فغراد التخلص قبل كل شيء من الافغانين وسحق قوتهم وجمع جيشاً لا يقل عن ثمانين الف محارب قصد به اخضاع امارة قندهار وهي يومئذ لاني السلطان محمود الفاتح الافغاني الشهير . ورأى قبل التقدم على تلك البلاد ان في جوار حاصنه قوماً من البدو يعرفون باسم البختيارين يكثرون من قطع الطرق وتخطف الماشية واقلاق راحة الناس فاذا وافتهم جنود الحكومة امتنعوا في كهوف حصينة لم في الجبال وحاولت الحكومات مراراً رد شرهم فاخفقت سعيها حتى اعتقد الناس ان اخضاع هؤلاء القوم من الامور

المستحيلة. ولكن نادر شاه لم يكن ممن يسكت عن عدو له او يعود عن عزم
فصم النية على تأديب هؤلاء العتاة وظل يماولهم ويطاردهم في الجبال حتى
قهرهم واذلم ورد عن الناس شرهم واخذ منهم عدداً كبيراً من الرجال ادخلهم
في جيشه وظهر من الحوادث التي تلت انه احسن صنفاً في ذلك لان
هؤلاء اللصوص كانوا اشهر جنوده في البسالة وهم الذين مكثوه من فتح
مدينة قندهار. واما قندهار هذه فكانت حصينة جداً ولاهلها بسالة وعزم
شديد على المقاومة فحاصرها نادر وبني حولها الحصون والقلاع ومكث حولها
حولاً كاملاً يحاول امتلاكها وهي لا تخضع حتى تعب من طول الحصار
واشار الى جنوده المهجوم النيف فهجمت في مقدمة القوم فرقة البختيارين
التي ذكرناها وافتتحت البلدة عنوةً فسلم حاكم المدينة لما لم يبق له امل في
الخلاص وعامله نادر شاه بالرفق والمودة وضم بعض الفرق الافغانية الى
جيشه وكان هو ينوي استخدام الافغانيين في جيشه من زمان بعيد حتى
يكون في مأمن من قيام الايرانيين عليه. وساعده الافغانيون مساعدة كبرى
على فتح الهند والبلدان الاخرى التي اخضعها مدة حكمه الطويل

وكان رضا قلي ميرزا ابن نادر شاه بطلاً مقداماً مثل ابيه وله جنود
واعوان يساعد بها والده على النصر. هذا البطل حارب بقية بلاد الافغان بين
كان والده محاصراً لقندهار وتقدم منها على بلاد التتر فدوخ البلدان وقل
الجيوش وامتلك المواقع فلما سمع نادر شاه بفعال ابنه بعث ينهاه عن محاربة
التتر بملة انهم من اقوام چنكيز وتيمور يجب احترامهم. فرجع رضا قلي ميرزا
عنهم واكتسب نادر شاه ودادهم من ذلك اليوم فلم يلق منهم ما لقيه غيره من
المهجوم المستمر على حدود مملكته ويمكن بذلك من التفرغ لاختضاع البلدان

الاخرى واهمها الهند. واما اخضاع الهند فكان في بال نادرشاه من زمان بعيد وساعده الزمان على الاسراع الى امتلاكها بعد فتح قندهار ذلك انه كتب الى سلطان دهلي وهي بومئي عاصمة الهند وصاحبها سليل بابر وتيمور المشهورين يرجوه الا يسمح لحكام بلاده بمساعدة اعدائه الافغانيين الذين يفرون من وجهه الى بلاد الهند وكرر الكتابة اليه في هذا الشأن فلم يتنازل محمد شاه سلطان الهند الى اجابته واوجد بذلك سبباً للضعينة وهلة للتقدم على بلاد الهند بالجيوش وكان ذلك طبق ما يتمناه نادر شاه

وزحف نادر شاه سنة ١٧٤٠ بكل ما لديه من القوة على بلاد الهند ولم يلق في طريقه الى دهلي ممانعة تذكر لان السلطان كان لاهياً بلذاته ووزراؤه واعوان دولته مثله لا يهتمون بغير الحظ والمسرات وهم لا يحسبون لغوائل الدهر حساباً ويفظنون ان نادر شاه لا يقدر على هز دولتهم. ولكن نادر كان يسير بسرعة لا تصدق الى عاصمة الهند وكلما مر بولاية او مدينة اخضعها والحكام يؤدون له الاكرام والخضوع بلا عناء كبير لان معظمهم كان يعلم حال السلطان واعوانه ويؤكدون ان مملكتهم لا تقوى على ذلك البطل العظيم. على ان محمد شاه افاق من غفلته لما قرب الفاتح من عاصمته فجمع جيشاً كبيراً ولاقي الايرانيين به وبدأ القتال بين السلطانيين في الحال فبارت الدائرة على الهنود بعد قتال عنيف استمر عدة ساعات وقتل من جيش سلطان دهلي نحو عشرين الفا وأسر عدد أكبر من هذا وفر الباقيون هارين فلم يبق لسلطان الهند بعد هذه الكسرة مطمع في النجاة من يد الفاتح ولهذا عول على مصالحته وارسل اليه الوزراء والامراء ليخبروه في امر الصلح ثم حضر هو بنفسه الى خيمة نادر شاه فاحتفل سلطان ايران

بتدوم احتفالاً عظيماً وأكرمه أكراماً زائداً حتى أنه جعل نفسه خادماً لزميله
سلطان الهند وقدم له ختم مملكة ايران علامة الخضوع . كل ذلك وهو
صاحب الامر وما جاءه سلطان الهند إلا ليطلب رضاه ويخلص من غضبه
ولكن نادر شاه كان يحترم اصحاب المقام الكبير ويحل ذكر قيود اجلالاً
فاكرم محمد شاه لانه كان من سلانته . وعقد نادر شاه صلحاً مع السلطان
محمد فاقره على سلطنة الهند وجعله حليفاً له يصدع بامره واخذ منه قسماً
كبيراً من الولايات الهندية الواقعة الى جهة الحدود الايرانية وجمع من
خزائن السلطان شيئاً كثيراً جداً من المال والتحف وكان محمد شاه يريد
الاعراب عن شكره بلجمل نادر فلم يبق في خزائنه شيئاً من التحف
والجواهر المشهورة والذهب الذي لاحصر لقيمته حتى وهبه لهذا الفاتح العظيم
واقتمدى الامراء والاغنياء وكل ذي وجاهة وثروة بالسلطان فجمعوا مالا لا
يحصى واعطوه لنادر شاه ثمن رقابهم واقراراً بالخضوع لسيفه وبلغت قيمة هذه
الاموال مبلغاً هائلاً لا نقل عن اربعين مليون جنيه . وكان نادر شاه مغرمًا
بجمع الحجارة الكريمة والجواهر فتم له بعد فتح الهند ما يريد ونال فوق ما
يومل ولهذا اكتفى بالذي اخذه منها تحت الطاووس الشهير وجوهرة
(درماي نور) وجوهرة (كوه نور) اللتان ليس لهما نظير في العالم واصدر
منشوراً عاماً بالصلح واقرار محمد شاه على السلطنة في دهلي وجاد لجنوده
بالرواتب الطائلة والهدايا الكثيرة وتجاوز لاهل ايران عن الضرائب مدة
ثلاثة اعوام وكان على وشك الرجوع الى بلاده من بعد جمع هذا المال
الوافر فحدث فتنة في مدينة دهلي وقام جهلاء الاهالي على جنود نادر شاه
فقتلوا بعضهم وساعدتهم في ذلك اناس من الاعيان والامراء فاشتد غيظ

نادر واقسم ان لا يترك المدينة حتى ينتقم لرجالها من اهلها وانك جمع رجاله واصدر لهم امراً بقتل كل من وجدوه من اهالي دهلي فثار الجنود في كل جهة يقتلون ويذبحون ونادر شاه قاعد في غرفة مظلمة وقد تولاه الفيض والقلق . وظل الايرانيون يشتغلون في الذبح زماناً طويلاً حتى هلك من اهل دهلي المساكين نحو خمسين الف نفس وقيل أكثر - وفي رواية بعض المؤرخين ثمانية آلاف فقط - فلم يبق لمحمد شاه صبر على هذه الاهوال فقام الى قصر نادر ودخل غرفته وهو يصيح ويستغيث ويرجوه ان يبي على اهل مدينته فقام له نادر شاه واكرمه وامر في الحال ان يجاب سؤله وان يمنع الجنود عن القتل والذبح وصدع الرجال باصر مليكم في الحال . ومن غرائب الامور ان ابن نادر شاه الثاني اقترن بابنة محمد شاه واحتفل بزفافها احتفالاً باهراً في مدينة دهلي بعد هذه الحوادث الهائلة بايام قليلة ثم بارح نادر شاه عاصمة الهند بعد ان اقام فيها ٥٨ يوماً

وكان احتفال اهل ايران بهود سلطانهم الفاتح عظيماً واندهاشهم مما جمعه من المال وما اتى به من الغرائب اعظم . وظل نادر شاه اشهرًا في اصفهان لانه لم يغير ايلام الولاة والتمتع بلذة الملك بعد الفتح والنصر حتى خاف ان يستولي الخول على عساكره فقام بجيشه وسار لمحاربة ملك بخارى واسمه يوشك ابو الفيض خان وتمكن من اخضاعه ومخالفته على مثل ما سار مع امير افغانستان وسultan الهند . ثم تقدم على بلاد خوارزم وبلاد خيوه وقهر حاكمها البرز وولي مكانه احد اقارب ابي الفيض ملك بخارى بعد ان صاهره ووالاه . وتقدم من بعد هذا لمحاربة اهل داغستان ورد غاراتهم عن الانحاء المجاورة لهم ولكنها لم يلق النجاح الذي تعود في حروبها السابقة

وحدث له في اثناء هذه الحرب الاخيرة حادثاً اقلقه ذلك ان احد الاهداء كمن له ولولا القليل لتمكن من الفتح به الا ان ابنه رضا قلي ميرزا اسرع لاتقاذه ولكن من غريب الاموران نادرشاه اساء الظن بابنه الباسل بعد هذه الحادثة وظل يزيد كرهاً له يوماً بعد يوم حتى امر باطفاؤه بصره وخسر بهذا الصنيع اكبر عضد له في مملكته. وندم نادر شاه على هذه التسوية الوحشية بعد حين ولكنهُ على ما يظهر أُصيب بمرض الوهم والتسوية مثل غيره من الذين رفقوا سلم المجد بالاقدام والجرأة فصار هدوا لاهل بيته ونشأ عن ذلك تأخر احواله فانه اشتبك بعد ذلك بحرب مع الاتراك لم يظهر فيها شيئاً من بساطته المهودة وانتصر عساكره في موقعة واحدة لمجرد توهم الاتراك انهم لا يقدرّون على الوقوف في وجه نادر شاه

وجعل نادرشاه مدينة مشهد طوس عاصمة مملكته وعول بعد الاختيار على العدول عن مضادة اهل المذهب الشيعي ولكنهُ رأى ان مجاهرته بالعدوان للمذهب الايرانيين سبب نفور القوم منه فشدد في اضطهاد بعض المشايخ والائمة وكان ذلك داعياً الى انتشار الثورة فعصته ولايات فارس وشيروان ومازندران وسيستان وظهر ان الايرانيين كلهم بدأوا يكرهونه لانه كان يسيء الظن بهم ويقدم جنوده الافغانيين عليهم ولهذا زاد العنوة في صدر نادر شاه وصار يقتل الناس بالجماعات ولا يشفي غليله حتى خاف الامراء شر الآخرة وتآمروا على قتله وفي جملتهم بعض القواد ورئيس الحرس وهم من قبيلة الافشار التي نشأ منها نادر فدخلوا مخدعه في احدى الليالي وقتلوه سنة ١٧٤٧ واخذ احد الافغانيين من تاجه الجوهرة المسماة بكوه نور السابق ذكرها وهي الآن في تاج ملكة انكلترا

وكان نادر شاه من اعظم ملوك الارض واشتهر بحبه للجواهر والمال
وبدهائه في استمالة الشعوب التي اخضعها وبكرهه للاديان عموماً حتى انه
ترجم بعض اسفار الانجيل ليرى اذا كانت اقرب الى ذوقه من القرآن وجمع
ارباب الاديان الثلاثة يوماً وباحثهم في الاديان ثم صرفهم ولم تزل آثاره
العظيمة في كل انحاء ايران الى اليوم

وارسل القواد وراء علي شاه ابن اخي نادر شاه فحكوه على ايران
وظهر انه ضعيف خامل فلم يقوَ على الحكم زماناً حتى جاء اخوه الذي حكم
العراق باسمه وعزله. وكان علي قد سمي نفسه عادل شاه وقتل كل آل نادر
ما خلا حفيده شاه رخ ميرزا وهو يومئذ ولد صغير. فلما اسره اخوه ابراهيم
خان وجلس مكانه مات في السجن. ثم ان اخاه هذا لم يذق طعم العز زماناً
فقام عليه حراسه وقتلوه وولوا مكانه شاه رخ الذي ذكرناه

وكان شاه رخ صغيراً يوم رقي العرش وله خصم عنيد هو ميرزا
سيد محمد احد قواد نادر شاه فتمكن هذا الخصم من اسر شاه رخ واطفاه
بصره والجلوس على العرش ولكنه لقي في الحال ما يلقاه الظالمون لان يوسف
علي خان وهو رئيس جيش ايران يومئذ اسرع الى الانتقام من ظالم شاه
رخ فاسره وقتله واحاد شاه رخ المسكين الى العرش. على ان الطامعين في
العرش كثروا في تلك الاثناء واضطر شاه رخ بعد العناء الكبير ان يرضى
ببلاد خراسان فنزل اليها وظل حاكماً عليها زماناً وصارت ايران الى قبضة
كريم خان زند كما ترى في الفصل القادم



الدولة الزندية

لما كثرت القلاقل بعد موت نادر شاه وتسايق الطامعون في الملك الى نوال المركز الاعلى آل الامر الى المشاحنات الكثيرة التي ذكرنا بعضها في الفصل السابق ولم تنته الا بهولي كريم خان زند زمام الامر وهو اشهر من حكم ايران من هذه الدولة القصيرة العمر وله شهرة زائدة في حسن الادارة والعدل والتأني وهذا أم ما يروى عنه

وبينما كان احمد خان يسعى في اخضاع خراسان على ما مر في الفصل السابق انتهز محمد حسن خان الفرصة وجعل نفسه أميراً على استراباد وما يليها من بلاد مازندران . ومحمد حسن خان هذا هو جد العائلة القاجارية المالكة الآن في ايران وبلاد مازندران موطن قبيلته الباسلة وكان نادر شاه قد نكل بكثيرين من رؤساء هذه القبيلة فنفر افرادها منه ومن عائلته وعولوا على مقاومة دولته ولهذا انضم أكثرهم الى محمد حسن خان حتى عظمت سطوته وخشي احمد خان شره فبعث اليه جيشاً ليحاربه ويملك مازندران منه ولم ينجح الجيش فزادت بذلك قوة هذا الامير القاجاري وكانت الولايات الاخرى تستقل واحدة بعد اخرى حتى ان اذربايجان وگيلان وبلاد الجراكسة اصبحت ممالك منفردة لا سلطة لصاحب ايران عليها وكانت اصفهان بلا قائد شهير يعرف فتم لاحد المشاهير واسمه علي مردان خان واصله من طائفة البختيارية التي أتينا على ذكرها ان يحكم هذه العاصمة الشهيرة وخطر له ان ينصب احد افراد العائلة الصفوية ملكاً عليها ويكون هو صاحب القوة ولكنه رأى انه لا يقدر على القيام بهذا الامر الخطير وحده

فاستدعى بعض الامراء لمساعدته وكان امهرهم واشهرهم شيخ قبيلة الزندية التي هي قبيلة فارسية اصلية واسمه كريم خان لم يشتهر بالحسب والنسب ولكنه عرف بالبسالة والصبر الغريب على الشدائد وفاق كل أمير سواه من أهل أيامه بالحلم والانصاف وحب الرعية وقد يعسر على المنصف ان يجد حاكماً أعدل منه وأكثر حكاماً من الذين تولوا ايران قبله من بعد الفتح الاسلامي وانفق علي مردان خان وكريم خان على اقتسام البلاد بينهما واقامة ملك يحكم بالاسم من العائلة الصفوية وظلا على ذلك مدة وكانت القوة والشهرة في اول الامر كلها لعللي مردان خان الا ان كريم خان اجتذب القلوب حيثما حل بجملته وعدله التام وكان عساكره اقتدت به فلم تؤذ الاهالي وساد الامن والعدل في الاجزاء التي حكمها هذا الامير العادل حتى تعلقت به القلوب وبدأ علي مردان خان يمشى شر هذه الشهرة ويظهر لزميله نفوراً وعداء حتى اشتهر امر هذا العداء واصبح الزميلان عدوين معروفين ولكن كريم خان امتاز على خصمه بحب الذين يحكمهم له ونفور اهل اصفهان من علي مردان وكانت مزايا كريم خان هذه اكبر اسباب نجاحه . واتشب القتال بين الاميرين يوماً فلم تطل مدته حتى قام اعوان علي مردان على رئيسهم وقتلوه فخلا الجو لكريم خان واصبح هو صاحب اصفهان والحاكم المطلق على جميع الولايات الايرانية الجنوبية

ولكن الامر لم يتم لكريم خان على ما يريد حال موت هذا الخصم لان غيره من الاهداء الطامعين في الملك كانوا كثيرين وفي جملتهم اسد خان صاحب اذربايجان فتحارب الاميران ودارت فيها الدائرة على كريم وقومه فاضطروا الى الفرار وترك اصفهان وشيراز وغيرها لعدوه .

ولما كان جيش اسد خان يطاردهُ ورأى ان قوته لا تكفي لمقاومته
عزم على الرحيل الى بلاد الهند والبقاء فيها الى آخر العمر بعيداً عن متاعب
الملك والقتال ولكنه لحسن حظه التقى في طريقه برجل باسل اسمه رستم
خان كان شيخاً على مدينة خشت وما يليها على حدود ايران وبلوخرستان
فاشار رستم عليه ان يترصد للعدو في تلك الناحية حتى اذا جاءه جيش خصمه
تركهُ يتقدم الى وادي شهر يسمى وادي كومارديج ومتى صار الجيش الى هذا
الوادي امكن لعدد قليل من الحاربين ان يحصروه فيه من الجانبين
ويقتلوا افرادهُ عن آخرهم فسمع كريم رأي صديقه واستعد للمخاطرة بحياته
وحياة الذين تبعوه من الاعوان الامناء في ذلك المضيق وتهد له رستم خان
بالمساعدة وتحقيق الاماني. وصدق ظن الامير المقدم فان اسد خان جاء
وجيشهُ تلك البقعة ودخل ذلك الوادي بعينه وكان رستم خان قد وزع
الرجال في الجبال من الناحيتين ووضعهم بين الاشجار والصخور حتى يمنعوا
الاعداء من الفرار ساعة القتال واقام قوة تذكر على طرفي الوادي في موضع
لم ينظروهم العدو حتى اذا دخل كل جيش المطارد من ذلك الوادي
العظيم هجم عليه رجال رستم وكريم من كل ناحية واعلموا السيف فيهم وقاتل
جيش اسد خان قتال الابطال ولكن الموقع كان في قبضة اعدائهم فقتلوا منهم
هدداً كبيراً ووقعوا الفشل فيهم ولم يتمكن الباقون من الفرار فقتلوا عن
آخرهم ولكن اسد خان تمكن من الفرار وقصد بلاد العراق فحارب فيها
بعض الامراء ودار في جوانب البلاد يوماً ينتصر ويوماً يرى الاهوال حتى
كره الحياة وسلم نفسه الى كريم خان طالباً منه الصنح فصنح كريم عنه
واحسن معاملته وجعله صديقاً له ولذلك نسي اسد خان كل العداة القديم

وصار من اعوان كريم و اخصائه

على ان اكبر اعداء كريم خان كان محمد حسن خان الذي ذكرناه
وهو رئيس قبيلة قاجار الشهيرة وكانت هذه القبيلة ولم تنزل الى الآن قوية
جدا فتعب كريم خان تعباً لا يوصف في اخضاعها ولم يكن نجاحه في ذلك
الا وقتياً لان امير هذه القبيلة ملك البلاد من بعده واسس العولة الحاضرة
كما سيحي . وظل محمد حسن خان يزيد قوته في الانحاء الشمالية حتى اذا
سمع بخضوع اسد خان لكريم خان استعد للقتال لانه لم يبق في البلاد غيره
وغير كريم فاراد قتله والتخلص منه لتصير بلاد ايران كلها الى قبضته وتقدم
بجيش جرار على اصفهان فاضطر كريم خان ان يهجرها ويلجأ الى شيراز
فجاء محمد حسن خان وملك اصفهان بلا مقاومة وكان الفوز الاخير لاج
له فشمخ انفه وغير طباعه وشدد الوطأة على اهل اصفهان فنفروا منه وكان
نفورهم هذا من اسباب سقوطه سيما وانه بعد هذه الامور سار بجيشه لمحاربة
شيراز والقبض على كريم خان الذي كان محاصراً فيها . فاظهر كريم خان في
هذا الحصار بسالة غريبة وتانياً اغرب لانه كان يدور في المدينة دائماً بوجه
باش ومخيا ظلق فينشط الاهالي على الحصار وينصف في كل امر عرض
عليه واستمر على ارسال الجواميس الى جيش خصمه كل يوم ليلقوا بدور الفساد
بينهم ويمسئوا لم تركه والانضمام الى جيش كريم خان ونجح في ذلك نجاحاً
تاماً فاضطر محمد حسن خان الى الرجوع عن شيراز والعود الى اصفهان
ورأى في هذه المدينة ايضاً ان الناس اخصامه وان قوته قلت فتركها وعاد
الى مازندران وهي بلاده الاصلية وعاد كريم خان الى اصفهان فلاقاه
الاهالي بالترحاب والاكرام الزائدين وسمعت المدائن الاخرى بفوزو

فاظهرت له خضوعاً وسروراً كثيراً وكثر عدد جيشه والمتطوعين لخدمته
 فارسل جيشاً تحت قيادة واحد من زعماء جيشه لمحاربة محمد حسن خان
 واسترجاع مازندران منه وقام هذا الامير لمحاربة اعدائه بقلب قوي الآ
 ان الدهر خائنه وكبا به الجراد فتمكن الاهداء من قتله وامر قائدهم ان
 يرفع رأسه على حربة فلما رآه الجنود انقطعت قلوبهم وفروا من امام اعدائهم
 فتم النصر بذلك لكريم خان بموت اعظم اعدائه واشدهم بأساً واصبح هو ملك
 ايران لا ينازعه في الملك منازع

واستراح كريم خان بعد هذا من القلاقل فحكم مدة طويلة حكماً لم يسمع
 في ايران باحسن منه واطمأنت قلوب الاهالي وبطلت الاهوال والمذابح
 من بلادهم ومنعت المظالم والمغارم وراجت الصناعة والتجارة والزراعة
 وتحسنت حال الاهالي تحسناً بيناً وكثرت موارد الثروة واقبل تجار الافرنج
 على اشياء المعامل والمتاجرة في كل انحاءها. ولم يشب حكم كريم خان شائبة
 غير ظلم زكي خان ابن عمه وكان زكي هذا ظالماً عتياً يرسله كريم خان في الممات
 لبساتيه واقدامه وله شهرة كبرى في القسوة الوحشية والظلم المائل ولعل
 كريماً اعطاه هذه السلطة لانه كان يعلم عنه الاقدام والقسوة ويريد ان
 يكون في البلاد عانياً مثله يرهب الاعداء واصحاب النفس الامارة بالسوء
 لان حالة البلاد تقتضي مثل هذا الارهاب ولان كريم خان نفسه كان يكره
 الظلم ولا يريد ان ينسب اليه

وحارب كريم خان الاتراك بعد ان استراح من كل اعدائه وكان
 السبب في الحرب ان والي البصرة اساء معاملته بعض الايرانيين فطلب كريم
 خان ان يقطع راس هذا الوالي ولم يجيب سلطان الاتراك طلبه فارسل

كريم واحداً من اخوته واشهر قواده هو صادق خان لاخضاع البصرة وقتل
واليها وتم له ذلك بعد عناء كبير وحصار ثلاثة عشر شهراً وضم مدينة البصرة
الى املاك ايران والغريب ان سلطان الاتراك لم يهتم كثيراً لهذا الامر
ولم يجمع كل قوته لاسترجاع هذه المدينة العظيمة

واستراح كريم خان بعد هذا راحة تامة وكانت البلاد كلها راضية بحكمه
وجعل شيراز عاصمة ملكه وبنى فيها ابنية نفيسة مثل البساتين والاسواق
والحمامات والجوامع التي لا تزال باقية الى الآن لان اكثر اعوانه كانوا فيها
وعلى مقربة منها واحسن الى الامناء من اهل دولته وشدد على الظالمين واتى
كل ما في وسعه لتعميم الامن والعدل في البلاد فتم له ذلك ومات في الخامسة
والسبعين من عمره بعد ان حكم ايران حكماً مطلقاً نحو ٢٦ سنة وكانت وفاته
في سنة ١١٩٣ هجرية وترك له اجمال ذكر في قلوب الايرانيين

واختلس الملك زكي خان بعد وفاة هذا الملك العظيم ولكن الناس كانوا
يكرهونه فلم يتمتع بالسلطة زماناً مع انه نصب ولداً من اولاد كريم ملكاً
وجعل نفسه وصياً عليه وكان اشهر اخصامه صادق خان اخو كريم وهو
الذي اخضع البصرة كما مر فتقدم لخلع زكي وسمع ان هذا الامير استبدت ببقية
الامراء من عائلة كريم خان وقتلهم عن آخرهم وخاف ان يقرب منه فظل
يحاربه عن بعد ولم ينجح في اول الامر فاضطر الى الفرار وظل زكي
خان حاكماً حتى قام له خصم عنيد قوي هو آغا محمد خان جد العائلة
المالكة الآن وكان هذا الامير اسيراً في قبضة كريم خان مدة حياته فلما سمع
بوفاته فر الى مازندران والى جيشاً قوياً من قومه كسر القاجار به شوكة
زكي واضطره الى القيام بنفسه لمحاربه وحدث ان زكي خان اكثر من

الظلم والعسف مدة حكمه فقام عليه عساكره وقتلوه
 وملك بعده صادق خان الذي ذكرناه الا ان اخصامه من عائلته كانوا
 كثيرين واشهرهم علي مراد خان وكان قائداً باسلاً وبطلاً صنديداً فوجه اليه
 صادق ابنه نبي خان لمحاربتهم ونجح في اول الامر ولكن علي مراد خان
 ظل يترقب الفرص حتى رأى ضعفاً من صادق وميلاً الى التمتع باللذات
 وترك الحكومة الى اولاده يديرونها حسب اهوائهم وطيشهم فقام لمحاربتهم
 وحاصروهم في شيراز وكان الاهالي يميلون اليه فنصروه على صادق ودخل
 علي مراد المدينة فاستلمها واضطر صادق واولاده ان يخضعوا له فقتلهم عن
 آخرهم ما خلا جعفر خان ابن صادق خان لانه اظهر له ميلاً قليلاً وكان
 ذلك في ١٨ ربيع أول سنة ١١٩٨ هجرية

ومن ذلك اليوم صار علي مراد خان حاكم ايران ومليكها المطلق فنقل
 عاصمة ملكه الى اصفهان بدل شيراز التي جعلها كريم خان قاعدة المملكة
 وبدأ يوجه كل همه الى اخضاع خصمه الوحيد وهو اغا محمد خان رئيس
 القاجارية ولكنه لقي خصماً غيره لم يكن ينتظر منه الضرر هو جعفر بن صادق
 خان عصى علي مراد خان فقام الملك لمحاربتهم بنفسه وكان مريضاً فاشند عليه
 المرض في الطريق وقتله في ١١ فبراير سنة ١٧٨٥ الموافق ٢٥ صفر سنة
 ١١٩٩ في قرية صغيرة على مقربة من اصفهان

وكان جعفر خان حليماً عادلاً يحب ترقية البلاد ولكن الدهر عانده
 لان جلوسه على العرش طويلاً لم يكن من الامور الممكنة لكثرة اخصامه فان
 كل اقاربه كانوا يماولون خلعة وثارت عليه ولايات كثيرة . هذا غير آفا
 محمد خان الشهير الذي كان يترقب موت علي مراد خان بذهاب الصبر

حتى يقدم على فتح الطرق وتم له ذلك في مدة جمفر. وكان قواد جيشه ناقين عليه لاسباب شتى فتآمر بعضهم عليه ودسوا له السم في طعامه وبين كان يتعذب من السم هجموا عليه وقتلوه وطرحوا رأسه في احد شوارع شيراز فانقضى حكمه وآل الامر الى ابنه لطف علي خان في سنة ١٧٨٦ الموافقة سنة ١٢٠٠ هجرية

وكان لطف علي خان بطلا مقداما وهاما ضرخاما لو يتيح له الحظ او تساعده الاقدار لتمت على يده العظام وكان في جملة السلاطين الشرقيين الذين لا يزال ذكرهم مثل تيمور وعباس ونادر وغيرهم . ولكن هذا الامير وجد في اتس الاوقات وكان له خصم لا يقاوم هو مؤسس الدولة الحاضرة فلم يمكن له الوقوف في وجهه ووجه الدساس الكثرية والظروف القاضية التي كانت تعمل على اسقاطه من كل جانب . وكان له صديق هو الحاج ابراهيم مولى شيراز يساعده على نوال المطوب في اول الامر لانه صنيعة ابيه وله نفوذ كبير على قبائل العرب في شيراز ونواحيها ولكن هذا الرجل رأى على ما يقال ميلا من لطف علي خان الى الاعراض عنه او خلعوه من المنصب فخافه وسلم مدينة شيراز الى خصمه اغا محمد خان ففر لطف علي خان وظل اعواما يقاتل خصمه القادر ويظهر من غرائب البسالة والاقدام ما لم يرو عن غيره من ابطال الزمان الا اشهرهم فقد كان يجارب عشرين الفا من ابطال آغا محمد خان وليس معه غير بضع مئات ولا يفر من امامهم واطالما خرق الصفوف واجتاز الالوف والحسام مشر بيده وهو وحيد يقاتل الابطال من هنا ومن هنا حتى هجرة الخلان وخانه الزمان فلم يبق معه غير اربعة رجال حافظوا على ولائه فاضطر الى الاختفاء والبهد عن الاعداء وكان

يحتفي ويعود حيناً بعد حين ومعه ما لا يتجاوز المئين من المقاتلين فيفوز
ويظفر ولكن تأتي خصمه وكثرة معداته تغلبت على بسائته وكان خصمه بأسلاً
جسوراً ايضاً وحكيماً فطناً . وفي آخر الامر فرّ لطف علي خان من كرمان
بعد ان اخضعها لان اقا محمد خان تقدم عليها وفضها عنوة وظل سائراً
بفردته حتى وصل مدينة نرماشير على مقربة من افغانستان فقابله
حاكمها بالترحاب واستراح ليلة عنده الا ان هذا الحاكم طمع في الجائزة فنذر
بضيفه وهجم عليه مع بعض اعوانه فقاتل لطف علي خان عن نفسه قتال
الاسود الكواسر وقتل كثيرين من اعدائه ولكن العدو غلبه واشتد جراحاً
فسقط من الم الجراح وربطه القوم فساقوه على هذه الحال الى اقا محمد خان
فامر ان تفتأ عيناه وزجه في السجن ثم امر باعدامه بعد قليل وهكذا انتهت
دولة كريم خان وآله وصارت ايران ملكاً للدولة التاجارية سنة ١٧٨٨

عجمل تاريخي

تقد وصلنا الى تاريخ العائلة القاجارية الحاكمة الآن على بلاد ايران فرأينا ان نجمل الذي مرّ ونصف حال ايران وصفاً موجزاً في ايامها الاولى وشؤونها الغابرة الى ان تولى امورها المغفور له اقا محمد خان اول هذه الدولة العظيمة فنقول : كانت بلاد ايران ولم تنزل الى الآن مركزاً للحكم المطلق يتصرف فيها الحاكم على ما يريد او على ما يوافق مصلحة البلاد ولكن الامة جرت على سنة الامم الاخرى في انها كانت تحتمل الضيم الكثير والجور الهائل من حكامها يوماً ولا تطيق على الاعساف صبراً يوماً آخر فتقوم على ملوكها وتخلعهم وتولي غيرهم وكان هذا سبب الشيء الكثير من الثورات والقتل التي لم تقم بلاد بدونها ولا بدّ عنها في بلاد مثل ايران تسير بمقتضى ارادة المليك المطلق ويكثر ان يكون هذا المليك مائلاً الى الاثرة في ايام الحروب والثورات

وفي تاريخ ايران ما يدل على صفات كثيرة تمدح في هذه الامة لم تنزل فيها من ذلك كرم الاخلاق وحب الضيافة والمروءة ولين الجانب من الجار والصديق، والبسالة في الحرب والذي يقرأ تاريخ ايران من اول امرها الى الآن ويتذكر انها محاطة من كل جانب بالاعداء والمخاصمين وكلهم من الطوائف الحربية مثل العرب والتر والجراسية والاشوريين وغيرهم يحكم في الحال ان قيم مثل هذه الدولة وانتصارها على جميع القارة واخضاعها المالك الواسعة وضمها الاقطار الشاسعة لم يكن بغير بسالة تذكر ودراية تشكر يقرّ بها المؤرخون كلهم لجماعة الايرانيين غير

ان التاريخ يذكر لهذه الامة ادواراً من التحول مثل الذي تولى كل بلاد في بعض
الازمان فقد تحمل الايرانيون من ظلم عائلي چنكيز وتيمور كثيراً وذلك
لتمذهب هاتين العائلتين بمذهب الايرانيين . وكانوا على ما يظهر راضين وقد اخلدوا
الى السكون حتى قام فيهم الابطال والقواد الكرام فطردوا المعتدين ونظموا
الحكومات واعادوا ايران الى عزها السابق

واما معارف ايران فلا تختلف كثيراً عن معارف بقية الاقدمين وتدل
آثارهم الى انهم اقتبسوا شيئاً كثيراً من جيرانهم البابليين والاشوريين واليونان ايضاً
واضافوا ذلك الى فنونهم الخصوصية فوصلوا قبيل الاسلام الى اعلى درجات العز
وللمجد ولم يرو في التاريخ ان مليكاً بذخ وتعم مثل الاكاسرة العظام الذين كانت
تأتيهم الهدايا والجزيات من كل البلدان الواقعة ما بين الشرق الاقصى والشرق
الادنى حتى بلغت واردات المالك في مدة (خسرو پرويز) الذي مزق كتاب
النبي (صلعم) بملايين من الدينارين سنوياً ولا ذكر في اقايصص الامم ان ملكاً جمع
جيشاً جراراً هائلاً مثل الذي تم لزرديسبته في القرن الخامس قبل المسيح حين
عول على محاربة اليونان واخضاعهم . ولم يغير الايرانيون ديانتهم وعوائدهم بعد
الفتح اليوناني مثل سواهم من الامم بل ظلوا على تقاليدهم الاولى وامتازوا بذلك
عن اكثر الامم الاخرى . هذا غير انهم عادوا وقاموا بعد ذلك السقوط ونشأت
في بلادهم الدول العظيمة نالت شهرة واي شهرة ووسعت نطاق املاكها الى اكثر
من ايام كورش وداريوس في حين ان المصريين والسوريين والاشوريين
وغيرهم من اهل الدول الاخرى ظلوا خاضعين لسواهم ولم تقم لهم قائمة من بعد ايام
الاسكندر

واما الذي يعرف عن تاريخ ايران القديم فآثره منقول عن الكتب

الابرية وقد كتب مؤرخو اليونان عن ملوك ايران الاول ولكنهم غيروا الاسماء تغييراً هائلاً ونسبوا الى كل ملك ما لا اثر له في تواريخ الايرانيين من الحكايات حتى ان الفرق بين الروايتين عن الملك الواحد لا يقل عن الفرق بين حكاية احد ملوك انكلترا واحد سلاطين اليابان . وتعبنا تعباً زائداً في التوفيق بين الروايتين وكنا في اكثر الذي نكتب نضع اسم الملك على اصطلاح الفريقين كما رأيت في الفصول التي مرّت الى ان بدأ الاثاق في الروايتين يظهر من بعد فتوح الاسكندر . ولكن تاريخ ايران كله لا يمكن التعميل على جميع فصوله ولا بد من وجود المبالغة والميل فيه ولا تعرف سني حوادثه بالتدقيق الا من مدة السلطنة الساسانية الى عهد الفتح الاسلامي وما بعده وهو الحادث العظيم الذي قلب نظام ايران قلباً وغير منها الظاهر والباطن وصيرها بلاداً جديدة وامة جديدة واوصل الينا اخبارها بالتدقيق والتفصيل ولهذا يرى القارى الكلام مسهباً في الفصول التي تلي الفتح الاسلامي وان يكن موجزاً في بعض الاحاين لان شهرة بعض الامراء وفعالهم لم تقتض الشرح الطويل

واما لغات ايران القديمة فاشهرها الفارسية والپهلوية . والفارسية نسبة الى فارس وهي اسم لولاية واقعة في جنوبي ايران متاخمة السند وبحر الهند والخليج الفارسي وكان لهذه الولاية اهمية وشهرة في عهد كورش ومن تلاه من ملوك دولته لتغلبه على ممالك شاسعة يدل عليها بقاء اللغة الفارسية مع غلبة الاتراك والعرب على ايران في مدة ازمنة طويلة . وعرفت البلاد باسم فارس ولم تنزل الى يومنا تعرف بهذا الاسم في بلدان اوربا ولكن ايران هو الاسم الحقيقي للبلاد وهو المعروف والمعول عليه من اقدم الازمان فسمية البلاد ببلاد الفرس من قبيل تسمية الكل باسم البعض . وهم يرجحون ان بلاد بخارى وبكتريا وبلخ وما وراء

النهر كانت تتكلم اللغة الفارسية لما تقدم من غلبة كورش وخلفائه على هذه الممالك . ويرى الذين يبحثون في اصول اللغات تشابهاً غربياً بين اللغة الايرانية ولغات اوربا التونوية (غير اللاتينية)

وقد طرأ على اللغة الفارسية تغيير كثير من بعد الفتح الاسلامي واعتناق اهل ايران دين الاسلام فاضطرهم ذلك الى حفظ القرآن الشريف والعربية ونشأ عنه ما حدث في كل لغة من لغات اهل الاسلام وفي كلها اثر ظاهر للغة القرآن العربية واما اللغة الپهلوية التي ذكرناها فقد كانت لغة اهل ماڊي القدماء وبلاد ماڊي تعرف باسم اذربايجان والعراق العجمي التي عاصمتها اصفهان في هذه الايام . والظاهر من التواريخ القديمة ان الپهلوية سبقت الفارسية في السيادة على السنة القوم وكانت اللغة الرسمية ولسان الطبقة العليا الى ان قام كورش الفارسي المشهور وهو كيخسرو او بهمن ابن اسفنديار على (اختلاف المؤرخين) فجعل الاسبقية بلغة بلاده . ومن ثم امتزجت اللتان وظل فيهما آثار من لغة بكتريا او بلاد ما وراء النهر وصار هذا المزيج لغة ايران ثم دخله شيء من لغة العرب فصارت اللغة المعروفة الآن وهي اوسع لغة شرقية لسبب دخول العربية والتركية وغيرها فيها ولا حاجة الى الاطالة في وصفها

واما ديانة الايرانيين الاقدمين فقد امتازت عن كل ديانة اخرى — في الديانات المنزلة — بخلوها من الحرافات وبقرها الى الصحيح قرباً عجيباً فقد كان القوم يسجدون لله عز وجل من دون سواه في اول الامر ثم جعلوا يمجدون الشمس والقمر والنجوم واجرام السماء مثل غيرهم من الاوائل وظلوا على ذلك زماناً طويلاً حتى بطلت عبادة الكواكب وصار الايرانيون يسجدون للنار ويمجدون النار على قول الفردوسي المؤرخ الشهير ولا يبعد عن العقل ان تكون كذلك لان عبادة

الشمس طبيعية في المرء في حالة السذاجة الاولى وهو يظنها معدن الخير والواقية له من الظلمة والبرد والحامية من الموت والخطر فيعبدها ويمجّل قدرها والذي يعبد الشمس يعبد النار ايضاً لانه يرى منها تشابهاً ويظنها من اصل واحد. واما الاصنام التي عرفت عن الايرانيين قبل اخذهم النار قبلة لم فتشبه اصنام الاشوريين فقد كان تمثال زحل عندهم على هيئة انسان في الجسم له رأس قرد وذنب خنزير وكان المشتري على هيئة انسان له رأس عقاب وبعض اوضاع التنين وكانوا ينحنونه دائماً من الحجر الاسود. واما المريخ وهو اله الحرب عند اكثر الشعوب القديمة فكانوا يصنعونه من الحجر الاحمر على شكل انسان في يده الواحدة خنجر وفي الاخرى سوط. وتمثال الشمس من الذهب كانوا يصنعونه في شكل انسان له رأسان وفي كل راس تاج له سبعة اركان مرصعة بالجواهر وله ذيل تين والقمر من الفضة وهو شكل انسان راكباً بقرة بيضاء ولكل كوكب آخر هيئة خاصة به في التماثيل الايرانية. وكان القوم يبنون معابدهم على شكل هياكل اشور ويقدمون البخور على مذابح آلهتهم ويلبس كهنتهم الملابس البيضاء النقية وينذرون الزهد والعبادة واقرب العبادات الدينية الى هذه عبادة الصابئين.

واما زردشت او زرادشت او زرتشت صاحب الديانة الشهيرة فأكبر المصلحين الايرانيين علم بوحداية الله وقال انه نوره يسطع في كل ما يشرق او يلمس في الكون وهذا هو سر اكرام اهل شيعته للنار حتى ان بعضهم صار يعبدها خطأ مع انها في الاصل تقام في المعابد بدلاً عن عبادة الشمس. وعلم زردشت بوجود عامل واحد للخير كناية عن العقل وواحد للشركانية عن الجهل لكل منهما قوة فعالة تخلق وتوجد كل شيء فكان الواحد يوجد الصالح والآخر يوجد الطالح وهذا هو سبب ما نراه في الارض على قوله ولكن هرمز او هرمزد او هرمس او اورمزد

الذي هو رب النوع للعقل لا بد له من التغلب على اهرمن (الشيطان) الذي هو رب النوع للشر لان قوته ابدية خلافاً لقوة اله الشر وعلم زردشت تعاليم اديّة نفيسة سامية وحرّم كل اشكال الشرّ وكتب تعاليمه في كتاب اسمه زنداوستا هو محل الاعتراف والاحرام الكثير الى اليوم وابطل الاصنام وامر بالاتجاه الى جهة الشمس او النار ساعة الصلاة لان النور رمز الى الاله كما تقدم وامر بعدم تدنيس العناصر الاربعة وهي النار والهواء والتراب والماء وبالشفقة على الحيوانات والتزام الفضائل بين الناس والامتناع عن اكل اللحم ما امكن وكانت ديانته كما تقدم اتقى الديانات الاولى واقربها الى الصواب . وكان العلماء قد سنوا للزردشتيين شرائع مختلفة فحرموا عليهم الاشتغال بالاشياء التي تستلزم النار فاقصروا في اعمالهم على الفلاحة والتجارة ولا يزاولوا كذلك الى الآن . وصعوبة هذه الاحكام قد سهلت للمسلمين ادخال هؤلاء في ديانتهم

ولما دخل الاسلام البلاد وانتشر فيها بدخول الفاتحين سقطت الاديان القديمة وتلاشت سلطتها بانتشاره ولم يزل بعض الجوس او الذين على مذهب زردشت كثيراً في ايران والهند وهاتيكم الانحاء . واما علوم الفرس ومعارفهم فكانت في اسمى درجة مدة الملوك الكيانية وكان لهم اعتناء زائد في جمع الكتب والآثار القديمة حتى ان الاسكندر المكدوني بعد ما تغلب على بلادهم ارسل الف حمل جمل وبغلة من الكتب والآثار من اسطخر الى وطنه وامر بترجمة ما يستحق واحرق كثيراً من كتبهم الدينية كما ان العرب احرقت مكاتبهم العالية عند الفتح حتى لم يبق عندهم كتاباً الا مع الذين هاجروا البلاد وسكنوا الهند وهم باقون فيها الى الآن بمقتادهم الاصلية وعوائدهم القديمة وكتبهم الاصلية وكل ما نعلمه الآن عن معارف الايرانيين قبل الاسلام قليل لا يذكر بسبب انقلاب البلاد وتغير كل

ما فيها بعد الفتح الاسلامي ولكننا نعلم ان البلاغة وفنون البيان والموسيقى والشعر والنقش والبناء والفلك والطب وبعض الفنون الاخرى وصلت الى درجة تذكر في ايام انوشروان وكسرى پرويز وغيرهم من ملوك الدولة الساسانية . هذا غير ان الايرانيين في ايام الدولة الاشكانية المعروفة عند الاوربيين بارزاس كانت على جانب عظيم من التقدم وادخلت اليها من معارف الهند ومصر والشام واليونان كل ما يذكر ويشكر

واما بعد الإسلام فتاريخ ايران من حيث العلوم والمعارف لا يختلف كثيراً عن تاريخ الاسلامية الاخرى واهم ما يقال فيه ان الامن لم يستتب طويلاً الا في حكم الملوك الذين طالت مدتهم مثل الدولة السلجوقية والصفوية وغيرها ولهذا فالبلاد ظلت مدة طويلة قبل ان حكمتها الدولة الحالية لا تفرق شيئاً عن يوم دخلها المسلمون ولا تمتاز بشيء من المعارف والعلوم على انه قام فيها من رجال العقول واصحاب المواهب السامية كثيرين اشرنا اليهم في هذا التاريخ . واسماء الايرانيين الذين اشتهروا بمؤلفاتهم مثل الفيروزبادي وسيبويه والفردوسي والاصفهاني والحافظ الشيرازي وابن سينا وناصر الدين الطوسي وغيرهم كثير يتوارد ذكرهم من حين الى حين على طلبة العلم واهل الادب واشهرهم الفردوسي الشاعر المؤرخ صاحب الشاهنامه المعروفة التي اخذنا عنها اكثر ما قلنا في تاريخ ايران القديم وهي من ابلغ ما نظم وارقه في لغات الارض اجمع لسنانظن ان صاحبها يقل في شيء عن اعظم شعراء الزمان والمؤرخين مثل هوميروس اليوناني وشاكسبير الانكليزي وغيرهم . ولم يبق في العرب شاعر الف التواريخ المطولة شعراً مثل هذا الايراني الشهير الذي يبلغ كتابه ستون الف بيت من الشعر وقبلنا يوجد فيه كلمة اجنية

ولما كان مؤرخو اليونان الذين يرجع اليهم في اخبار الدول الاولى لم يذكروا شيئاً عن الدولة الپيشدادية فقد قلنا كل اخبارها عن الفردوسي في هذا التاريخ والظاهر انه هو نقلها كما نقل سواها عن كتابات پهلوية قديمة ولكنها كثيرة المبالغة كما هي عادة كل الامم القديمة فاننا اذا صدقنا روايته عن كيومرز جعلنا هذا الملك في زمن آدم عليه السلام واذا سلطنا معه بطول المدة التي ظل افريدون حاكماً فيها وهي قوله سبعمائة سنة لم يمكن لنا ان نوفق هذا على القواعد العقلية . ومثل هذا يقال في حكم الضحاک بن علوان الذي قيل انه ملك البلاد وظلمها الف سنة ولا يصدق هذا الا اذا كان الضحاک عمومياً للملك كثيرين من اهل اشور او الشام ملكوا البلاد وشددوا عليها الوثاق او اسم عائلة امتد ملكها الى كذا مئات من السنين

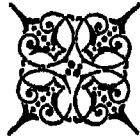
والحاصل ان رواية الفردوسي عن ملوك ايران الاول تبعد عن العقل كما صرح في اول كتابه "ان ما يخالف العقل منها يشير به الى مطالب رمزية". واقواله مشهورة بطلاقها واما حكاياته فلم نروها الا من قبيل ايراد الحكايات المشهورة ولسنا نجزم بصحتها وان يكن لبعضها اثر من الصحة

واما عوائد الايرانيين القدماء وطرائق معيشتهم فيمكن للذي امعن النظر في التاريخ السابق ان يعلم اكثرها لان معيشة الاقوام والبلدان التي تواظب على الحرب والفتح واحدة في كل بلاد. وغاية ما قيل ان هذه الامة عرفت بلين الجانب وحب الضيافة وكرم الاخلاق والجرأة في الحرب من اقدم الازمان واذا صدقت رواية الفردوسي فاكثر الذي كان في ايامه من نظامات المدينة وامور الشرف والانسانية كان في ايام اجداده الاول

غير انه لا ريب ان الايرانيين القدماء كانوا يكرمون النساء ويعظمون

قدرهن ويخلوهن محل الاعتبار وكان هذا حال النساء في ايران قبل ايام
زردشت وبعده

واشتهر الايرانيون بجمال مناظرهم واحترامهم لروساء العائلات وميلهم الى
الحكومات المستبدة ورغبتهم في اللهو والطرب من اول عهدهم . وهذا اكثر
ما يعرف عنهم بوجه الاجمال



الدولة القاجارية

ان هذه الدولة العلية من قبيلة قاجار المشهورة وهي التي سكنت بلاد
استراباد وشمالى ايران اجيالاً من قبل ان يقوم مؤسسها ويحمل السلطة
كلها في قبضة يده . ومؤسس الدولة الحالية هو آقا محمد خان ابن امير
من وجوه القاجارية كان من سوء حظّه انه لما ملك عادل شاه بلاد ايران
ارسل يطلب اثين من امراء العائلة القاجارية فارسلوا له محمد خان واخاه
واساء عادل شاه معاملة محمد خان فكان من وراء سوء معاملته له سبب اشتهار
هذا الملك العظيم باسم آقا محمد خان وهو الذي ذكرنا طرفاً من اعماله في الفصل
الماضي ولكن المقام الآن يقتضي شيئاً من التكرار

ولما ملك البلاد كريم خان زند ارسل وراء آغا محمد خان ايضاً وجعله
من اخصائه وكان يستشيرهُ في امور الدولة لانه رأى من ذكائه واقتداره شيئاً
كثيراً فلم يرضن محمد خان برأيه مع انه كان يكره كريم خان وعائلته كرهاً
غربياً وينوي لهم الشر

ولما مات كريم خان فرّ محمد خان من شيراز بسرعة غربية ووصل الى
ظهران بعد ثلاثة ايام فاشهر في الحال استقلاله وجعل من ذلك اليوم ينازع الدولة
الزندية على الملك . وكان خصمه الأكبر لظف نعلي خان ابن اخي كريم خان وهو

الذي قلنا انه حارب مؤسس الدولة الحالية محاربة الابطال زماناً طويلاً فاتصر محمد خان عليه انتصاراً تاماً وكان محمد خان مثل خصمه بطلاً جسوراً ولكن ذكاه المفرط كشف كل فضائله الاخرى حتى انه كان يستعيب عن القتال والمخاطرة بحياة الرجال بالطرق السياسية ويفوز في اكثر الاحيان

ولما وصل محمد خان بعد فراره من شيراز الى بلاده الاصلية تألب حوله ابطال القاجارية لانه كان اكبر امرائهم ونصروه بجنودهم فجعل يستعد لمحاربة الخصوم وكان اول من حاول محاربتة بعض اخوته فلم يفلحوا سعياً واضطروا الى الفرار واحدهم وهو مرتضى قلي خان قصد امبراطورة الروس كاترينا وجعل نفسه آلة في يدها يدس الدسائس لاختيه ويعمل على خلعها وتساعده امبراطورة الروس بقصد تصيبه ملكاً على ايران في الظاهر وبقصد امتلاك ايران في الداخل ولكن هذه المساعي ذهبت ايضاً ادراج الرياح كما سيجي في حينه . وكان اثنان من اخوة محمد خان مخلصين له واحدهما جعفر خان وهو من الابطال الصناديد ورجال الرأي المدودين خدم اخاه خدمة جليلة ولولاه لما تم لهدم خان الاستيلاء على مملكة ايران العظيمة

وكان من امر محمد خان بعد ان خلص من متاعب اخوته الذين ذكرناهم انه سار على سياسة قوية مهدت له سبل النجاح لانه عفا عن كثيرين من خصومه واعداؤه واجتهد في ضم كلمة القاجاريين على اختلاف مشاربهم فربح بهذا قوة فانت جعفر خان الذي خلف كريم خان وجعل دأبه محاربة بعض ابناء قبيلته فقسم رجاله قسمين وغنم الضعف في حين ان محمد خان غنم القوة من الاتحاد . ولم تقتصر مساعي محمد خان على رجال القاجارية بل شملت جميع القبائل الاخرى المجاورة لبلاده وكان ذلك من اكبر اسباب تقدمه وخلو البلاد من المناظرين

لهُ فقد كان علي خان زعيم قبيلة الافشار خصماً لهُ في اول الامر واستعد لمحاربتهِ فتقدم محمد خان للقتال ولما اجتمع الجيشان وكانا على وشك الاشتباك في قتال عنيف ارسل محمد خان احد اخوته الى علي خان ليقول لهُ علي مسمع من قواد جيشهِ واكابر قبيلته ان مقاتلة القبيلتين العظيمتين الباسلتين تشمت الاعداء وتمزن الاصدقاء وان محمد خان يريد الاتحاد والمودة ولا يريد القتال ليس خوفاً من العداة بل حباً بالوداد والتعاون على الاجانب والمعتدين فهو يدعو علي خان الى المصالحة وينصحهُ بجفن الدماء . فاثرت هذه النصيحة في رجال علي خان تأثيراً كبيراً حتى ان ذلك القائد لم يجسر على مخالفتهم مع علمهِ بنتيجة الاتحاد مع محمد خان فقبل بالصلح وتمّ الاتفاق بين الزعيمين علي ان يكون محمد خان كبير القبيلتين وعلي خان اكبر وزرائهِ وظلّ محمد خان يظهر لغيرهِ اللطف والوداد حتى اذا نسي علي خان الاحقاد بطش به في حين غرة وفقاً عينيه ومبجتهُ حيث لم يعلم به احد واتي كل تدبير سابق حتى ان رجال الافشار لم يشقوا عصا الطاعة بسبب معاملة رئيسهم على مثل ما ذكرنا وان يكن الذي ظهر من غيظهم ومغظهم كثيراً

واما محاربة آقا محمد خان مؤسس هذه الدولة ولطف علي خان فامر يطول شرحهُ وقد مرّ ذكر بعضهِ ولكننا نذكر بالاخص ان محمد خان كان في اول الامر صاحب الامر والنهي في شمالي ايران وقاعدتهُ طهران ولطف علي خان صاحب ايران الجنوبية وقاعدتهُ شيراز

وكان حاكم شيراز واسمه الحاج ابراهيم في اول عمرهِ تاجراً ولكن كان من دهات الرجال واصحاب النظر الصائب فساعد لطف علي خان بقوة رجالهِ وبجسن سياستهُ مساعدة كبرى ولكن ذلك الفتى الباسل الذي خانه الدهر مع

انه من ابطال الزمان المعدودين اساء الظن يوماً في وزيره يوم كان سائراً لمقاتلة جنود محمد خان فبدل ان يترك له الامر على شيراز مدة غيابه كالمادة وكل غيره في الادارة واعطى قيادة الجند لرجل ثالث فاستاء الحاج ابراهيم من ذلك وكثر سوء القهر بينه وبين موله حتى ان لطف علي خان جعل يفكر في عزل وزيره ولحظ الحاج ابراهيم ذلك فانتز فرصة غياب موله عن شيراز في احدى غاراته وسلم المدينة لاحد قواد آقا محمد خان بعد ان خابره بذلك . ومن ذلك اليوم لم تقم للطف علي خان قائمة مع انه اظهر ما لا يصدق من اشكال البسالة واستولى على مدينة كرمان باقل من اربعمائة جندي وكسر ثلثين الفاً من جنود محمد خان ومعه خمسمائة رجل فقط ولكن السعد خانة في تلك المعركة لانه ظن ان محمد خان فر مع من فر من رجاله وكان ذلك في الليل فارجع جنوده عن معسكر محمد خان على ان يملك ما فيها بنفسه في الصباح فلما اصبح رأى ان محمد خان لم يزل في محله وان قوته كبيرة فلوانه تابع النصر في الليل الفات وهم على خيمة خصمه لتمكن منه ونال مراده ولكن اغتراره ورجوعه اضاعا منه كل ما اتمه ببسالته فاضطر الى الفرار الى كرمان وتحصن فيها وتبعه محمد خان فشدد الحصار على المدينة حتى لم يبق امل للطف علي خان بالبقاء فيها فخرج منها في احدى الليالي بسبعين رجلاً من اعوانه الامناء وشق جموع القاجار بين بسيفه فقتل من قتل من رجاله واما هو فنجما وملك محمد خان كرمان ولكنه اظهر من اهلها غيظاً عظيماً لانهم سلموا الحصن في اول الامر ثم مكثوه من الفرار فامر جنوده ان لا يبقوا على احد منهم فقتلوا نحو ثلثين الفاً ولم يكنوا عن القتل الا لانهم تعبوا منه واستعبدوا عدداً كبيراً من النساء والاطفال واما لطف علي خان فانه التجأ الى بعض القبائل وعاد الى احواله

وزحف على شيراز بقوة قليلة فاضطر الى الرجوع عنها ورجع الى حدود افغانستان فاضافة احد الامراء ولكنه خانة وسلته الى محمد خان بعد ان جاهد لطف علي قبل ان قبضوا عليه جهاد الاساد ولكنه كان وحيداً وكثر عليه الاعداء فلما صار الى قبضة آقا محمد خان امر ان تقف عيناه ويزج في السجن ثم قتله بعد ذلك بقليل بعد ان اكثر عذابه وانتهى بذلك دور من الادوار الغربية نغلا الجو لآقا محمد خان واستتب له الحكم على كل بلاد ايران بعد ان قضى ١٨ عاماً في مثل هذه الحروب والمساوي

ولما تم له الامر شرع في تنظيم بلاد ايران وكف القلاقل عنها فاستعمل السياسة المعروفة عنه وقرب الاذكياء وشدد الوطأة على الاعداء والاشقياء وكان من اسرار نجاحه انه يعرف الاكفاء من الرجال ويستفيد برأيهم ويعفو عن الخصوم اذا رأى في العفو نفعاً ولم يرو انه اظهر ميلاً شديداً الى الانتقام الا مع خصمه الباسل لطف علي خان الذي ذكرناه وزاد على هذا انه نقل عظام كريم خان ونادر شاه الى طهران ووضعها تحت عتبة قصره حيث كان يمر كل سائمة فكان ذلك تشفيماً من ملكين لم يقيم اعظم منهما بين ملوك ايران ولم يدحه عليه المورثون

قلنا ان جعفر قلي كان اصدق اخوة محمد خان وانه ساعده على النصر كثيراً وحارب اعداؤه زماناً طويلاً وظل على الاخلاص له الى ان قر رأي محمد خان على جعل ابن اخيه الثاني وريثاً له على الملك فغضب جعفر خان من هذا ورجا اخاه ان ينقله الى اصفهان ليكون حاكماً عليها فآبى السلطان عليه ذلك وولاه على قسم من بلاد مازندران وحدث بعد هذا ان محمد خان استدعى اخاه جعفراً ليأخذ رأيه في احدى المسائل فلم يحضر وظن السلطان ان ذلك

بادئة الشر والعصيان فأتى كل حيلة لاستماتته واقنعه في آخر الامر ان يزور طهران ليلة واحدة حتى يراه بعلة الشوق اليه فجاء جعفر خان وقابله اخوه بكل حفاوة واکرام حتى اذا اوشك النهار ان ينتهي اشار عليه ان يدخل قصرًا جديدًا بناه مدة غيابه ويتفرج على محاسنه فدخل الامير ليتفرج وكان بعض القاتلين هنالك بانتظاره فقبضوا عليه وقتلوه . ولما سمع اهل طهران بهذا هاجوا هياجًا شديدًا عظيمًا وظهرت من الجيش حركة لا تحمد لان جعفرًا كان محبوبًا من الجيش على بسالته ومن الامة على صدقه وشهامته فادرك محمدخان الخطر وجاء الى ابن اخيه الذي جعله وليًا لهده ووارث ملكه من بعده فابدى السخط منه واهانه كثيرًا امام القواد والوزراء وهو يقول له انه اضطر الى قتل اعز اخوته واصدق خلائه اكرامًا لحاطره لان جعفر خان اقسم ألا يطعم ابن اخيه من بعده فاضطر ان يقتله ليعي الملك لولي عهده . وكان محمد خان يقول ذلك والاسف ظاهر على وجهه وهوينوح ويندب اخاه حتى صدقه الحاضرون وشاع بين الناس خبر حزنه فلم يتعد هياجهم حد الكلام وصرفت المسألة على ذلك وحارب آقا محمد خان قبائل التركمان المجاورة لاستراباد لان قطاع الطرق منها كثروا ولان مشايخها كانوا يجيرون كل فارس من حكمه فاتصر عليهم انتصارًا تامًا ونكل بهم تكيلاً واستعمل الصرامة في تأديبهم حتى اخلدوا الى السكون وكان ذلك آخر ما عرف عن قلاقلهم

وكانت بلاد الكرج والقوقاس من الممالك التابعة لايران ولكن اميرها هرقل سعى كثيرًا في الاستقلال فلما رأى ان ايران في حروب مستمرة ايام محمد خان فاوض دولة الروس وكان بطرس الاكبر من زمان بعيد ينوي ضم تلك البلاد الى مملكته فلما خلفته الامبراطورة كاترينا وجدت هرقل على تمام الاستعداد للاتفاق معها

على ما تريد فعقدت معه محالفة مشهورة اتم بنودها ان بلاد الكرج اصبحت تحت سيادة روسيا بدل ان تكون تحت سيادة ايران وانها تضمن الملك على تلك الامارة لامارة هرقل ونسله . فلما سمع آقا محمد خان بهذا التحالف سار الى بلاد الكرج وحاربها قبل ان تصلها نجدات الروس فاخضعها واقتص من اهلها واضطر اميرها الى الفرار ودخل تفليس عاصمة البلاد فخربها واعمل السيف في اهلها وسبي منهم ٣٠ الف نفس اكثرهم نساء واولاد خدم معظمهم في بيوت الايرانيين واحسن معاملتهم حتي ان بعضهم تولوا المناصب العالية في البلاد بعد ان كبروا واختلطوا بالعائلات الايرانية اخنلاطاً ظهرت آثاره وهي باقية الى اليوم وكان آقا محمد خان الى ما بعد اخضاع بلاد الكرج لم يلبس التاج ولم يعد سلطاناً على ايران رسمياً فألح عليه الاعوان بذلك ورضي بعد التمتع الكثير واشهر تأييد سلطته في مدينة اورمية في يوم حافل جمع اكثر كبراء ايران ولكنه لم يلبس تاج نادر شاه لكثرة جواهره وعظمة الذي صنعه فاكتفى بتقلاد السيف الذي كان ملوك الدولة الصفوية يتقلدونه ودل بذلك على احترامه للعقائد الشيعية التي رسخت في الازهان وصارت عقيدة جميع الايرانيين المسلمين ودعي شاهاً من ذلك الوقت وتقدم محمد شاه بعد ذلك الى بلاد خراسان لاخضاعها وتأديب القبائل التاتارية التي كثر شرها وذكرونا خبر غاراتها مراراً في هذا التاريخ فلما وصل مدينة مشهد طوس فرح حاكمها خوفاً من الفاتح وترك الشاه رخ الذي مر ذكره وهو والده فيها وكان الشاه رخ ضريراً فقاً الاعداء عينيه كما تقدم وهو يومئذ شيخ فلما قرب الفاتح من مشهد خرج لاستقباله وخضع له خضوعاً تاماً فظاهر محمد شاه باكرامه وسارتوا الى مقام الامام علي بن موسى الرضا (عم) المشهور في تلك المدينة فأدى الزيارة المعتادة واستمال اليه بذلك بعض القلوب . ثم جد محمد شاه في

اخضاع جميع العصاة فأخضعهم بسياسة وقوة رجاله وابتز منهم مالا وافرا . وكان هذا السلطان من أشهر اهل الارض في الطمع وحب المال والتحف فسمع ان عند الشاه رخ بقية ثمينة من التحف التي جمعها نادر شاه لم تصل اليه وشدد عليه في تسليمها فسلم الشاه رخ شيئا كثيرا وكان محمد شاه يعتقد انه اخفى بعضها واخصها ياقوتة كبيرة غالية الثمن لم يعرف مقرها بعد ايام نادر شاه فأمر بتعذيب الشاه رخ وايلامه حتى يسلم تلك الياقوتة فعذبوه عذابا لا يطاق حتى اقر بما اخفى ودلهم الى موضع الياقوتة فأخرجوها وسلموها الى محمد شاه فأمر بابطال تعذيبه ولكنه أبعده الى داخلية البلاد فذهب الشاه رخ الذي قضى حياته في العذاب والمصائب الى قرية في مازندران ومات فيها على اثر ما اصابه من التعذيب ولم يقاس احد من المصائب والاهوال قدر ما قاسى هذا السلطان وهو حفيد نادر شاه أكبر الفاتحين الايرانيين

وكان آقا محمد شاه قد عقد بعد اخضاع خراسان اتفاقا مع امير افغانستان على فتح بخارى وبلاد تركستان المستقلة واقتسامها بينهما وشرع في ذلك ولكن بلغه قبل ان يتقدم اليه ان جيشا عرمرما من الروس هاجم بلاده فاضطروا الى التقدم لمحاربة هذا العدو الكبير بعد ان ترك حاكما قاجاريا في مشهد . وكان الروس من بعد فرار هرقل امير الكرج قد زحفوا على الولايات الشمالية من ايران وملكوا عدة مواقع نجف محمد شاه الى طهران ليستعد لقتال عظيم وارسل الاوامر المشددة الى كل انحاء السلطنة الايرانية بجمع الذخائر والرجال ليستعد استعدادا هائلا للمركة لم يعرف نتيجةها غير الله الا ان حسن نظفه خلصه من كل ذلك لان الامبراطورة كاترينا توفيت في اثناء ذلك ولما خلفها القيصر بولس الاول انفذ امرا الى جيشه بالرجوع عن ايران فكان ذلك خاتمة حرب بدأت بهمة كبرى وانتهت بلا مصائب واهوال

وكان من امر بلاد الكرج انها عادت الى العصيان بعد تقدم جيش الروس علي ايران واميرها يومئذٍ كركين خان لان هرقل مات بعد فراره من وجه الجيش الايراني بقليل فلما استراح محمد شاه من محاربة الروس تقدم على بلاد الكرج وقاسى الاهوال في محاربتها ولكنه تمكن من اخضاعها اخضاعاً تاماً . وبينما هو في تلك البلاد حدث ان اثنين من خدامه تخاصما فخنق عليهما وامر بشنقهما ولكن خصامهما كان يوم الجمعة فأمهلها الى اليوم التالي . ومن اغرب الامور انه تركهما في خدمته وهما من المنوطين بخدمة سريره وتقديم اطعمته ولم يسجنهما مع ان حكمه باعدامهما في الصباح كان باتاً . فلما جن الليل اجتمع الخادمان وتشاورا في الخلاص من القتل المحتم فرأيا ان الوسطة الوحيدة قتل سيدهما فدخلتا غرفته في منتصف الليل مع خادم ثالث وافقهما وقتلاه في تلك الليلة وهكذا انقضى حكم واحد من اشهر سلاطين ايران العظام . وكان محمد شاه يوم وفاته في الثالثة والستين من عمره وحكم على ايران نحو عشرين عاماً . وخلفه على السلطنة ابن اخيه فتح علي شاه سنة ١٧٩٧



فتح علي شاه

وتولى الملك بعد آقا محمد شاه ابن اخيه فتح علي شاه سنة ١٧٩٧ وكان قد انتصر على جميع خصومه في امور كثيرة وقضى بداءة ملكه براحة وسرور ولكن لم يكد يتم حظه من الاهتمام بامر المملكة حتى بدأت روسيا بالاعتماد على الحدود الايرانية المتاخمة لمملكته وهاجمت شطوط بحر الخزر فنجم عن ذلك نفور وخصام بين روسيا وايران واستولت روسيا على كرجستان سنة ١٨٠٠ ثم زاد النفور فأدّى

الامر الى اشتباك الحرب سنة ١٨٠٣ فانتصر الايرانيون في عدة معارك واطهروا من البسالة ما حير الاعداء فزاد الروس قوتهم زيادة عظيمة وعززوا جيوشهم فاغضبوا من الايرانيين كرجستان وداغستان وشيروان وسنة ١٨٠٥ سلمت قره باغ الى روسيا فاقفقت الحرب

وكانت فرنسا تروم المداخلة لانها رأت افعال الروس وتقدمها ضد سياستها فعرض نابوليون الاول على فتح علي شاه المساعدة فتردد اولاً في قبولها ولكنه رضي بها لما رأى تقدم الروس في بلاده فارسل اليه بعض القواد الفرنسيين لكي ينظموا الجيش ويرتبوا اموره وكان الجنرال غاردان الفرنسي الذي أُنيط به تنظيم الجيش الايراني على النسق الاوربي قد سكن روع فتح علي شاه بعد صلح تلسيت سنة ١٨٠٧ لكي يستريح بالاً واعدأ اياه بان نابوليون سيساعده عند الامبراطور اسكندر الروسي ويرد لايران البلاد التي استولت روسيا عليها واكثر من مثل هذه الوعود العرقوية

ورأت دولة الانكليز زيادة مداخلة روسيا وفرنسا في ايران فاهتمت بالامر وبعثت احكم سفرائها الى فتح علي شاه فتوسطت المسائل بين روسيا وايران على ما تقدم وأبرمت معاهدة گلستان في شهر اكتوبر سنة ١٨١٣ بين الروسيين والايرانيين بواسطة السركوز اوسلي الانكليزي. وبقيت العلاقات بين روسيا وايران في فتور والمناوشات مستمرة وداخلة ايران مضطربة من جراء ذلك . ولما توفي اسكندر الاول امبراطور روسيا ازداد اعتداد الروس على الاملاك الايرانية فلم يطق الايرانيون صبراً على ذلك وقبضوا على البرنس منشيكوف الذي كان قد بعثه الامبراطور الى ايران سنة ١٨٢٦ لتحديد التجنوم وعلى اتباعه ولم يطلقوا سيبلهم الا بامر مشدد من فتح علي شاه . وقد اضطر الايرانيون الشاه الى محاربة الروس لانهم

لم يعودوا يحنلون اعداءهم الكثيرة ولا سيما عند تحديد الحدود بين المملكتين .
 فالتزم فتح علي شاه مع علمه بسوء العاقبة ان يأمر جيوشه بالزحف على روسيا
 ومقاتلة جنودها حتى اذا من الله عليهم بالنصر استخلصوا ما غنموه من بلادهم
 وردوا ما سلب وكبحوا جماح مطامع الاعداء عنهم والا ادوا ما عليهم من واجبات
 الوطنية من الدفاع وغيره وجعل عباس ميرزا اكبر اولاده وولي عهده قائداً
 لجنود ايران فسار بجيش عرمرم وجاز نهر الرس وقاتل الروس فانتصر عليهم
 في كل موقعة حاربهم فيها انتصاراً يتيماً ووقع الرعب في قلوبهم . ولما نفي الخبر
 الى عاصمة الروس جندوا جيشاً جراراً حتى زادت نسبه الى عدد الايرانيين .
 وفي تلك الاثناء كان محمد ميرزا ابن عباس ميرزا قد تولى قيادة جيش ايران
 وكانت الحروب مستمرة بين الروس والايرانيين ومعظم الفوز فيها للايرانيين الى ٢
 سبتمبر سنة ١٨٢٦ حين ورد مدد وافر لمساكر الروس فاشتدت عزائمهم وكان
 الايرانيون قد تعبوا من القتال ولكنهم التزموه اضطراراً فالتقى الجيشان في
 شمخال على مسافة خمسة فراسخ من تفليس واحتدمت نار الوغى بين الفريقين
 فخارب الايرانيون ببسالة ما عليها من مزيد ولكن الشجاعة لا تعني اذا كثر العدد
 وزاد ومع قلة عددهم استظفروا اولاً على الروس ثم انهزموا امامهم بعد ما قتل منهم
 خلق كثير

ولما بلغ الخبر عباس ميرزا تميز حنقاً وسار بنفسه فوراً لمحاربة الروس فالتقى
 بجيش الجنرال بسكاويتش في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٢٦ وجرت بينهم وقائع دموية
 هائلة كانت الغلبة فيها للروس . وحاول ولي العهد عباس ميرزا ان يعيد الكرة على
 الروس بهد ما ابلى فيهم بلاء حسناً ولكن كثرتهم وحسن مدافعهم الزمته ان
 يرجع القهقري بمن معه من الفرسان فتقدم الروس في حروبهم كثيراً

وفي شهر يوليو سنة ١٨٢٧ حاصر الجنرال بسكاويتش عباس اباد فخرج اليه عباس ميرزا بأربعين الف مقاتل فالتقى الجيشان في ١٧ يوليو وتقاتلا قتالا عنيفا استمرّ زمنا طويلا وانتهى بتأخر الايرانيين بعد ما قتلوا من الروس كثيرين . وفي شهر سبتمبر سنة ١٨٢٧ دخل جيش الروس الى مدينة تبريز بقيادة الجنرال بنكراتيف بعد حرب عنيفة بين الجيوش الروسية والايرانية وكان قد اخذ المدينة غيلة ومع كل ذلك قتل الاهالي من الروس في تبريز نحو ١٤ الف في مدة ستة اشهر

ولمآرت الدولة الايرانية ان لا يقبل لها على استمرار الحروب وانه كلما نقص جيش الروس اتاهم المدد اهتم عباس ميرزا بابرام صلح مع خصومه وبعد المفاوضات في هذا الشأن عين عن الدولة الروسية الجنرال بسكاويتش واوبرسكوف مستشار تلك الدولة وعن دولة ايران عباس ميرزا فتم عقد الصلح في ٢٣ فبراير سنة ١٨٢٨ وسمي بمعاهدة تركان چائي ووقع المندوبان المذكوران على عهدة الصلح . وكان من جملة الشروط تخلي ايران عن خاني ابروان ونقچوان ودفع ثمانية ملايين روبل (الروبل = فرنكين) غرامة لروسيا وتخويلها ادخال سفنها الحربية في بحر الخزر

وبعد ذلك باسهر ارسل امبراطور روسيا سفيرا الى دولة ايران اسمه كريبيدوف ومعه خمسون رجلا وفوض اليه تهنئة فتح علي شاه بتوطيد دعائم الصلح بين الدولتين نهاج عليه عامة الايرانيين لسبب فلفظته وقتلوه شرقتة فتبكر فتح علي شاه من ذلك وارضى الروس باعذار مقبولة

ومن اشهر اعمال فتح علي شاه انتصاره على العثمانيين في وقائع عديدة منها اخذة ولاية عراق العرب ومحاصرة بغداد بقيادة نجله الثاني محمد علي ميرزا وموت

المذكور في اثناء الحرب فجأة . والاهم من ذلك محاربة ولي عهد عباس ميرزا
 ومحمد رؤوف باشا المر عسكر العثماني وذلك سنة ١٢٣٧ وانكسار الترك
 وانهمزاهم شرهزيمة في مكان يدعى (توبراق قلعة) وكان الاوردي العثماني مؤلفاً
 من احد وخمسين الفاً من العساكر ومئتين من المدافع الضخمة والسيارة وكان
 جلال الدين محمد باشا الشهير بچوبان اوعلي يقود المعسكر يومئذ وكان محاربو
 الجنود الايرانيين اربعة عشر الفاً من المشاة وعشرة آلاف من الفرسان ومعهم ستون
 مدفعاً فانتشبت الحرب بين الفريقين واطهر الفريقان من الشجاعة فوق المنتظر
 فعلبت الجنود الايرانية من شدة نيران العثمانيين اولاً ثم عاد الايرانيون فاستظفروا
 على الاتراك بعدما رأوا ان عباس ميرزا ولي العهد كرك على الترك بفرسانه الخيوصيين
 وتحركت فيهم الحمية فحملوا عليهم حملة شديدة واستعملوا السلاح الابيض بدل
 الاحمر. ودام الحال على هذا المنوال مدة ثلاث ساعات فانجلت المعركة عن انكسار
 العثمانيين وهروب القواد مثل سليم باشا وعلي باشا وجلال الدين محمد باشا وقتل في
 هذه الحرب من العثمانيين سبعة وعشرون الفاً وجرح عشرة آلاف وأسر اربعة آلاف
 واغتنم الايرانيون جميع المدافع والمهات والذخائر الحربية وقد قتل من الايرانيين
 تسعة آلاف وأخذ منهم عدة من الاسرى قتل منهم الف وخمسون. ثم عطف عباس
 الى جهات الوان والموصل وفتحها عنوة ثم عتدت شروط الصلح بين الدولتين بمعاهدة
 سميت (معاهدة ارضروم) وذلك في ١٩ القعدة سنة ١٢٣٨

وفي سنة ١٨٣٢ توفي عباس ميرزا ولي عهد المملكة الايرانية فخرن عليه
 والده والامة كلها

وقضى فتح علي شاه اكثر ايامه بعد وفاة ابنه عباس ميرزا في اصفهان وكان
 كدره عليه لا يعادله كدر وهزل جسمه فتوفاه الله في ٢٠ اكتوبر سنة

١٨٣٤ مسيحية الموافقة سنة ١٢٥٠ هجرية وكان حاكماً عادلاً في ملكه حكماً في تصرفه نقياً في دينه حليماً عند الحلم وكرماً عند الكرم وقد دُفن بما يليق بمقامه الملوكي من الاحترام والوقار

توفي عن سبعة وخمسين ابناً وست واربعين بنتاً وعدد نسله حين مماته الفانفس (وقد بلغ عددهم سنة ١٣٠٠ هجرية عشرة آلاف) وكان هذا السلطان مفرط الذكاء وله ديوان شعر بالفارسية وجملة آثار من الابنية الجميلة في عاصمة الدولة وسائر البلاد الايرانية وهو الذي ادخل النظام الافرنجي الى بلاده ودرب عساكره على النسق الاوربي . وعاش ٦٧ عاماً ملك منها ٣٧ سنة

محمد شاه

وخلف فتح علي شاه على الملك محمد ميرزا ابن عباس ميرزا الذي كان ولي العهد ومات قبل والده بسنة وكان جلوس محمد ميرزا على عرش الملك في تبريز في ٧ رجب سنة ١٢٥٠ هجرية (سنة ١٨٣٤ مسيحية) فثار عليه اعمامه فانتصر عليهم وقبض على صولجان الملك فصار يدعى (محمد شاه) وكان ايام حكمه عادلاً في رعيته شفوفاً عليها وقلد الوزارة العظمى لعلمه العلامة الحاج ميرزا آقاسي كل مدة حكمه وانشأ معملات لصب المدافع وسائر الادوات الحربية وجهاز الف مدفوع بين صغير وكبير ولم يحدث في ايامه الا حوادث لا تذكر لعدم اهميتها منها ان اهل هرات كانوا قد عصوا على الحكام الايرانيين فاشهر محمد شاه عليهم الحرب سنة ١٨٣٧ وتولى بنفسه امر الحرب وجعل يفتح بلاداً بعد اخرى من شرقي ما وراء النهر وكاد يدخل (هرات) ويتكلم باهلها لولا انتصار الانكليز لهم بواسطة اللورد اوكلند الذي سير السفن الانكليزية الحربية الى خليج فارس وفيها الجنود متظاهرة بالحرب

والإتصار لاهل هرات لزعم الانكليزان هرات مفتاح الهند . ولما رأى محمد شاه ذلك رفع الحصار عن هرات في ٩ سبتمبر سنة ١٨٣٨ وتلافي المسألة بالتي هي احسن لان الحروب التي حاربتها ايران مع الروس مدة ثلاثين عاماً متوالية كانت عنيفة لا تسمح الاحوال بغيرها في ذلك الوقت

وحدث في ملك محمد شاه سنة ١٢٦٠ هجرية ان رجلاً من اهالي شيراز كان مشهوراً بالزهد واعمال الرياضة الشاقة اسمه ميرزا علي محمد ابن ميرزا رضا البزاز ادعى انه هو نائب المهدي المنتظر عند المسلمين وسمى نفسه « الباب » رمزاً الى الحديث النبوي « انا مدينة العلم وعلي بابها » فثار الناس عليه وسجنته الحكومة باصفهان ثم في (چهر بيق) وقد ادعى ايضاً وهو في السجن انه المهدي الموعود به فانحاز اليه حزب سياسي (هم البابية) ووقع بين الحزب والحكومة مشاغب وقتل الباب بعد ذلك رمياً بالرصاص في تبريز

وظل محمد شاه جالساً على عرش السلطنة الى سنة ١٢٦٤ هجرية (سنة ١٨٤٨ ميلادية) وتوفاه الله يوم الثلاثاء ٦ شوال من السنة المذكورة وكان ميلاده يوم الثلاثاء ذي القعدة سنة ١٢٢٢ وعمره ٤١ عاماً و١١ شهراً ودامت سلطنته ١٤ سنة و ٣ اشهر وله اربع بنات وخمسة بنين اكبرهم ناصر الدين ميرزا الذي كان ولي عهده وجلس على اريكة الملك بعده وكان هذا الملك البار يضرب به المثل في الزهد والتقوى والاعمال الصالحة وحب الفقراء ومجالسة المساكين والرافة عليهم وكان غيوراً على مصالح دولته ولم تشهر حرباً الا وكان فائداً عسكرياً ولولا معارضة الانكليز له في الشرق لكان لاعماله الحربية الآن شأن يذكر في عالم السياسة نظراً الى مهارته في الفنون الحربية وشجاعته الطبيعية

ناصر الدين شاه

ولد ساكن الجنان ناصر الدين شاه في تبريز في ٦ صفر سنة ١٢٤٧ هجرية الموافقة ١٨ مايو سنة ١٨٣١ ميلادية ووالده السلطان محمد شاه ثالث ملوك الدولة القاجارية ووالدته اميرة من آل قاجار العظام اشتهرت بالفطنة والذكاء وهي التي اعنت بتريته وتعليمه وفعلت فعال السياسيين العظام يوم وفاة السلطان محمد شاه فنجحت في تنصيب جلالتيه على العرش وفي حل عروة الدسائس الكثيرة التي دسها الطامعون في اخلاص الملك . وكان ناصر الدين شاه جميل الخلق والخلق ولكنه اشتهر بالفكر الكثير وشيء يشبه الحزن في منظره من ايام الصغر حتى ان بعض كتاب الفرنسيين من الذين تشرفوا برويته في حال صباه وصفوه بمثل هذا الوصف وانبا بعضهم من ذلك الحين انه سيكون من اهل العقول الكبيرة . وقد صدقوا في تفرسهم فانه صار من اجمل الرجال قامة واكثرهم هبة ووقارا واغزرهم نباهة في ايام الكبر . وعين له احد الفلاسفة العظام منذ نعومة اظفاره ليقرا العلم عليه وهو الاستاذ الحاج ملا محمود التبريزي الملقب بنظام العلماء فدأب في تعليمه وهو يعجب بذكائه وظل جلالتيه بعد اتمام دروسه يطالع الكتب و يبحث عن الامور المفيدة الى آخر حياته وقد تعلم اللغة الافرنسية جيدا حتى الف كتابها تدرس الآن في مدارس ايران واشتهر ايضا في نظم الشعر وسلاسة الانشاء بالعربية والفارسية حتى نسب له سليقة مخصوصة في علم الانشاء ولما كانت العادة تقضي بتعيين ولي عهد الدولة الايرانية العلية حاكما على الولايات الشمالية منها وهي المعروفة باسم آذربايجان وعاصمتها مدينة تبريز عين ناصر الدين شاه من ايام الصغر في هذا المنصب الخطير ليعتبر على الاعمال ويخبر

الاحوال بنفسه ولكي يبعد عن سراي السلطان ابيه فلا يجره الشباب الى قضاء الايام والليالي في الملاهي مثل اكثر امراء الشرق والغرب . فضل في تبريز يدير مهام مملكته الى يوم وفاة والده وكان ذلك في ١٤ شوال عام ١٢٦٤ - ١٠ سبتمبر ١٨٤٨ ولما علمت والدته ان الدسائس كثيرة ارسلت الساعة اليه في تبريز واوصتهم بالاسراع ما استطاعوا والوصول قبل حدوث فتنة بجاؤوه وابلغوه الامر فتلقاه بالجلد واخفاء الكمد واطهر جراءة وذكاء عجيبين في تلك الساعة الرائعة . ثم أعلن الامر فامر اعوانه بالاستعداد للسفر في الحال وقام الى طهران عاصمة الملك ومعه اعيان آذربايجان واكبرها فجعل الناس يتقاطرون الوفاً الوفاً من كل انحاء البلاد ليتبركوا بطالع السعيد ويقدموا له واجب التهئة والخضوع ودخل طهران بابهة كبيرة واحفائه باهر بين صفوف الناس وهم الوف فوق الوف يدعون له بطول العمر ودوام النصر . وكانما الله استجاب دعاء اولئك الجماهير فأطال عمر ناصر الدين شاه واتاح له الجلوس على العرش ٤٩ عاماً وهي مدة لم يحكم مثلها سلطان من قبله على ايران غير عباس شاه احد ملوك الدولة الصفوية الشهيرة فرقي العرش ولبس التاج في التاسعة عشرة من عمره .

ولما استتب الملك لجلالته نادى في البلاد بالامن على الارواح والاموال واطلق الحرية للاديان والتجارة فارتاح الناس الى هذه الامور واطمأنت الخواطر ولم يحدث ما يكدر صفو عيشه الا حادثة ثلاثة اشخاص منسوين الى الفئة البايئة التي مر ذكرها فكادوا لجلالته مكيدة اوشكت ان تنجح لو لم ينقذه الله من يد القاتلين ويبان ذلك كما يأتي :

شاع في سنة ١٨٥٠ ان شهر شوال سيكون سيئ الطالع على جلالة الشاه وكان في ضواحي طهران وقد خرج على عادته ليروح النفس من عناء الاشغال ويفتنم

لذة الصيد والقتل فرجاً بجماعة من العمال يفلحون الارض ويظهرون كدًا ونشاطًا في منتصف النهار وهم لا يبالون بالحرف فأعجب باجتهادهم وامر الذين كانوا بمعيتهم ان يعطوهم ما يدل على انعطافهم اليهم وكان هؤلاء الثلاثة قد جاؤوا ليحاولوا الاستخدام في قصر جلالتهم ويقتلوه فلما رأوا ما رأوا من لطفه ولين عريكته اجتمعوا عن انفاذ غايتهم ولكنهم عادوا الى القصد الاول لما نسوا احسان الشاه اليهم حتى اذا جاء آخر شوال وكان جلالتهم راجعاً من الصيد والاعوان بعيدين عنه حسب العادة لحظ الشاه اولئك الثلاثة انفسهم يحرثون ويكدون ورأى انهم انقطعوا عن العمل حالما رأوه وتقدم واحد منهم وفي يده عريضة وهو يستغيث ويطلب الرحمة والانصاف منه فأشفق الشاه عليه وامره ان يتقدم اليه بالعريضة فتقدم الرجل والاثنان الآخران وراءه حتى اذا وقفوا حوله امسك احدهم بيده وحاول الاخران قتله واطلق احدهم رصاصة عليه اصابته فغذه وقيل احدى ذراعيه ولكنها لم تنعه من الدفاع عن نفسه فانه جعل يقاتل هؤلاء مدة ويردهم عنه حتى انقض عليهم الحراس والضباط وغيرهم ممن كان بمعيتهم جلالتهم ولقوا ما يستحقونه من العقاب جزاء هذه الحيانة الكبرى ونجا ناصر الدين شاه من القتل بشجاعته وجرأته .

هذه اهم الدسائس التي تذكر في ايام ناصر الدين شاه فشرح بعد ذلك في الاصلاح الداخلي وابدل كل العمال الذين ارتاب بامانتهم وحث الناس على الاجتهاد وكسب المعارف وسهل لهم سبل الترقى ما امكن . وكانت الاحوال الخارجية موجبة وقتئذ للاهتمام فانه حارب حسن خان سالار واتفق بلاد خراسان منه وشهر الحرب على امير خيوق (خيوا) وإمام مسقط بسبب دسائسها وهجومها على التتوم الايرانية وفتحها بالعباد ونال المراد من هذه الممالك . ثم حوّل همه الى امور اوربا وكان يراقب سير الحرب الهائلة المعروفة بحرب القرم في عام ١٨٥٥ بغاية الاهتمام

واخذ يفكر في اخذ الثار والانتقام من الدولة الانكليزية جزاء ما ظهر منها في حرب هرات وارسالها السفن الحربية الى الخليج الفارسي ومنع المرحوم والده من اتمام مشروعاته الجليلة فاخذ يبعث العيون في البلاد الهندية وبعث الجواسيس في اقطار تلك البلاد الشاسعة ويحض أمراء الهند على الثوران والقيام في وجه الحكومة الانكليزية واعدأ اياهم بتحرير بلادهم وتصيب ملك منهم عليهم ولما آس منهم القبول ارسله عن سلطان مراد ميرزا الملقب بحسام السلطنة بجيش جرار الى هرات وامره بالتوغل في المغاوز والدروب الافغانية كي يصل باقرب زمن الى التجوم الهندية فقامت وقتئذ قيامة الحرب بين ادارة هرات وبين عساكر المشاة من جهة وبين الهندود والحكومة الانكليزية من اخرى فاندثشت الدولة الانكليزية من جراء هذه الاحوال حتى بلغها دخول العساكر الايرانية الى هرات عنوة وقتل اميرها وتقدمها نحو الجنوب فاسرعت بارسال المدرعات الحربية الى الخليج الفارسي واستولت على بندر ابي شهر واسرت محافظها حسن علي خان درياييكي مع مهدي خان (سرهنگ) البكاشي وارسلتها الى بومباي واشاعت انها اسرت ناصر الدين شاه وجعلت للمحافظ المذكور موكبا ملكيا وانزلته في احدى سرايات الحكومة وعينت من يرافقه في الدخول والخروج ويمعه من التكلم لثموه على الناس انه الشاه اذ كان يجر عرته اربعة من جياذ الخيل وحوله ثلة من الفرسان شاهري السيوف كياوران الملوك في ذهابه واياه فنجحت بذلك تمام النجاح فاختدت الثورة الهندية المعلومة . ثم دخل نابليون الثالث بين الدولتين وتوسط في الصلح حتى تم بينهما تحت رئاسته وامضى عهدة باريز على شروط معلومة ومشهورة

وكان دأب الشاه ركوب الاخطار وتجشم مشاق الاسفار في داخلية بلاده وخارجها واول ولاية زارها من الخارج ولاية العراق العربي حيث مشهد امير

المؤمنين علي بن ابي طالب والامام حسين ابن علي (عم) وسائر المستشهدين بين يديه في يوم العاشوراء بمدينة كربلاء وذلك في ايام المغفور له السلطان عبد العزيز خان وقوبل باحسن احوال واطهر في تلك الزيارة من المآثر المحيطة ما يليق بامثاله من السلاطين العظام . ثم انثنى راجعاً الى بلاده وهو يفكر في زيارة الاقطار الاوربية بايعاز وزيره الاول ميرزا حسين خان الصدر الاعظم الذي كان له مكان سام بين ارباب السياسة حين ما كان سفيراً لدولته في القسطنطينية فبرح بلاده ومعه ٥٢ رجلاً من عظماء دولته واكابر عائلته سنة ١٢٩١ هجرية فزار روسيا والمانيا وفرنسا وانكلترا والنمسا وايطاليا وهولانده واسبانيا والدانمرك وسويسرا وتركيا فقابله ملوك تلك الممالك احسن مقابلة وبالغوا في الاحفاء به وكانت المنافسة في استقباله والاحفال بقدمه على قدم وساق بين الدول ذات المصالح التجارية في ايران لاسيما وانه كان اول ملك شرقي زار اوربا ثم اردف هذه الزيارة بعد بضع سنين بزيارة ثانية سنة ١٨٧٨ وثالثة سنة ١٨٨٩ ايام معرض باريز المشهور وكان في كل مرة يأتي الى بلاده بالفنون والصنائع ويأخذ من الاسلحة الجديدة ويستأجر الضباط والعلماء لبث نور التمدن وتدريب العساكر في بلاده . وكان يكتب حوادث اسفاره بقلمه يومياً في كل مرة ويسرد فيه الحقائق والحوادث سرداً بديعاً ويصف الآلات المركبة وصفاً واضحاً ويذكر انساب الرجال العظام والقابهم في كل بلاد بغير خطأ . ويستغرب هذا من سلطان شرقي مثله فان الكاتب الافرنسي مثلاً قد يولف كتاباً عن الانكليز ولا بد ان يكثر الخطأ في كتابه وخصوصاً في أسماء الرجال والاماكن والالقب والانساب ومثل هذا يقال في الكاتب الانكليزي اذا ألف شيئاً عن فرنسا وغيرها من كثرة الاتصال والاخلطاط في اوربا وسهولة اخذ العلم والاختبار واما جلالتة

فكتب تلك الكتب عن اوربا ولم يخطئ في شيء مما قاله عنها . وقد ترجم العلامة
فاميري المغربي السائح الشهير فصولاً طويلة من هذه الكتب ونشرها في صحف
الافرنج فأعجب العلماء بما ظهر لهم فيها وشهد المترجم المذكور وهو من علماء اللغات
الشريفة ان الكتاب مكتوب بأبلغ عبارة وامتن تركيب

ولما رجع الى بلاده من سياحته الاخيرة اصدر امراً ملكياً يحث به جميع
الولاة والحكام على الرفق بالرعية كلها بلا تمييز فئة على اخرى ودعا رؤساء الامة
المسيحية وحثهم على فتح المدارس وخصص لكل مدرسة مالا طائلاً يدفع سنوياً
اليها وامر باحصاء الطوائف المسيحية وغيرها فبلغ خمسة وتسعين في المئة من
سكان ايران وهم مسالمون اكثرهم من الشيعة الاثني عشرية والباقي من شافعية والقليل
من الحنفية وما بقي وهو خمسة في المئة من الطوائف الاخرى وبلغ عدد المسيحيين
من ارمن وسريان كلدانيين نحو مائة وثلثين الف نفس اكثرهم قاطنون في ولايتي
العراق العجبي واذر بايجان وبلغ عدد الارمن في الولاية الاولى نحو اربعين الفا
تقريباً بعضهم ساكنون في مدينة طهران ورشت وجلقا بالقرب من مدينة اصفهان
ولكن اكثرهم في القرى الواقعة الى الشرق والشمال من اصفهان . وبلغ عددهم في
اذر بايجان اربعين الفا اكثرهم من سكان المدن . اما السريان الكلدانيون وعددهم
نحو خمسين الفا تقريباً فهم في الغالب يقطنون القرى في الجبال والسهول واكثرهم
نساطرة والبعض منهم اعتنقوا المذهب الكاثوليكي والبروتستانتى

وكان ناصر الدين شاه كما اثبتت الصحف الافرنجية اغنى ملوك الارض طراً
بخزائن النفائس والمجوهرات الثمينة وكان له ولع شديد في جمع تلك الاحجار
وعرضها على الانظار حتى امر اخيراً ببناء قبوت تحت قصره فيه حلى ومصوغات
تقدر قيمتها بعشرين مليون جنيه فيه اولاً تاج قديم للملك ايران اشبه من حيث شكله

باناء الازهار وهو مرصع بالياقوت الاحمر الباقي على هيئة تركيبه الطبيعي و يبلغ حجم الفص منه حجم بيضة دجاجة. ثم منطقة من الشارات الملكية فيها من الالماس ما لا يقل وزنه عن تسعة كيلوغرامات وسيف بديع الطرز والصنعة مرصع بالجواهر التي يبلغ ثمنها ثمانية ملايين فرنك وانه من الفضة الخالصة مشتمل على مئة فص من الزمرد لامثيل لها في العالم باسره من حيث نفاستها وجمالها وقد نقش على فص منها بالغ حجم الجوزة اسماء جميع ملوك فارس ثم كرة جغرافية تمثل القارات الخمس وكل قارة منها مرصعة بجواهر خاصة وفي ذلك القبوشي كثير من الالماس والياقوت الاحمر والصفير (الياقوت الازرق) والزرجد (الياقوت الاصفر) الشفاف واللؤلؤ وعقدان من اللؤلؤ حجم كل لؤلؤة يبلغ حجم بيض الحمام ثم حجارة شهيرة من الالماس (كوه نور) ابي جبل النور ليس لها مثل في العالم الا فص عند جلالة ملكة الانكليز واخرى عند جلالة قيصر الروس وجوهرة يبلغ حجمها خمسين سنتمترًا. اما النقود الذهبية فبلغ ستين مليون من الجنيهات الانكليزية حسب ما تبين بعد موته اخيراً

ومن جملة مآثره الجليلة في اوائل سلطنته هو انه رحمه الله امر بانتخاب اربعين نفرًا من الشبان النجباء من اولاد الامراء اعيان المملكة وارسلهم الى باريس تحت رئاسة حسن علي خان امير نظام احد العلماء الايرانيين فمكث التلامذة سبعة اعوام في مدارس شتى افرنسية ونالوا شهادات (دبلومة) حسنة بعد اتمام دروسهم ثم عادوا الى بلادهم ومعهم جملة علماء ومعلمين من الفرنسيين في علوم شتى فآكرم الشاه وفادتهم وامرهم بترجمة الكتب النفيسة من الافرنجية الى الفارسية ثم انشأ بناء رحيباً فسيحاً سماه دار الفنون وهي تشمل على عدة مدارس مختلفة الدرجات كدرسة طبية عالية تحت رئاسة الدكتور تلوزان وجملة من اشهر

اطباء الافرنسيين ومدرسة حرية متقنة الوضع والترتيب على النسق الاوربي الحديث ومدرسة كلية للهندسة والهيئة والفلك ومدرسة للعمليات والصنائع القديمة والحديثة ومدرسة ابتدائية كبيرة ومدرسة تجهيزية اعدادية . ثم امر رحمه الله بان يكون ٧٥ في المئة من تلامذة تلك المدارس من ابناء مشاهير البلاد والبقية من اولاد الفقراء على نفقة خزينته الخاصة

ثم وجه نظاره الى اصلاح الطرق والسبل العمومية لتسهيل المواصلات ومد الاسلاك البرقية في انحاء جميع الولايات والحدود الايرانية . ونظم البريد احسن انتظام حتى صار يضاهي احسن مصلحة بريدية باوربا . وادخل بلاده ضمن اتحاد البريد العام . واباح بعد ذلك حرية الملاحة في نهر كارون ودخول البواخر التجارية الافرنجية عليها من مصب النهر وشطوط البحر الفارسي ماراً باراضي دزفول وشوشتر الى القنطرة الشهيره ومنها الى ما وراءها مجتازاً من الشلالات الضخمة بعد كسرها وتفتيت قواعدها . فبعد ما اتم هذه الحاجيات العطف الى رآب صدع الثغور البحرية ورأى بلاده في اشد الاحتياج الى اسطول حربي لدرء ما يطرأ تخاطب اشهر المعامل الالمانية في بناء السفن والمدرعات واتفق معها على بناء اربع مدرعات من الطراز الاخير وتم بناء الاولى المسماة (برس بوليس) وارسلت الى الشطوط الايرانية ولسنا نعلم ماذا جرى بالثلاث الاخرى . وكان منهمكاً بشراء الاسلحة وقد اشترى منها مقداراً عظيماً ولكن بعد البلاد وطول المسافات وجفوة الجيرة كثيراً ما كانت تعيق مشروعاته الحربية ولم يربداً من انشاء معمل لصب المدافع وصنع البنادق والذخائر والادوات العسكرية في عاصمة بلاده فانشأ مِعْمَلًا عَظِيمًا في طهران استغنى به عن اتباع كثير من الادوات الحربية لانه صار يعمل به من الآلات النارية ما يعمل في اشهر المعامل الافرنجية

وبالاجمال ان الاصلاحات التي تمت في الممالك الايرانية مدة ملكه السعيد
بندران يأتي واحده بمثلها

ولما كان واجب الوفاء يستدعي شكر المنعم نذكر ان المغفور له ناصر الدين
شاه انعم على مؤلف هذا الكتاب بنيشان شير خورشيد العالي الشان فرجع الى
اعنابه الملوكية هذه القصيدة

مَقَامُ مَجْدِكَ مَرْفُوعٌ عَلَى زَحَلٍ
يَا كَاشِفَ الظُّلْمِ بِالْعَدْلِ الْمُبِينِ وَيَا
يَا مَنْ يَنْزِلُ مِنْ عَلَيَّ حِكْمَتِهِ
أَنْتَ الْمَلِكُ الَّذِي شَادَ الزَّمَانَ لَهُ
فِي ظَهْرِ أَجْنِحَةِ الْأَمَلِكِ عَرَشُكَ قَدْ
بُشِّرِي لِمَا كَتَبْتَ تَدْعُوكَ سَيِّدَهَا
وَوَطَّدْتَ فِيهَا بِنَاءَ الْعَدْلِ فَأَبْتَهَجْتُ
فَالنَّاسُ مِنْ عَدْلِكَ الْمَنْشُورِ فِي جَدَلٍ
تَرَفَعْتَ عَنْ ذِرَى الْأَطْوَادِ حِكْمَتِكُمْ
وَأَصْبَحْتَ يَا نَبِيَّ اللُّطْفِ تَنْطِقُ فِي
أَغْنَاكَ عَزْمُكَ إِنْ جَرَّدْتَ صَارِمَهُ
وَخَصَّكَ اللَّهُ مِنْ أَسْمَى الْمَآثِرِ يَا
شَمَلْتَ عَبْدَكَ بِالْفَضْلِ الْعَمِيمِ وَذَا
كَرَامَةٌ نَلْتَمَا مِنْ فَيْضِ نِعْمَتِكُمْ

يَا نَاصِرَ الدِّينِ يَا سَيْفَ الْأَئِمَامِ عَلِيَّ
تَاجًا تَزِينُ فِيهِ هَامَةَ السُّؤْلِ
فَرُقَانَ فَضْلِ بَيِّنَاتِ الْكَمَالِ نِي
فَوْقَ الثَّرِيَّا مَقَامًا جَلَّ عَنْ مَثَلِ
رَفَعْتَهُ بِاِقْتِدَارِ الْخَالِقِ الْأَزَلِيِّ
يَا مَنْ بِهِ اِزْدَانٌ جِيدُ الدَّهْرِ مِنْ عَطَلٍ
بِهِ النُّفُوسُ وَبَاتَ الذُّبُّ كَالْحَلِجِ
وَالْأَسْدُ مِنْ بَاسِكِ الْمَشْهُورِ فِي وَجَلِ
وَقَارَتِ فِي عِلَاهَا حِكْمَةُ الرُّسُلِ
آيَاتِ نَوْرِ سَنَاكُمُ سَائِرُ الْمَلَلِ
لَدَى الْخُطُوبِ عَنِ الْخَطِيئَةِ الذُّبُلِ
بِكَمَالِ وَالْفَضْلِ وَالْآدَابِ وَالْعَمَلِ
يَا سَيِّدَ الْجُودِ عِنْدِي مُنْتَهَى الْأَمَلِ
كَأَلْأَرْضِ تُسْقَى بِرِيِّ الْوَابِلِ الْهَطَلِ

وَالْأَرْضُ إِن تَرَوْهَا تَبَّتْ وَأَنْعَمَ
 قَدْ أَنْبَتَتْ فِي غَرْسِ الشُّكْرِ وَالْجَذَلِ
 فَهَذَا أَنَا فِي هَذَا مِنْ عِنَابِكُمْ
 أَلْسَعِدُ بِخِدْمَتِي وَالْمَجْدُ يَخْضَعُ لِي
 وَإِنِّي الْآنَ فِي عِزِّ بَدَوْلَتِكُمْ
 أْتِيهِ مِنْ فَضْلِكُمْ فِي أَنْفَرِ الْحَلَلِ
 عِزِّي بِهِ الشَّمْسُ تَزْهُو فِي مَنَازِلِهَا
 وَكُوَكِبُ أَلْسَعِدِ يَعْلُو ذِرْوَةَ الْجَمَلِ
 فَدَمَ مَعَ الْآلِ وَالْأَنْجَالِ فِي نِعَمٍ
 وَطُولِ عُمُرٍ يَرْغُدُ الْعَيْشُ مُتَّصِلِ

ورفعت قصيدة اخرى لفخامة الصدر الاعظم

وقد وصلت القصيدتان الى نخافة الصدر الاعظم في طهران ورفع الى جلالة
 الشاه القصيدة المدرجة آنفا فتنازل رحمه الله وقبلها بالشكر وصدرت ارادته السنية
 بحفظها مع الآثار النفيسة وامر فخامة الصدر الاعظم ان يبلغنا ذلك رسمياً بكتابة
 تحفظ بالأمرة في السجلات الملكية ففعل وبعث الى معتمد دولته الوزير الفاضل
 ميرزا اسحق خان بكتابة رسمية فورد علينا من دولته الكتاب الآتي

حضرة الفاضل ساداتلو شاهين بك مكار يوس المحترم

يسرني ان ابشركم بان قصيدتكم الغراء التي رفعتموها على يدنا بواسطة فخامتو
 البرنس ميرزا علي اصغر خان الصدر الاعظم لاعناب عظمة مولانا الشاهنشاه المعظم
 قد حازت القبول العالي والشكر الجزيل وكتب الينا فخامة الصدر الاعظم الرسالة
 الواصلة صورتها طيه لتبلغكم ذلك مع الشكر لخدمتكم العظيمة واقبلوا منا فائق التحية
 وزير دولة ايران العلية

مصر ١٢ يناير ١٨٩٥ و ١٥ رجب ١٣١٢

بالقصر المصري

ميرزا اسحق خان

وقد ادرجتها لتعظيم اثرها بخالداً لجلالته على مؤلف هذا الكتاب

وفي اليوم الاول من شهر مايو سنة ١٨٩٦ طير اليينا البرق خيراً انقبضت له
النفوس وصدعت الافئدة وهزّت الارض من اقصاها الى اقصاها ألا وهو خبر
قتل ساكن الجنان السلطان ابن السلطان والحقان ابن الحقان السلطان ناصر
الدين شاه ايران وسيدها الذي حكمها نصف قرن وغمر اهلها باحسانه وجعل لها
المقام المعزّز بين الدول المعروفة فعمّ الخطب وساد الحزن والقلق في سائر الانحاء
وأصيبت بلاد ايران بما لم يكن في الحساب وانقلبت افراح الامة الايرانية الى
احزان واشجان لانها كانت في هذه الاثناء تستعد استعداداً عظيماً للاحتفال بعيد
سعيد هو عيد مرور خمسين عاماً من يوم رقي الفقيه العظيم عرش ايران فقضت
الاقدار ان يتنصص عيش هذه الامة الكريمة وان تندب سيدها ومولاها بدل ان
تقدم له لفروض التهاني وتفرح بطول ايامه وطول مدة حكمه السعيد وليس لحكم
الله من مرد

ولقد اثر فينا هذا النبأ المشوم تأثيراً خاصاً لان جلالة الشاه الفقيه غمرنا
باحسانه وكانت ادلة رضاه علينا وتنازله الى الانعطاف اليانا تتوالى عاماً بعد عام
حتى ان الرثاء والتعداد مها اكثر مقداره لا يقوم بالايضاح عما يخامر فؤادنا من
الحزن على وفاة هذا الملك العظيم الذي ترك من المآثر والآثار ما ليس يحوه مرور
الادهار . ويزيد البلوى ان الفقيه العظيم الذي سهر خمسين عاماً على بلاده
ورعيته مات قتيلاً بيد احد الاغبياء فلا غرو اذا تعاطمت الاشجان ولبست الامة
الايرانية السواد حداداً على زينة الملوك العظام وقدوة السلاطين الكرام رحمه الله
تعداد مآثره وحسناته والمأسرة الكريمة واللائذين بها صبراً على فقده ومتع
بلادته بالراحة في ايام جلالته نجده السلطان ﴿ مظفر الدين ﴾ شاه المعظم انه
السميع المجيب

واما عن تأثير هذا الحادث العظيم في الارض فحدث ولا حرج ذلك لان
جلالة ناصر الدين شاه رحمه الله حكم بلاده مدة طويلة يندر ان يحكم مثلها ملك
غيره وهو على كل حال سيد بلاد ايران ومولاه المطلق القول ما قال والحق
حيث قال اعنادات البلاد احكامه وعرفت الدول المجارة لايران والتي لها بها
علاقات كيفية السير مع حكومتها في ايامه ولاكثرها علاقات خصوصية بجلالة
الشاه فليس بغريب اذا اضطرت الافكار وخشيت الدول ان يعقب الوفاة تغيير
في سياسة ايران يخشى من عواقبه ولا يظن القارئ اننا نبالغ في القول ان سلامة
الممالك وسلام الارض يتعلق على رضى جلالة الشاه لان بلاد ايران واقعة في
اواسط اسيا وهي متاخمة لاملاك روسيا من ناحية ولاملاك انكلترا من ناحية
أخرى وهما الدولتان العظيمتان صاحبتا النفوذ الاكبر في قارة اسيا فاذا غير جلالة
الشاه خطته او مال الى دولة دون دولة اخرى او تساهل في اعطاء الامتياز
لناس دون اناس آخرين ادى ذلك الى التنافس المائل بين انكلترا وروسيا وقد
يعقب هذا التنافس الحرب . ومعلوم ان الحرب في هذه الايام لا بد ان تتناول كل
الدول الاوربية بسبب ما يعرف القراء الكرام من المعاهدات والتحالفات فاذا
اشتعلت نيرانها في اسيا بين انكلترا وروسيا لا سمح الله اضطرت فرنسا ودول
التحالف الثلاثي الى المداخلة وهناك الطامة الكبرى . وموقع ايران الجغرافي والسياسي
يجعلها في مركز يمكنها من لقاء المتاعب وايقاد جذوة الحرب اذا شاء ملكها هذا
غير ان البلاد قوية واهلها اشداء يمكن لهم محاربة الدول العظمى وتخشي بأسهم
الممالك وكل ما يخص بايران وحكومتها وسياستها وعلاقاتها بالدول الاخرى من
خصائص الشاه المعظم فهو يقدر على كل ما قدمناه ويديه الحرب والسلم والعناء
والشقاء ورواج التجارة وكساده وتقدم الممالك وفسادها فلا عجب اذا اهمت

الارض لنيل قتله وقامت الجرائد تبحث في الامر وتنبئ بالانقلاب وتظن الظنون
الكثيرة في مستقبل ايران وغيره

على ان كل هذه الحسابات لا تفيد وكل هذه المخاوف تزول اذا علم المرء ان
الذي خلف ناصر الدين شاه على عرشه هو السلطان الحازم والمقدام العالم جلالة
مظفر الدين شاه نجله المعروف باتساع المدارك وقوة العارضة وغزارة العلم وبعد
النظر وحسن السياسة

ولم يكن المرحوم ناصر الدين شاه مثجبا عن الانام قاصرا همه على التلذذ
باطياب العيش في قصوره وقصور اجداده العظام ولكنه كان كثير الاهتمام
لشؤون بلاده واهلها يخرج بين الناس فيرونه ويسمع شكاويهم ومظالمهم وساح
في اوربا ثلاث مرات ليرى بعينه طرق التقدم وامور التمدن الحالي ويختار منها
الموافق لبلاده ولهذا كانت سيرته معروفة واخلاقه مشهورة واكثر اموره ماثورة
ومسطورة ليس فيها شيء من الاسرار ولا داعي للظن والتخمين في الذي يقال عنه
رحمة الله عليه . والنوادير التي اوردتها صحف ايران واوروبا عن جلالته كثيرة لا
يمكن لنا ان نلم بغير القليل منها . على اننا اقتصرنا على بعض الشيء مما يهم الجمهور
العلم به من تاريخ حياته واثاره العظيمة ليرى القراء الكرام ان الذي نرثه ويرثه
سكان الارض معنا كان من عظام السلاطين الذين يحق الافتخار بهم والاشارة
اليهم على صفحات التاريخ

وقد نقلت ايناصحف الاخبار خلاصة ذكر الاحتمال العظيم الذي تم بالأمم
المغفور له ناصر الدين شاه في مدينة طهران عاصمة المملكة فكان مما يعجز عن
وصفه القلم واللسان وقد ابنته ابنتها الصدر الاعظم البرنس علي اصغر خان في ٥ مايو
سنة ١٨٩٦ بحضور رجال الدولة وكبار ضباط الجيش وكانوا جميعهم واقفين حول

نعشه بالملابس الرسمية رافعين الرايات الايرانية فقال :

”حل القضاء ونفذ سهم المقدّر فكان كل منا يبذل مهجته في خدمة مولانا العزيز ويفديه بروحه من نكبات الزمان وطوارق الحدّاث ولكن قدر فكان ورزنا بمصاب فتت الابداد فتأفتنا نذرف العبرات على ضريحه المقدّس فواحسرتاه عليه وياويل لثيم ذميم رفع يده النجسة على السلطان الذي شاد مملكتنا على دعائم العز والعملة والمجد . فاخترق قلبه وغادر قلوبنا تدمى عليه واطفأ نورنا الساطع وتركنا في ظلام دامس من الحزن والاسى

أفي ايران كلها اليوم بيت لا ينوح على ملك كان الكل مستظلين بظله راعين في مجبوحة الامن والنعيم تحت عنايته . فاين طار طائر النعيم وانى بات السعد بعده . أنستطيع صبراً وجلداً واخفاء الحزن في الفؤاد والعالم كله يحزن علينا وبكي ما اصابنا

ولكن مالنا ولهذا كله فذلك ليس قصارى الآمال ولا منتهى الآجال ألا ترون شميس سلطانتنا قد برزت من تبريز ففاض شعاعها علينا بالحياة والرجاء والعزاء . اذكر اسمهُ فتبرق اسرتكم وتحيا آمالكم فيكم فليكن عزاًؤنا يبذل النفوس في خدمته والمحافظة على الامانة والوفاء وصدق الولاء كما كنا مع ساكن الجنان والده . فذلك بعض ما يحق علينا لذكره الطاهر مقابل الخير العظيم الذي غمرنا به من فضله والاعتراف بالفضل يكون الآن بصدق الخدمة للجهل . واني لا باهي بكم اهل الارض طراً على ما ارى من تسابقكم لحفظ بيان الحكومة الذي شاده ساكن الجنان سلطانتنا في حكم طال اكثر من خمسين عاماً وردكم اكف النابثات عنه وجدكم في توطيد اركانهِ حتى يصل سلطانتنا العزيز الى هذه العاصمة العظيمة ويستوي على سرير آباءه العظام ونوادي اليه فرائض الطاعة والاكرام انتهى

وكان الصدر الاعظم يتكلم والناس يسكبون العبرات ويرددون الزفرات ولما فرغ من الكلام صاحوا بالدعاء لجلالة الشاه الجديد وطافوا بالقصر ومروا واحداً فواحداً امام القبر

وقد كان حداد الايرانيين على سلطانهم في سائر الانحاء دالاً على تعلقهم الشديد به واخلاصهم لدولته وفي نوع اخص حيث قام اكابرهم بفروض الحداد وقد بعثت جميع الممالك والملوك والامراء والعظماء رسائل برفيعة متعددة تعزية بالفقيد العظيم واما جلالة الشاه الجديد فنكتفي بالقليل الآن من ذكر مناقبه الشريفة وخصاله السامية فنقول

جلالة مظفر الدين شاه

ولد جلالة مظفر الدين شاه يوم الجمعة في ١٢ جمادى الثاني سنة ١٢٦٩ هجرية فهو اليوم في السابعة والاربعين من عمره وفضى اكثر ايامه في تبريز يرضع فيها لبان المعارف على امهر المدرسين حتى برع في العلوم الرياضية والعقلية والمسكرية وتعلم من اللغات العربية والافرنسية والتركية غير لغته الفارسية . اما ولي عهده فبجلاله الثاني شعاع السلطنة ملك منصور ميرزا وعمره الآن ١٣ سنة . وجلالة مظفر الدين شاه مشهور بالحنو والحلم ولين العريكة واللطف بشوش الوجه انيس المحضر يحترم العلم والعلماء محب لخير بلاده وترقية شعبه . وقد زاره من ستة اعوام اللورد كرزون اوف كادلستون (حاكم دار الهند) وكتب عنه في صحف بلاده مدحاً كثيراً ورأى من واسع علمه وكرم اخلاقه وعلاؤهمته الشيء الكثير جعل الله ايامه طوالاً وتمتع جلالاته واهل بلاده بالسعد والرغد انه خير سؤوس

وقد رفعنا لاعتاب جلالته عند تبوئه اريكة الملك المنظومة الآتية تعزية وتهنئة
 شئتُ بينك يا يزيد الثاني فلقد غدرت بصاحب الايوان
 شئتُ بينك هل علت بما اتيت اليوم من اثم ومن طغيان
 خنت النبي وآل بيت المصطفى ونقضت حكم شريعة القرآن
 لولا المقدر لم تل ايدي العدى ما تبغني من ناصر الاديان
 غدروك يا سيف الامام ولو اتوا جهراً سقيتهم النجيع القاني
 قتلوك في الحراب جهلاً ويلهم أفا خشوا من هيبة الديان
 قتلوا علياً قبلكم بهكيدة من مكرم واستشهد الحسنان
 قتلوك ظلماً اذ رأوك متمماً فرض الصلاة وواجب الايمان
 قد ألبسوا الدنيا السواد وسودوا بفعلهم صفحات كل زمان
 فلذا الخلائق والملائك والثوا قب كلها اضطربت من الاحزان
 في يوم مصرع ناصر الدين الذي غمر الانام بفضله المعان
 قد كان ركناً يستظل بظله هذا الوري من طارق الحدان
 اضحي ضحية عدله في ملكه أفذا جزاء العدل والاحسان
 غدر اللئيم به فعاجله القضا تب يده من اثم جان
 هلاً درے آن المظفر بعده يردي العدا بالسيف والمران
 هلاً درے آن المظفر نجلة نخر الملوك وقدوة الاعيان
 هلاً درے آن المظفر شبلة ليث الشرى من اعظم الشجعان
 غوث العوالم بل وليث عربنها غيث المراحم مصدر العرفان
 ملك تحلت بالكمال صفاته وسمت معاليه على كيان
 بطل تذل له الضراغم هبة بالبأس منه يشهد الثقلان

ان غابَ بدرُ ابيه عن هذا الملا
 عمت فضائله فكانَ قلوبها
 بمظفر الدين العبادُ استبشرت
 وتسابقت رُسُلُ التهانى نحوه
 ووطى المقامَ بياسه فكانه
 هديه بين الله يا ابنِ صفيه
 ابشر فان الله يحفظُ ملككم
 وتمز عن فقدي لاطهر والدي
 لا زلت ما بين الملوك معظماً
 فأدم لنا باليمن دولة ملكه
 وانصره مولانا على اعدائه
 وبمصلحي وزرائه اشدُّ ازره
 فلقد بدا من وجهه القمran
 بجرًا كبيرًا دائمَ الفيضانِ
 فتوسمت خيراً ونيلَ امانى
 لما تولى العرش في طهرانِ
 في عرشه كسرى انوشروانِ
 مدت لترفعكم لاهلى الشانِ
 طولَ الزمانِ مشيدَ الاركانِ
 من ربه قد فازَ بالفقرانِ
 ومظفراً بعناية الرحمنِ
 وبلاده يا خالق الاكوانِ
 ابدًا وصنه سائداً بأمانِ
 ما غرّدت ورقٌ على الاغصانِ

وهذا ما نشرناه في مجلة اللطائف في الصفحة ٢٨٩ من سنتها التاسعة

بالحرف الواحد

جلالة الشاه المعظم وجلوسه السعيد

كان يوم الاثنين ٨ يونيو (حزيران سنة ١٨٩٦) يوم سرور وبركة حيث
 جلس * جلالة مظفر الدين شاه المعظم * على عرش السلطنة الاميرانية الظهر
 فاجتمع بين يديه رجال بلاطه واكابر وزرائه وامرائه وقواد جيشه نخطب عليهم
 الخطبة الآتية

الحمد لله فقد اوصلنا سالمين بعد سفر طويل الشقة شديد المشقة واجلسنا على
 عرش آبائنا واجدادنا . بمجد اسمه نفتتح الاعمال وعليه الاتكال في المبدل والمآل
 ولذلك نبداً حكماً بمدح اسمائه الحسنى والاتجاه الى مقامه الاسنى مفوضين جميع
 امورنا اليه متكئين في قضاء واجباتنا عليه معترفين انه لم يقدر لنا الاستواء على
 هذا العرش الا لنحسن القيام والاحكام في تدابير امور ايران ونحبي بيضة
 الاسلام . والامل بالله العظيم اننا نحفظ رعايانا الذين هم وديعة الله عندنا ونظلمهم
 بظل حكمتنا المبني على العدل والمقرون بالامن والسلم ونسعى في ترقية شعبنا في
 مراقي التقدم والراحة والرفاهة ونحافظ على علائق الحب والوداد بين دولتنا والبول
 المحبة لنا فعسى ان نجد من ولاء شعبنا وشجاعتنا ما يؤيد مقاصدنا هذه ويعود طيه
 بالمجد والفخر في مستقبل الايام

هذا وانا نحن والامة باسرها نشعر ان والدنا المجيد توفي شهيداً لله وان له
 منزلة عالية بين سلاطين الاسلام ولذلك لا نفتأ عن ذكره بالرحمة في ادعيتنا .
 وقد قرت عيننا وعظم عزائنا بما رأينا من مشاركة الامة لنا في عواطفها يوم استشهاد
 ساكن الجنان والدنا وابتهاجها وسرورها بارتقائنا . وقد اثبت رجالنا ولاءهم وامانتهم
 لنا بان جعلوا ارواحهم واموالهم تحت مشيئتنا فوجب علينا اذا انت نكافتهم نعمنا
 فنحن من فضل الله نلعي ضرائب الخبز والقمح من كل بلاد ايران منة دائمة منا لبلادنا
 وقد اصدرنا فرماننا في ذلك

ثم ان صدرنا الاعظم من اعظم رجال ساكن الجنان الشاه السابق واوسعهم
 اخباراً فلذلك ابقيناه في منصبه وفوضنا اليه اجراء اوامرناعلى ما يسرنا ويكسبه
 زيادة النعم منا

وبعد الظهر بثلاث ساعات ابتداء الاحتفال بمقابلة سفراء الدول وقبول

تهانهم فجاؤوا جميعهم الى قصر الشاه لابسين ملابس التشريفة الكبرى متقلدين
 وساماتهم العظمى ولما تكامل عددهم اصطف بعضهم وراء بعض فشى سفيرا فرنسا
 وروسيا في مقدمتهم لكونها اقدم السفراء عهدا في ايران ثم تلاها سفيرا انكلترا
 والمانيا بالخلل العسكرية يتبعها سفير النمسا لابساً حلة مجرية من المخمل الازرق
 والفرو استوقفت الابصار بهائها وزخرفها . ووراءه القائمون باعمال السفارات
 الفلمنيكية والبلجيكية والاميركية . فلما مثلوا بين يدي جلالة الشاه وجدوه واقفاً
 لاستقبالهم قدام العرش وقد لبس حلة كسروية زرقاء وعلى صدره درعاً لا يرى
 منها غير حجارة الماس وفي غرته ريشة من الماس عزيزة المنال وتقلد سيفاً حمائله
 مرصعة بحجارة كبيرة من الماس تتألق على صدره وعلى ظهره . ومقبضة وغمده
 مرصعان بالماس الكثير حتى لا يرى منها غيره . ووقف الصدر الاعظم عن يمينه
 ونصر الملك عن يساره وهو من رجال بلاطه الذين تعلموا في مدارس انكلترا
 الكبرى وكان يترجم بين جلالة الشاه وسفراء الدول بافصح عبارة واطلق لسان .
 ووقف شعاع السلطنة النجل الثاني لجلالته وراء والده بجملة بهية تلوح على وجهه
 علامٌ النجابة والذكاء والنباهة . وقد لوحت الشمس وجه عظمة الشاه من طول
 السفر ولكن دلائل الصحة والعافية كانت بادية على وجهه واتفق رأي الذين
 رأوه على انه كان في اتم عافية واكمل صحة واحسن لونا مما كان عليه لما اتى طهران
 في العام الماضي

ثم تقدم سفير فرنسا اقدم السفراء عهداً وهنا جلالة الشاه يجلسه على سرير
 الملك ووصوله الى طهران سالماً ودعا له بالسعادة وطول العمر بالاصالة عن نفسه
 والنيابة عن السفراء وختم كلامه بمدح ما فعله الصدر الاعظم في غياب جلالته
 فاجابه جلالة الشاه بتام الهيبة والوقار شاكرًا السفراء على تهنئتهم وادعيتهم

ومساعدة وزراءهم له وللصدر الاعظم وقال ان مساعدتهم ومساعي الصدر الاعظم حفظت الامن والسكينة في السلطنة بعد قتل المغفور له والده واثني على الصدر الاعظم شاه جيلاً لحسن خدمته ووعد بان يخذو حذو والده ويوثق العلائق بين ايران والدول المصادقة وطلب من الله ان يزيد البلاد راحة ورفاهة في حكمه وكان ذلك ختام الاحتفال

وقد كان ذلك اليوم شديد الحرجاً في طهران ولكن جرت حفلة الجلوس وحفلة التهنئة على تمام المرام ثم زينت المدينة ثلاث ليالٍ متوالية سروراً وابتهاجاً . اطال الله عمر جلالتيه وجعل ملكه سعيداً مغلداً

وهذا ما نشرناه في لطائفنا في الصفحة ٣٧٧ من السنة التاسعة

لطائف ملوكية

زين اللطائف بتقديم فروض الاخلاص لاغتاب جلالة مولايه
 * مظفر الدين شاه المعظم * لتفضله باصدار امره السامي الى نخامة صدر دولته الاعظم بابلاغ محظوظية عظمتيه من هذا الفقير . وهذه صورة الكتاب الذي تكرم به علي سعادة ميرزا محمود خان في هذا الشأن

حضرة الفاضل سعادتلو شاهين بك مكاريوس المحترم

جاءتني رسالة رسمية من نخامة الصدر الاعظم يأمرني فيها بتبليغكم محظوظية وممنوية جلالة الشاهنشاه المعظم لسعادتكم على المريثة والتهنئة اللتين نشرتموها في جريدتكم اللطائف الغراء فانه خلّد الله ملكه اطّلع علي ذلك وامر نخامتة عناية

منهُ وكرماً ان يبلغكم ذلك بصورة رسمية ونخامة الصدر الاعظم يبلغكم ممنونيةً
وشكره ايضاً ودمتم

ميرزا محمود خان

متولج اعمال قنصلاتو جنرالية

دولة ايران العلية

مصر في ٩ ستمبر سنة ١٨٩٦

بمصر

وهذا ما نشرناه في لطائف السنة التاسعة في الصفحة ٤١٧

جلالة شاه ايران المعظم

لقد اعجب جميع الناس بما ابداه جلالة مظفر الدين شاه المعظم فانه حفظه
الله ما تولى عرش الملك حتى ابتداءً بالاصلاح فالتى ضربتي الخبز واللحم من
ملكته بقرارات شرعية ناسخاً بذلك عادة طال شكوى الاهالي منها ولم يقف عند
هذا الحد بل انه تازل من تلقاء نفسه عن الراتب الذي كان يتناوله المغفور له
والده سنوياً وقدره خمسة ملايين فرنك وخصص لنفسه منه خمسة وسبعين الف
فرنك فقط والباقي امر ان يبق للملكة فيرتفع به ضرائب كثيرة عن الاهالي
وكانت العادة في ايران ان لا يعين وال ولا حاكم من الحكام الا يبذل
الاموال الطائلة على سنبل الهدايا فكانوا يتعاون مناصبهم ابتغاءاً ثم يتزور اضعاف
اثانها من هم دونهم وهؤلاء من دونهم والاحرون من فقراء الرعية فابطل مظفر
الدين شاه هذه العادة وابتى قبول الهدايا وما هي في الحقيقة الا رشوة محرمة وامر
ان لا تقلد المناصب الا للاكفاء الامناء في خدمة الدولة والملة . فصار الوالي

اليرم يقبض راتبه من الحكومة الايرانية عوضاً عن ان يسلب الاهالي ويأخذ من السلب ما يأخذ ويدفع الباقي خراجاً او اتاوة الى السلطنة الايرانية وقد كان سلاطين ايران يجودون باموال الامة انعاماً على زيد وعمرو من مادحيهم او المقرين اليهم ونحو ذلك فيعينون لهم وظائف يقتضون رواتبها هم واولادهم واولاد اولادهم من بعدهم بغير ان يخدموا البلاد خدمة او يجرؤ اليها منفعة فابطل جلالة مظفر الدين شاه هذه العادة والتي نحو ثمانية آلاف وظيفة اقتصاداً تخف بذلك وقرت يقدر بنحو نصف مليون جنيه عن كاهل الاهالي وقد تولى جلالة الشاه الجديد بنفسه نظارة الحربية في بلاده وقلد صدره الاعظم نظارة الخارجية واتصل بنا انه ارسل الى اذربايجان يطلب خمسين الف فارس منها ليعلمهم فنون الحرب وابواب القتال على النظام الجديد وقد اجمعت الجرائد الاوربية وغيرها على مدح جلالتهم حتى صرنا نؤمل اذا بقيت دولة ايران العلية ناهجة هذا المنهج في ظل جلالة مظفر الدين شاه لا تمضي مدة حتى تصير بلاد ايران ملجأ كل متمرد محب للاصلاح وذو همة وجد فيهاجر اليها الناس عوضاً عن ان يهاجروا الى اقاصي البلاد المتمدنة . ولا بدع فان حياة المالك ومماتها بيد ملوكها اذا ملكوها بالعدل والاصلاح عمرت واذا ملكوها بالظلم والعسف خربت

